

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0038098270

Columbia University
in the City of New York

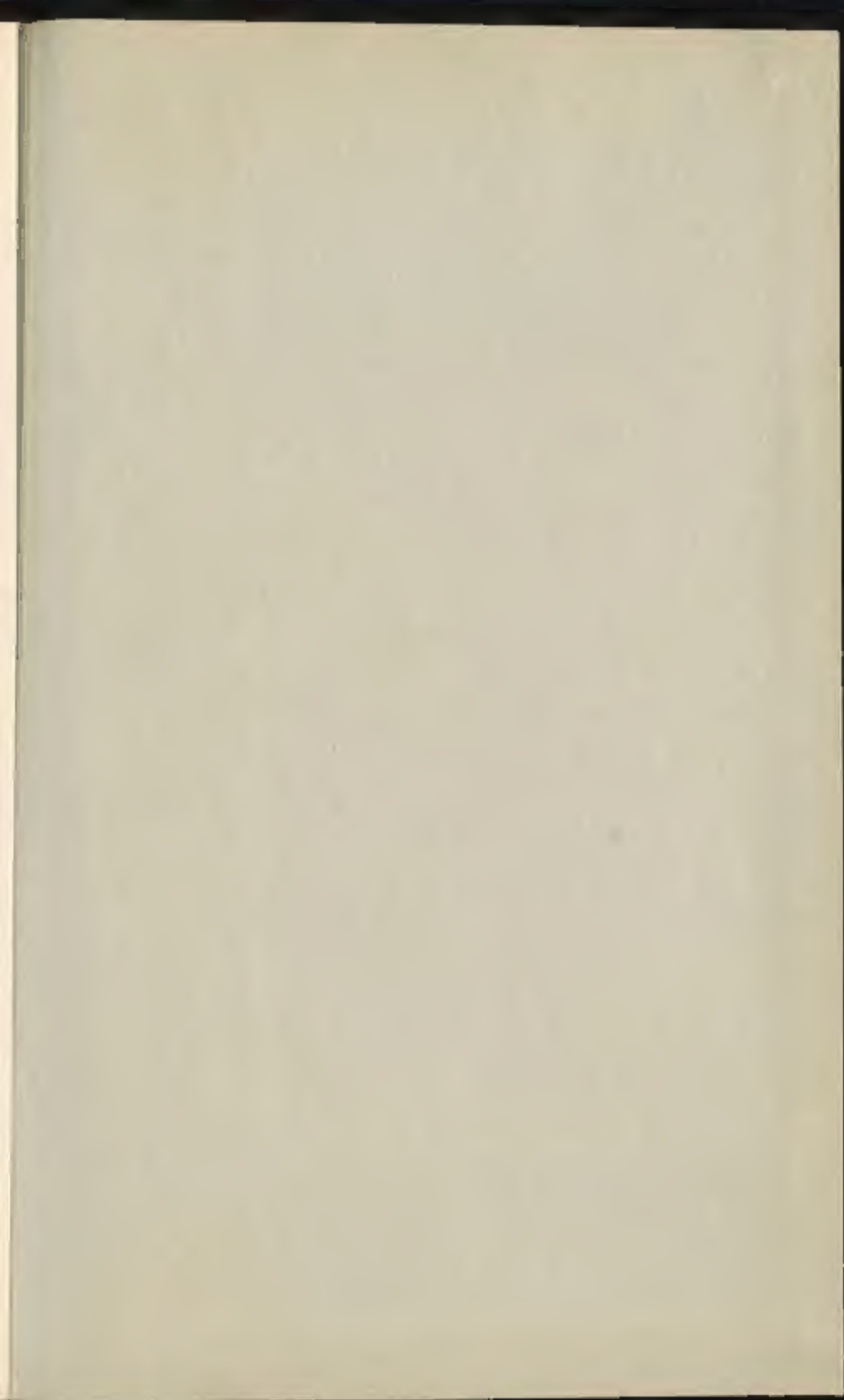
THE LIBRARIES



DATE DUE

JAN 09 2007

JUN 01 2009







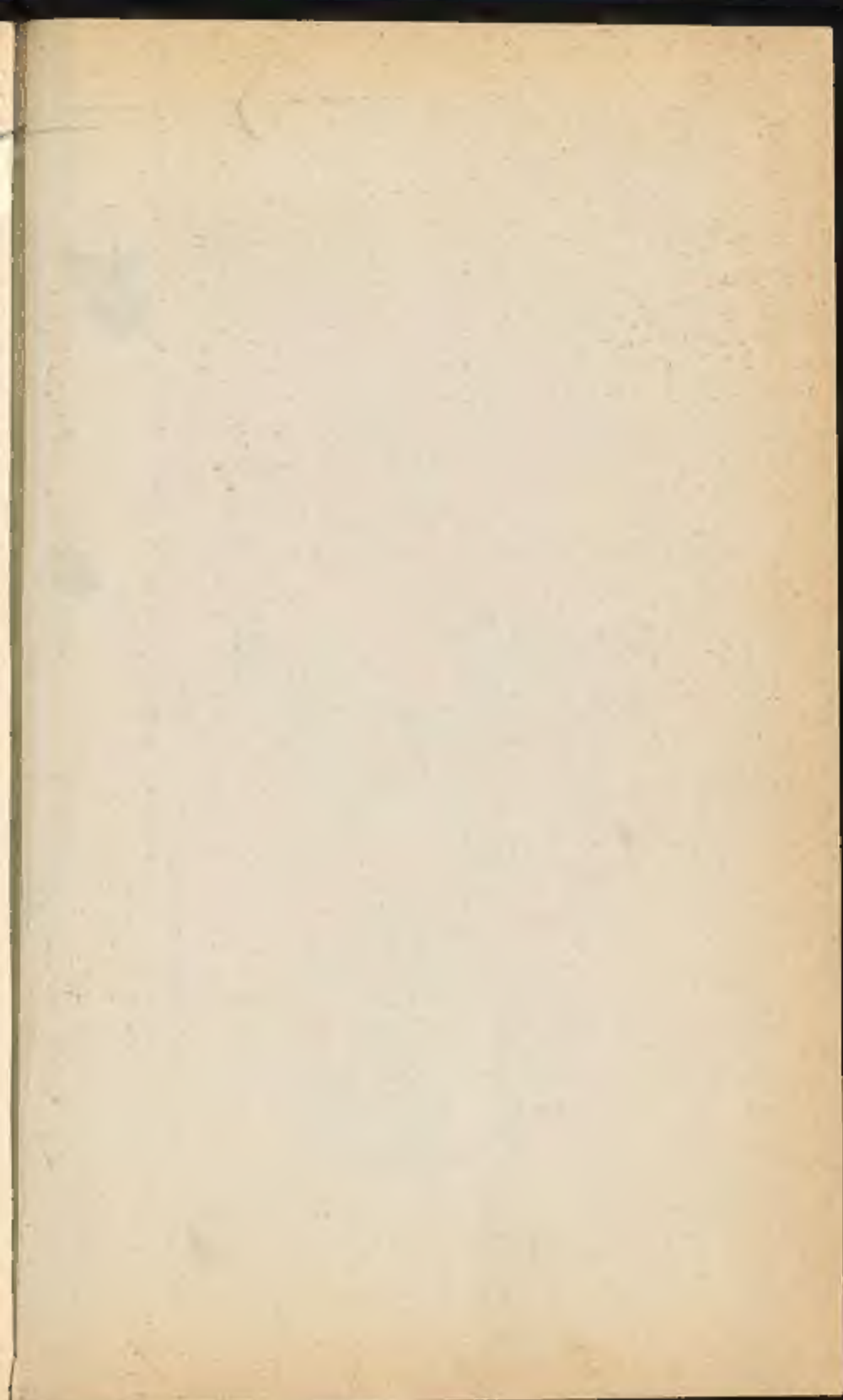
الدكتور أنيس فريجه

أستاذ التاريخ في جامعة بيروت الأمريكية

نحو حرب مستمصرة



دار الإقتاف للطباعة والنشر



لا يعمل امرؤ الى موثة الخيلة ما لم يحمله
الف صديق له كانه ونديق

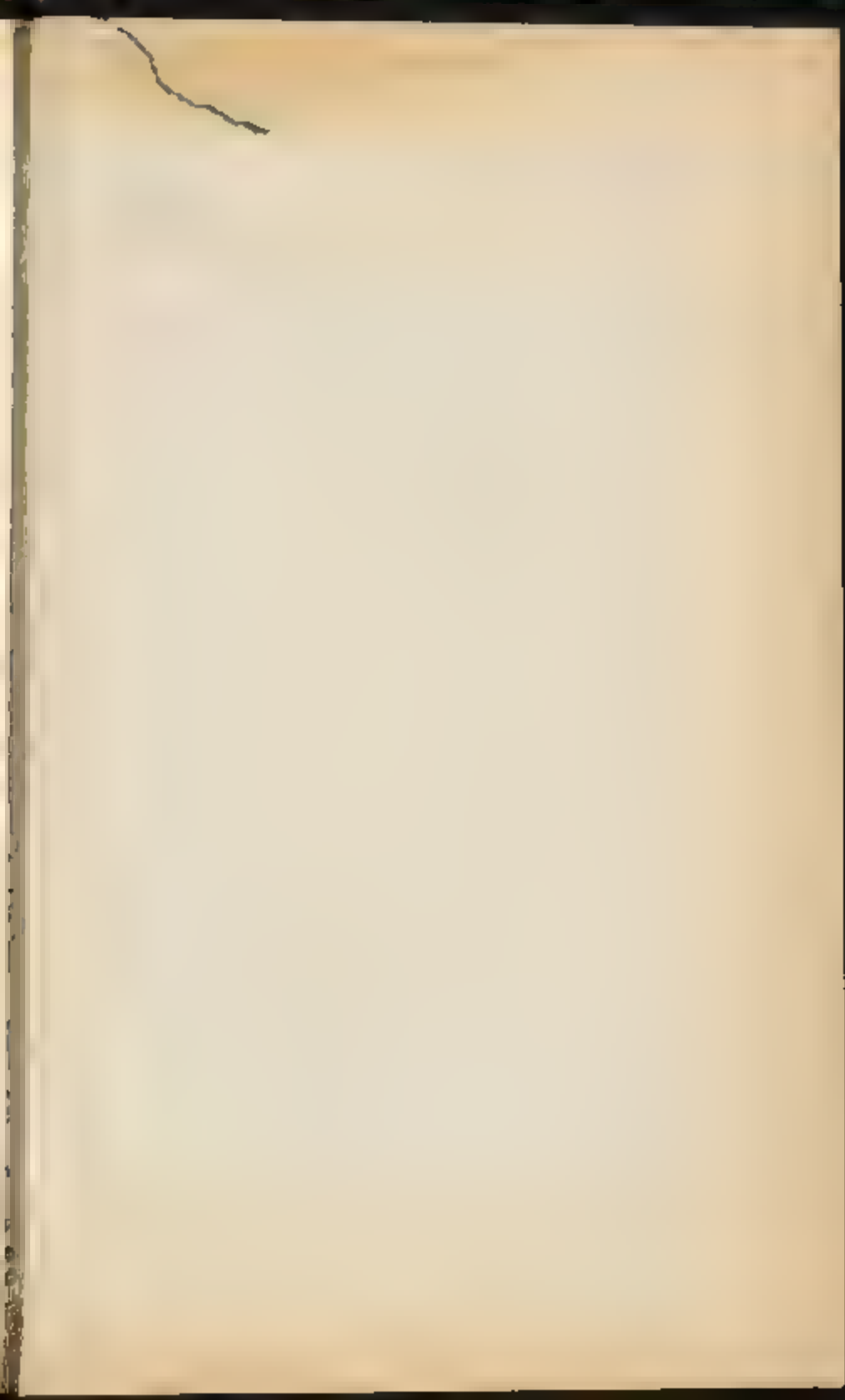
(الجنيد)

893.72
F86

12721C

الجزء الاول

في اللغة



مقدمة

إن العرض من هذه الدراسة القصير أثار مشككة اللغة على صعيد الفكر . لأن تفكيرنا في اللغة لا يحرر عن نطاق العاطفة ومشكلتنا اللغوية خطيرة ، فإنها تتناول أهم بواحي الحياة وقد آثرتنا محاطة الجمهور . لأن اللغة للجمهور . ولذا توحينا الساطة والايجار ونحاشينا الدخول في التمهيل واقتصرنا على ذكر ما يقره العلم

وقد قسمنا البحث الى ثلاثة اجراء . يتناول الجزء الاول اللغة عامة واسلوب درسها درساً علمياً حديثاً (Linguistics) وقد حاولنا في هذا الجزء أن بعيد النظر في تحديد اللغة ، وأن نذكر شيئاً عن علم اللغة وعن اثره في تغيير وجهة نظر الناس الى اللغة . ويعنى الجزء الثاني بحث نشأة اللهجة الادبية والمحكية والصراع الذي ينشأ بينهما ، وكيف ترتقي لهجة محكية الى مصاف اللغة الادبية بوساطة «سلطة» . ولقد أسعدني الخط أن يطلب الي القاء محاضرات في معهد الدراسات العربية بالقاهرة في اللهجة

واسلوب درسها . وقد تضمنت هذه المحاضرات جزءاً من هذا القسم
وقد طبعت ، بعد تعديل وشيء من التشذيب ، على حدة في كراس عنوانه
« اللهجات واسلوب دراستها » وبمعى الجزء الثالث لحل المشكلة وما
يترتب على الحل من مشاكل فكرية ودسه

ولسأفي دراستنا القصية الدعوى تتكلم لسان مدرسة فكرية ، ولا
نعبر عن رأي مؤسسة كائنة ما كانت ، إنما نمثل هذه الدراسة وجهة نظر
المؤلف واقتناعه الشخصي . وتحمل المؤلف وحده مسؤولية ما جاء فيها
من آراء ومقترحات يخالف ما عليه الجمهور

انيس فريجة

بيروت في ١ نيسان سنة ١٩٥٥ الجامعة الاميركية في بيروت

نظرة في نشأة العربية الفصحى

من البواحي المحبولة في تاريخ اللغة العربية شأنها الأولى فاسالاً
يعرف عن شئ قديماً ولكن لا نكاد نذكر القرن السابع ميلادى بصفه
حتى نجد مؤرخ اللغة نفسه امام لغة غيبه معرداتها ، ناعه في اعرابها .
متية في براكبها ، صعبة في اساليبها النحوية ، صحيحة في اصول
انحريسه مما يدل على ملغ من ا هي العنلي سامي ، الصورة المشوهه
التي صور بها المؤرخون الناعون اعراب الماديه

تسمي هذه اللغة الفن بمبوهها الى الشعبة الحويه من اللغات
الساميه وهذه الشعبة الحويه تضم لهجات الحشه واليمن والحريرة
العربية ، وادا اعتبرنا هذه اللهجات وحده فان العربية الفصحى ، مدار
دراسنا ، بشكل الفرع الشمالي لهذه اللهجات وليس لنا ان نتطرد
في الكلام عن اوجه الخلاف بين العربية الشمالية (العربية الفصحى)
وبين لهجات اليمن ، فان ذلك من اختصاص علماء اللغة بالمقارنة اما
يريد ان يؤكد ان العربية الفصحى لغة معايرة للغة العربية الحويه .
وقد فطن الى هذا الخلاف قدامى اللغويين ، فكان ابو عمرو بن العلاء
يقول . « ما لسان حمير لساننا ولا لغتهم لغتنا »

تعرف العربية الفصحى لغة عدنان مقارنة لها بلغة قحطان . وتعرف

كذلك لغة مصر . وفضل المتأخرون تسميتها بلغة قرش أو لغة مكة
وعندما ان هذه التسمية الاحيرة ليست دقيقة ذلك لان الدور الذي
لغته قرش أو مكة في تكوين هذه اللغة قبل الاسلام ثانوي لا يؤيده ،
بدليل ان الشعر الذي اعتمدته الصربيون والحبشيون عند استساظ قواعد
اللغة واحكامها - واكثر ما اعتمدوه الشعر الجاهلي - كان شعرا محدثاً
حجازياً ولا سكر النوبيون القدماء ان حل ما احدثه كان عن
الاعراب لا عن اهل مصر ، وتحقيماً عن قرش وتميم واسد غير ان سمة
الفصحى الى قرش ومكة اسلامية ، وذلك لما اكتسبه قرش ومكة من
مكة دسيسة ساسه سامية . ومهما يكن من امر هذه الاسماء التي عرفت
وتعرف به هذه اللغة - عداية ، مصرية ، قرشية مكة ، محدثه - حجازية
- فان دلالتها واحدة ، هي هذه اللغة التي تحدثت الساء التي نعرفها نحن
بالعربية الفصحى مقابله لها بالعربية المحكية العامية ، والتي هي محور
هذه الدراسة .

تاريخ هذه اللغة يشتر مشاكل لغوية تاريخية عديدة أين شأت ؟
هل كانت لغة تحاطب ، وأي قوم كانوا يتحاطبون بها ؟ ام كانت لغة
الشعر والادب والدين ؟ ماذا نعرف عنها قبل ان دون بها القرآن الكريم
وقبل ان تجمع النصف الناقية من ادب الجاهليين ؟ هل يعقل ان تكون
وليدة لغة وصحاحها ام وراءها تاريخ مديد عامص ؟ امثلة تصعب
الاجابة عنها احاطة علمية دقيقة لوفرة المصادر والوثائق السابقة لعصر

التدوين فلا يبقى لدى المؤرخ الا ان يعتمد اللغة كما تحدثت اليها
منذ القرن السابع ميلادي.

ولكن لا يصح اعتماد اللغة كما تحدثت اليها مندوبه مصدرأ
لدراسة اللغة في عهودها السابقة ذلك لان الدرس استسطوا قواعدها ،
وصطوا احكامها اعتمدوا الشعر الجاهلي اولا ثم القرآن الكريم مادة
لعمية ، ومتى كان الشعر ولغة الادب والدين مرآة ينعكس له الناس في
معايشهم ومكاسمهم ؟ الشعر صاعقة والادب خلق في اما لغة الناس
متحجة تطور طبيعي بعيد عن الصعقة والرحوف ، كذلك لا يصح اعتماد
المادة العموية التي عثر عليها على الحجاره والاصصه في الحجر وفي شمالي
، الحريرة العربية واطرافها بما يلي بلاد الاراميين فابها لغة على كثير من
الركاكة والرطابة والعجمة ، حتى ان استادا الالماني ، ابو ثمان الذي
حل رموز النقوش الثمودية والصعوية كان يشعر انها ليست عربية ولم
شعر بها . طلته الدين درساهم النقوش عليه ، انها عربية وان
كنت في شك من ذلك فما عليك الا ان تقرأ النقش الذي وجد في
السمارة ، وهي قصر لثروم من اعمال حوران . ويعرف بنقش امرى
القيس احد ملوك الحيرة . فانك ستجد لنفسك انه لا يمكن ان تكون
لغة هذه النقوش ذات صلة بلغة العربية الفصحى كما نعهدا في الشعر
الجاهلي والثر القرآني . ومن هنا كانت احججة اللغة العربية الفصحى
المعربة ! لغة هذا ملع رقيها لا تترك لنا اثرأ ادبيا جاهليا تعد منه الى

اغوار الماضي البعيد .

وعليه سترك الناحية التاريخية جانباً الى ان تتوفر الوثائق الكتابية المسابقة لعصر الترميز ، والى ان يدرس اللهجات العربية التي اشار اليها اللغويون والتي امنت المصادر العربية تنوعاً فيها (كما فعل الجاحظ مثلاً) .
وسنحصر ههنا يدرس المشكلة النحوية من نواحيها الاجتماعية الفكرية التربوية . ولكن نحس ما قبل الاسترسال في البحث ان نأني على ذكر بعض ما امارت به العربية من صعاب اهلها ان تكون لغة علم وفلسفة الى جانب كونها لغة دين وشعر وهي ليست صعبة ملازمة للعربية بل هي مميزات لغوية عامة تصف بها اكثر اللغات الراقية

(١) الدخيرة النحوية :

الدخيرة النحوية العربية تفوق بها ما اهل لغة سامية اخرى ولا اسراف في القول ان معجم العربية من اصحح المعاجم وان المرء يقف معجناً حائراً امام هذا البحر من الالفاظ ، وهذا الغنى في المترادفات والادوات ، حتى ان بعضهم يرى في هذه الظاهرة موضع فخر ومباهاة . فلكل ساعة من ساعات النهار اسم ولكل ليلة من ليالي القمر اسم ، وللشئ ٢٤ اسماً وللظلام ٥٢ اسماً ، وللشباب ٥٠ اسماً ، وللمطر ٦٤ وللماء ١٧٠ وللدابة ٢٥٥ وللشئ اسماء لا يحضرني عددها ، وللداهية من الاسماء تعد بالآلاف حتى قيل ان اسماء الدواهي من الدواهي ، وقد

أحصى هامر (١) المفردات التي لها علاقة بالجمال فبلغ ٥٧٤٤ لفظة .
ولك أن تصيف إلى هذه أذا كان لديك من الوقت ماتتهى به في التفصي
ومراجعة المعجم العربي . ونحن نعلم أن هذه المترادفات هي أوصاف
وبحارات ولكن رغم هذا كله فإنا نستطيع أن نحول أن العربية عسبة
حداً بمفرداتها

ولكن تجر بنا الإشارة أولاً إلى أن التجمع تاون لغات عربية
كثيرة ، وكان الجماس لتجمع العالم كله فاجموا هذه الكثيره دون رودة
في التحقق . ليس في قولنا هذا ما يقل من احترامنا لأولئك العلماء
الأفداد ولكن عمل المعجم لا يتم بالطريقة العربية غير أن من يعرف
" لسان العرب " أو " التاج " أو " القاموس " لا يستطيع إلا أن يرفع
فمته أجلاً لأحاديثها . ونلاحظ ثانياً أن الكثرة الكثيره من هذه الكلمات
بعكس الحياة الصحراوية البدائية وهذا طبيعي . وكان على هذه اللغة
الصحراوية الفقيرة بالمفردات التجرد من الفلسفية والعلمية والفنية
والصناعية سيما أن تدين لتطور الحياة العربية العملية وقد بحثت في هذا
مباحاً حريثاً . ونلاحظ ثالثاً أن هذه الكثيره من المفردات النصيفة بالحياة
الدوية أصبحت على نمر العصور مماتة أماتها الحياة وبدنها . لأن الحياة
العربية اتعدت عن الصحراء وما إليها من ساوة

(١) De Hammer. Das Kame extra des mem de l'Academie de Vienne
Classe de Phil. et d'histoire L V

(ب) التصعيد .

ويريد بهذا المصطلح قسرة اللفظة على التحرير ، أي تحرير الصورة المادية ونقلها إلى صعيد معنوي . بكلام آخر الصعود باللفظة من معانيها الحسية إلى المعنوي . وهذه صفة تصف بها كل لغة حية راقية ولا تفعل العريية عن سائر اللغات قائلية في التصعيد فمن ما اليوم نقرن لفظة « العقل » بحل الشعر الذي كانت ترتبط به رجل الجمل « ومن ما نقرن « المجد » بامتلاء بطن الدابة . « النفس » بعنده النفس « والروح » بالريح والهواء ؟ كل المعاني في طورها الأول كانت حسية ملموسة ، وتعتمد الحياة والفكر من جهة ، وقنه المعردات من جهة ثانية ، وجد الانسان نفسه مضطراً لاستعمال معردات قديمة لمعان جديدة على طريقه التجوز والتوسع .

(ج) الاشتقاق :

وكان يجب وضع هذه الخاصة في رأس قائمة الصفات المميزة للعربية فانها صفة يعي اللغة كثيراً

ترد الكلمات في جميع اللغات السامية أي جذور ثلاثية (١) فترصها افتراضاً ، بمعنى ان لا يعرف كيف كانوا يطمون هذا الجذر ، ولا يعلم علم اليقين كيف استعمالوه . اسما ام فعلا ام صفة وعلى هذا

(١) نحن نعرف الجذر السامية في طورها الثلاثي ، وهو بطور خاص . ولكن هذا لا يعني ان لم نقر سابقاً في طور ثنائي . والدلتون بالثنائية كثيرون والادلة متوفرة .

الجذر، الذي يشه حدع شجرة، تقوم اعصاب تنفرع الى فروع، والفروع
الى فروع فتشأ منه شجرة مامية وارقة الطلال وقد قدر أحدهم
امكانات الاشتقاق بأكثر من ١٢٠ وزناً، اي انما يستطيع «مدنيا» ان
شتق من جذر «علم» أكثر من ١٢٠ ورماً لمعان مختلفة.

(د) التوليد

وهو شيء بالصعيد ويكون علي نوعين صوغ كلمات
جديدة لا عهد للعربية بها من قبل كاللامركرية والمأهيه والحيشية، او
اسماع معنى جديد علي كلمة قديمة لم نوصع لهذا المعنى، مثل القاطرة
والمحرك والجرسة والهانف وقد اظهرت العربية قابلية فائقة للتوليد،
ولم يتردد علماء العرب وفلاسفهم في توليد الالفاظ رعم معارضة بعض
الرحميين القائلين بالاكتماء «مصور الاحتجاج» وهذه خاصة نعمي اللغة
وساعد علي تطورها ومعوها لتعبر عن الحياة المتطورة

(هـ) التعريب

وكانوا يقصدون به نطق كلمة أجنبية علي بهج العربية
واورائها، وقد اظهرت العربية والعرب رحابة صدر لاقتباس المفردات
الدالة علي نواحي الحضارة التي اصحوا ورثها وساتها ولم يستكف
العربية يوماً، اناسطونها، عن ان تقل بالمعرب والدحيل وهو اقرار
صمي بان لا معنى للغات الباشة عن الاقناس، ولا يصير اللغة ان

يدخل في عداد مفرداتها كلمات احسية من اللغات التي اصحت لغات
حصارات احدث واعصت وها ان العربية اعطت الفارسية والتركسية
وسائر اللغات الاخرى اكثر مما احدثت عنها

(و) القياس .

وهذا مبدأ شريف بأحد به العربية وحل العرب يقوم هذا المبدأ على
فلسفة لغة اجتماعه « ما فسر على كلام العرب فهو من كلام العرب »
وهو على نقص مبدأ السماع اندى فقد احدث اللغة بالرواية والسماع
ومبدأ الاخذ بالظاهر يورث على القائل صفاء اللغة وصحتها وبلاغها في
عصر معين او في حين من الناس معين ولا مبرر علمي لهذه الدعوة فان
احسن اللغوي والبلاغة في اللغة لا يعصر على عصره وحيل

ان هذه الصفات التي تصف بها العربية عني في المفردات ،
وقدرة على التصعيد والتوليد ، وامكانيات في الاشتقاق عديدة ، ومبدأ
القياس والتعريب ، دفعت بها الى سوء مكانة مرموقة في العصور
المتوسطة ولكن الى جانب هذه العوامل السائة نلاحظ عوامل اخرى
تعوق اللغة عن بماشاة الزمن فما قد مرت على الحياة العربية ما يقرب من
١٥٠٠ سنة ولعمهم لم يقرأ عليها تغيير ما ولا تبدل ما . عربية اليوم هي
عربية امرئ القيس وحرير وباصيف البارحي ان الحياة تسير سيرها
الحديث ، والعربية اليوم في حالتها الحاصرة تحاول ان تمشي الزمن ،

ولكن سيرها بطيء . ولر نستطيع إيقاف الرمن فان سرعة التقدم
عظيمة ، ويحشى ان تسكع العرية في المؤخرة وهذا هو جوهر المشكلة
العموية ، موضوع هذه الدراسة : رمن سريع التقدم ولعة مكبلنة . ما هي
هذه المشكلة للعموية ؟



المشكلة المخوية

مشكلنا اللغوي مشكلة كل شعب مردود في اللغة (lingual) فانا
 نمكر ونتكلم ونعني ونفهم صوتا وسامعا اطفالنا ونهمل في آذان من
 نهمهم ونفهمهم مع من نرغب في التفاهم معهم ونشتم مع من يروق
 لنا ان نشتمهم معهم نعه بحكمة سلسة سيالة لا يعوق الفكر ولا تنضب
 ما فيها ولكن عندما نقف مواقف رسمية - كأن نكون احدا
 مدينا او واعظا او محميا او محمدا في الاداعة او محاصرا في قاعة الدرس -
 علينا ان ندس شخصه لغوية ثابة - علينا ان نتكلم لغة غريبة عن لغة
 الحياة ، معرفة ، معقدة ، شديدة الاحكام في التركيب والتعير - واللغة
 هي الفكر وطريق الاسان الى ادراك الكون والوجود اذا فكرنا فانا
 نمكر بوساطة اللغة ، واذا ادركنا الامور فانا ندركها بوساطة اللغة ، واذا
 تصورنا الاشياء فانا تصورهما بوساطة اللغة ، واذا انتقلت اليها اختارات
 الاسانية فانا ننقل اليها بوساطة اللغة ، اذن اللغة عنصر من عناصر
 الحياة الاسانية ومع هذا - وهما يقع التافه - فان علينا ، في
 مواقفنا الرسمية ان نتكلم بلغة الاحتيال العابرة ، علينا ان نعبر عن

حائسيا ودوا حلما بلغة وقعت في مجراها عند نقطة معينة في الزمان
والمكان عندما احيطت بهالة من التعديس ، وعندما مسح حولها سياج
من الاحكام ، فوقعت في تطورها عند هذه النقطة في الزمان والمكان .
لكن اللغة لا تقف عند نقطة معينة في الزمان والمكان لان اللغة
محرى ، وبحر أبى في مواقف الرسمية الا ان يعاكس المحرى ، اد بهد
دعه عليا ان يفر عن الحياة الحاصرة في مثل هذه الحال ، عوضا عن
ان يصر في الجهد العقلي الى الفكر ، يصر الى الشكل الذي يفر فيه
عن الفكر — اي تصنع اللغة محسومة لا حادمة

ولا نطس اما الشعب الوحيد الذي مر في هذا الطور ، طور
اردواح اللغة . ان هاز' اما حية معاصرة وانما من الماضي البعيد مرت
في هذا التطور وعانت ما عابه الاغريق ، الرومان ، اليهود ، وغيرهم
كثير . ولكن العلة في هذا الصراع بين لغة الحياة ولغة الكتاب كانت
اسأ للشعب . وستجلى لك هذه الحقائق في الفصول اللاحقة . ولكن
المعرق يسا وبين هذه الشعوب المردوجة اللسان يصر في امرين . اولا
انهم حلوا المشكلة باعة افهم ان لغة الحياة هي اللغة الصحيحة العصى .
واعترافهم هذا رجع السجة المحكية الى مرتبة اللغة الرسمية . ثانيا لم
تكن مشاكلهم عويصة معقدة مرتبطة بقضايا الدين والادب كما هي
الحال عندما ، نحن نهوفهم في المشاكل عندما وتعقيدا ، ويعوقونا عرماً

وأرادة .

تتضمن مشاكل اللغة العربية الأساسية في أربعة أمور

- (أ) وجود لغتين مختلفتين . عامة وفصحى
- (ب) تقييد الفصحى بأحكام شديدة
- (ج) الخط العربي الخالي من الحروف المصوتة « الحركات »
- (د) عجز العربية عن اللحاق بالعلم والعصر

وقد يضاف إليها مشكلة تدرس العربية بالأساليب التي كانت متبعة في مدارس الكوفة والفسرة دون أن تطرأ عليها أي تعديل جوهري وقد عالجها هذه الفصحة في مقالين موضوع الأول « مدرّس العربية من مشاكل اللغة العربية »^١ ، وموضوع الثاني « البيان والادب من مشاكل التدريس »^٢ . وقد حاولنا أن نعزو انحصار مستوى العربية والعصر من دروسها إلى هذه الأساليب التقليدية الخافقة البعيدة عن المطلق وعلم العصر . وقد اقترحنا حلاً لمشكلة تعليم قواعد اللغة صحياً الحل في شكل كراس عوامه « تبسيط قواعد العربية وتنويعها على أساس منطقي حديد »^٣ . وقد وردناه على جماعة المعلمين

١ - شركة عمدة الأبحاث التي أصدرها خدمة الأمير كية في بيروت في آخر أواخر من السنة (١٩٥٠)

٢ - عمدة الأبحاث جزء الثالث من سنة الخامسة (يول ١٩٥٢)

٣ - طبع في حرقه ، مطبع المرسى الثاني (١٩٥٢)

والادباء ، فأقرنا على رأينا جماعة وحالفنا الرأي جماعة أخرى . وفي دراسات هذه لن نتعرض لهذه المشكلة الأخيرة — مشكلة تدريس اللغة وقواعدها — بل سنقتصر ههنا الرئيسي على بحث المشكلة الأولى وما يترتب عنها من قضايا فكرية واجتماعية وتربوية .

وحدود لفتين مختلفتين : عامة وفصحى ١٥

طل لعويو العرب — وبجانبهم في تفكيرهم المناصرين — ان مع العرب القدماء كانت العربية الفصحى كما سمعناها في القرآن الكريم والشعر الجاهلي وفي القليل الذي وصلنا من اثر ، اي تامة الاعراب وعلى مباحح الملاحة والعصاحة التي نراها في المتن الادبي ثم انه عندما حرج العرب من موطنهم الى مواطن الآرامية والعربية والقبطية فقدوا « ملكة اللسان » كما يقول ابن خلدون وغيره ، واحتدت مظاهر الركاسة والرطانة والعجمة تسرب الى لسانهم فشأت اللهجات وسرى فيما يلي ان اثر لغة في لغة اخرى من العوامل التي تعمل على نشوء التعابير والتناس في اللغة ، غير ان اسباب نشوء اللهجة تُرَدُّ الى عوامل اخرى اهمها ان اللغة لا تثبت على حال ، فهي متحركة ، وكلما بعد المجرى ظهر التباين .

١٥ سبقت في فصل ثان من الدراسة مادة عامة تختلف عن الفصحى في نظامها الصوتي والعربي والعجمي والمصحف ، وهي اختلافات جوهرية تدور اعشاشها لغة مماثلة للفصحى .

نحن نعلم ان الفصحى بعد ان اصححت لغة الدين واللغة الرسمية
 للدولة الجديدة اصبحت للقيود، القيود التي فرضها الصوفيون
 والحنويون فهم يحرصون على وصع نظام صرفي يحوي للغة
 حفاظا عليها من الفساد والخطأ ان اللغة لا تفقد، والشاهد على صحة
 دعوانا هو ان العامة، أي لسان العامة، لم يخضع لهذه القوانين
 والاحكام فسار سيره الطبيعي بما بقيت الفصحى على اساليبها لم يتغير
 فيها شيء ما، ان من جهة الصرف او من جهة الحروف فكان من
 الطبيعي ان تتسع الشقة بين اللغتين حتى اصحت في نظر علماء اللغة
 لغتين مختلفتين متغايرتين

والنتائج المترتبة على هذه الازدواجية في اللغة بعينة الاثر، فاننا في
 حياتنا اليومية نتكلم لغة سلسلة سيالة تتميز بفقدان الاعراب وعلى في
 الحروف المصوتة التي تصفي على الطول بها مسحة تتخلف الطوق
 والفصحى. وكذلك تتميز مرونة في التركيب وسهولة في التعبير. ولكن
 في حياتنا الرسمية — في التعلم وفي القراءة والكتابة وفي المواقف
 الرسمية — علينا ان نتلبس شخصية لغوية ثانية. ولا شك في ان

(١) يظهر من الناس خطأ ان عرست الفصحى المصوم هي غير الفصحى بهذه
 الامور. وهذا وهم فان العرصة الفصحى التي نطها آساننا لا تختلف، وهو ان تركبنا
 من عربية الامور حتى وحدهاين ولا اعتبار للعقدت فان لفردات تهرم وثقوت
 والوه، وانما حرمي - جوهر - لغة التركيب وهذا لم يبدل اصلافا.

ردواجية اللغة تعوق الفكر ولا سيما عند الاولاد فاهم يلقون لغة غير
لهم ويقرأون في كتب لغتها معاصرة لغتهم وهذه كتب التدريس عندما
ساهم على صحة دعوانا ، وهؤلاء هم اطفالنا يعاين من نعم الفصحى
اكثر مما يعاين من نعم لغة احسنه في حاله كهذه ير كد الفكر عوضا
عن ان ينشط ، وهذه قضية تربوية على غاية من الخطورة

(ب) تقييد الفصحى باحكام ثابتة

واللغة لا تقيد ، غير ان مرله العربية قصت ان يسمح حولها سياج
من الاحكام والمواعيد الشديده شأن العربية في هذا شأن كل لغة
اخرى يحرس اهلها على حفظها من التجزؤ والتفكك ولكن ما
يؤسف له حقاً ، من جهة التطور اللغوي ، ان لغة صطل اللغة العربية
في احكام مرهقة في زمن بلغ فيه سموها مسته ، وفي زمن قريب الى
سداوة ، واكثر ما يكون اللغة اسفاهاً وحبوبة امان سموها وقربها من
الداوة ونحن لا شك في انه لو زلت احكامها في عصر تالية لما
كانت انصفت بهذه الشدة وانقصة في الاحكام وقد تأثر قدامى اللغويين
باصول المطلق الاعريضي وجامعة بعلبسة ارسطو اللغوية فانه ارسطو
كان يرى ان للغة تركيها خاصا ، وهذا التركيب هو المطلق السليم .
فراح يصنع لغته صرفا فلسفيا ($\phi\lambda\alpha\sigma\phi\iota\kappa\alpha$) مسبا على العلم
والمعتول . والعامل والمعتول . والتقدير والاصار والافتراض ، وعرا

للكلمة اثر اسحريا في كلمة اخرى وانت اذا درست فلسفة النحو
 العربي وجدت انه لا يخرج مجوهه عن فلسفة ارسطو في اللغة
 فالتركيب هو المطلق السليم، ولكل علة معلول، ولكل عامل معمول،
 باهلك عن التقدير والاصمار. وحاول لعويو العرب ان يوجدوا ناموسا
 عاما لجميع المظاهر اللغوية. وحاولوا ان يجدوا مطلقا للغة. ولكن ليس
 للغة مطلق. ولا تخضع اللغة لقاعدة عامة. ومن هنا كانت الصعوبة في
 وضع الاحكام، ومن هنا نشأت القواعد الفرعية والاستثناءات والشواذ
 مما فتح بابا للاجتهاد والتأويل. واجابا للخصومة المبيعة كما وقع
 لموسى الكوفة والصرى^(١) ولا زال الي يومنا هذا يؤلف كتابا لتيسير
 النحو وتقريبه الى افهام الناس ولا اظنا قد افلحوا اعتبر عاويين كتب
 النحو: احياء النحو، النحو الواضح، الشافي، الكافي، التقرير، التسهيل،
 والتوصيح وحاشية فلان على كتاب فلان جاء في بيت للفرزدق في
 قصيدة من قصائده محالفة نحوية احدثت مشكلة عند
 اهل اللغة:

وعرض رمان يابن مروان لم يدع
 من المال الا مسحتا او مجلف (عوضا عن مجلف).

(١) احسن مثال على هذه الخصومة كتاب الامام في مسائل الخلاف بين
 النحويين البصريين والكوفيين لبيد الرضى الاندلسي.

فأله يوما ابن أبي اسحق . علام رفعت جلف ؟ فقال علي ما
يسوؤك ويسوؤك . عليا ان تقول وعليكم ان تأولوا . . وقد جاء في كتاب
الشعر والشعراء (ص ٢٧٦) لابن قتيبة . « رفع المررنق آخر البيت
سرورة وانف اهل الاعراب في طلب الحيلة فقالوا واكثرنا ولم يأتوا
فيه شيء . يرنص . ومن ذا يحصى عليه من اهل النظر ان كل ما اتوا به
اجتيال وتمويه . » وجاء في برهة الالاء في طبقات الادباء (ص ٣٨٨) .
« سأل يوما عصف الدولة فاحسرو الوبي الامام ابا علي الفارسي لماذا
نصب المستش في حوقام القوم الا ريذا فقال بتقدير استشي ريذا .
فقال عصف الدولة . لم قدرت استشي ؟ هلا قدرت امنع ريذا فرفعت
فمن يحرق جوابا . » اتمعجب بعد ان قيل للكتاب العراء مات وفي قلمشي
من « حتى » وان سيويه مات وهو يسمى ان يلم بعد « التمعج » وان
الكسائي مات وهو في غاية التبرم من « هم وشن » وان الخليل مات
وهو في اشد الاستياء من باب « البداء » ؟ اما ابن حالويه فقد اتاه رجل
يقول : « اريد ان اتعلم من العربية ما اقيم به لساني » فقال له ابن
حالويه . اما اتعلم النحو منذ خمسين سنة فما تعلمت ما اقيم به لساني .

نقيد اللغة باحكام مرهقة يوقف نمو اللغة . وهذه اللغة التي توقفها
عن النمو قد تقى في بطون الكتب والمعاجم . ولكن لغة الناس تسير
سيرها غير عابئة بالاحكام ، والشاهد على صحة هذا لغتنا العامية .

(ح) الخط العربي اغلبي من الحروف المصوتة « Vowels »

فان العربية شأها في الكتابة شأن سائر اللغات السامية التي انحصرت في الكتابة على الحروف الصامتة مما يجعل من صورة الكلمة هيكلا عظيما لا حياة له . وهذا يجعل عملية القراءة امرا عسيراً . اذ نعرض هـ هذه الطريقة في الكتابة - كتابة الحروف الصامتة فقط - على القارئ ان يفهم اولاً . كما قال قاسم امين . ثم ان يقرأ فراءه صحيحة ثانياً . وهذا على قبض العاية من الفراءه فاما الشعب الوحيد الذي يجب ان يفهم ليقراً . بينما جميع شعوب الارض نقرأ فقمهم كان يقرأ ولد على استاده بصاً حالياً من الحركات فتنى على كلمه « فتكون » فوقف التلميذ امام هذا الهيكل العظمي المت حائراً لا يدري كيف ان يتعطف به « FERNET » . وبعد محاولات عدة قرأها « فتكون » فكانت مكتة صحكها مها كثيراً . ولكن الطالب قرأ واحدة من الامكانيات التي تعد بالثبات وان كنت في شك من ذلك سل مدرساً في الرياضيات فانه يعطيك القاعدة الرياضية !

وقد ادرك مجمع فؤاد الاول للغة العربية خطورة هذه المشكلة من ناحيتها التربوية والفكرية والاقتصادية فوضع حائرة قدرها الف حيه مصري لمن يقدم افضل اقتراح . او لمن يرسم افضل هجاء من شأنه تسهيل القراءة . والمشكلة لا تزال قائمة .

لن تعرض في دراستها هذه المشكلة الخطيرة. غير اننا لاجتازها
في مقال نشرته مجلة الابحاث التي تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت
عنوانه « حروف الهجاء العربية ، تطورها ، ومشاكلها »^١ « نحن
بالقارىء ، مطاعته ، وتجربنا الاشارة ايضاً الى كتاب قيم يبحث المشكلة
لعد العربي فهمي باشا وعنوانه « كتابة العربية بالحرف اللاتيني »^٢ فيه
توضيح للمشكلة وفيه ردود المذاهب على مهاجميه الكثر ، من شأنها ان
نير القارىء الذي يرغب في ان يتعرف الى مشكلة الخط العربي
عن كثب

(د) عجز العربية عن التعااق بالعلوم والفنون

وذلك لان معظم هذه التعابير الحديثة والمصطلحات المحدثة معى
واستعمالها لم تكن يوماً من المعجم العربي ، ولم تكن من القضايا العلمية التي عني
بها الفكر العربي . لان الفكر العربي لاسباب وهم في التاريخ عند
نقطة معينة هم الطيبي ان تجد العربية نفسها الآن عاجزة عن اللحاق
بالعلوم والصون . لغة كل شعب مرآة حياته ، يسه . فان لغة الاسكيو
المقيمة بفردانها تصلح ان تكون اداة حسنة للتعبير عن حياة الاسكيو
وعن محيطه الجاف القاسي ، ومن يطلب من لغة الاسكيو ، دون

(٢١) مجلة الابحاث ، العدد الاول من المجلد الخامس من ١ - ٢٢٠ وقد طبع منه
نسخ عديدة وزعت على من يهمهم الامر .

تعديل فيها ، ان تنقل حصاره العرب اليوم بمكره وروحه وعينه انما
يطلب المستحيل . وكل من يعتقد ان العرية اليوم بحالتها اخصرة ،
والسلة الى ترمت بعض الناطقين بها ، تستطيع سر ان تعبر عن
مختلف العنوم والصون واهم

نعم ، ان اللغة العرية عية بمعرداتها في بواح كثيرة ، عطيمة
الامكانيات في اشتقاقها وقياسها ، وقد استطاعت يوما ان تنقل اليها
حضارات الشرق الادنى عن طريق الرحمة والتعريب والتوليد واحياء
مفردات قديمة واساع المعاني الجديدة عليها ولكن تقدم العلم والفن
والفلسفة في القرنين الاخيرين - وفي القرنين الاخيرين كنا نياما - كان
سريعا فاقضا ولعتا عاجزة عن التعبير عن هذه الحياة الحديثة

لن نقف طويلا عند هذه النقطة ، ولن نحاول ان نقع من لا
يريد ان يقتنع بان العرية عاجزة في وضعها الحالي عن التعبير عن
الحضارة العرية . فالادلة مبسورة . وها هي جامعاتنا تعلم العلوم والصون
بلغة احببة لا لانها ترعب في ذلك كما قد يتوهم بعضهم بل لاقناع
اهل الفكر عندما ان تعليم الطب والكيمياء والحيوان والسات و... و...
امر عسير . وكل من درس علما وكل من عانى التعبير عن هذا العلم
بدقة ووضوح يسلم معا ان الامر لا يحتاج الى جدل

لا يريد عمر الحصار العرية الحديثة عن ثلاثة قرون . وهذا لا

يعني ان جذورها لا تمتد الى عصور بعيدة في الزمن . الى بابل واثينا
 وروما والاسكندرية وحران وبعداد . ولكن الحضارة الحديثة علومها
 ورفيها المادي وتطورها الفلسفي من صمغ اوربا الحديثة . في هذه الفترة
 من الزمن لم تنح لنا فرصة للاسهام في هذا الخلق الحضاري . ونحن لا
 بأحد نقول العلاء فيما بينا الذي يبدعون بان حضارة العرب من
 الشرق ، وان كل علومهم مرده الى نشاط العرب في العصور المتوسطة .
 لا شك في اهم اشتركوا في هذه العمدة ، ولكن نشاطهم توقف عند زمن
 معين . ولا نعيبا الان تعيين السبب في توقفهم عند هذا الحد . نقدر ما
 يعيبا ان نقرر اما كامة عربية في العصر الحديث لم تشترك اشتراكاً فعلياً
 في خلق الحضارة الحديثة لاننا كنا في شمس سنوات . ومن لم سهم في
 الاحراع والاكتشاف والانتكار فانه سيجد عظمات في التعبير عنها عليه
 ان يقنس ويولد . ويلين لغته لتصح اداة طبيعة للتعبير عن الصور المادية
 والروحية التي تحلو لغته منها . للاوربيين معين لغوي لا يصب هو اللغة
 الاعريقية واللاتينية . وهذان الشعبان اسهما في خلق الحضارة العالمية
 وكانت لغتهما مرة لينة استطاعت ان تعبر عن هذا الخلق . ويصنف ان
 لغات اوربا تشترك والاعريقية واللاتينية في كثير من المميزات اللغوية ،
 الامر الذي يجعل وضع المصطلحات امراً يسيراً . وعندما تشترك مع
 الاسم المتحضرة في الخلق والانتكار والاكتشاف عندئذ يستطيع ان
 نعبر عن خلقها بلغتنا

ولكن لا يجوز ان تبقى العربية على ما هي عليه من هذا العجز في
 التعبير الى ان يخلق العلماء والفلاسفة والصانون العرب مصطلحاتهم
 وتعابيرهم ، لان الحياة العصرية تتطلب منا ان نلتحق بركب الحضارة .
 فلا صير في الاقتباس حملة اذا تعدد وجود مرادف عربي ، فان العربية
 هضمت مفردات أحسية كثيرة من اللاتينية والاعريقية والآرامية
 والفارسية والعربية . ونحس الانشابة الى نقص في العربية ، اعني عدم
 الدقة في تحديد المعنى ، واول ما يطله العلم التحديد والوصوح وبما لا
 شك فيه ان العربية غنية في بعض الواحي كأن يكون للشئ الواحد
 عشرات ، لا بل مئات من الاسماء بما لا يجد لفظة واحدة لاشياء تقع
 تحت حواسا حد مثلا سبطا من علم اللغة : *voice sound noise acoustics pitch tone color hue*
 العرب اشتغلوا في هذا العمل وبرروا فيه . فانك تجد صمونه في نقل
 كتاب يبحث في الفونيك (علم الصوت) او الطرابات الحديثة في
 سيكولوجية اللغة وعلى ذكر «علم الصوت» نقول ان الانكليزية تعرف

بها : *voice sound noise acoustics pitch tone color hue*
 phonation phonology

وانت اذا اردت ان تتكلم عن هذه بدقة فانك لا تجد سوى لفظة «صوت»
 وكذلك الافرسي يفرق علميا بين *parole* *langue*

فكيف تفرق انت بينها وليس عندك سوى لغة او لسان ؟

ولكن لا نقول ان هذا العجز صفة ملازمة للغة . فانه اذا نشطت

العموم وكان عبد الجراء فان العربية نستطيع ان تلحق بالعموم والعموم
وحل ما يريد قوله هو ان هذا المعجز عن اللحاق بالعلوم والعموم مشكلة
من مشاكل العربية الاساسية

هذه هي مشاكل العربية الاساسية وكل مشكلة نحتاج الى دراسة
عميقة وإلى حلول عمده ولكنا في هذا الكتاب لن نتصيدي الا الى
المشكلة الاولى اردواجيه اللغة لانها ، في طرنا احطرها . ونحن نعلم
مسبقا ان الموضوع حساس وقد مرصنا للنقد والتسفيه

ولكن ايماننا بان المشكلة اللغوية على جانب من الخطورة وانما
نطلب حلاً سريعاً لانها قضية تتعلق بالفكر ، الحصاره ونقيسنا بان
الفكر ان يحل من عقالة لساير الحصاره مالم نتحرر اولاً من قيود اللغة
وشانكانها ، جميع هذه قد دوتنا لمعالجة الموضوع . وفي سبيل الفكر
نحن على استعداد لتقبل كل نقد وتسفيه

ما هي اللغة ؟

لن نحيط على هذا السؤال ، الذي يبدو بسيطاً ، تعريف جامع مانع كأن نقول : اللغة مجموعة اصوات للتعبير عن الفكر او اداة للتفاهم او وسيلة لنقل المعاني ، لان صوغ تعريف علمي شامل للغة ليس بالامر اليسير كما قد يساخر الى الدهش غير اننا بعد الفارسي الذي اعتاد الاحاطة بالامور عن طريق التعاريف القصيرة اننا سنحاول في آخر هذا الفصل تعريف اللغة على الطريقة التي انعمها

وقد يبدو ترددا في تعريف اللغة عربيا ، لان اللغة من الامور الطبيعية المألوفة التي يمارسها جميع البشر على اختلاف اجناسهم عموما . فانها لا تتطلب جهدا ولا تفكيراً يستعملها الولد يسر ، وهي عنده عملية بسيطة كالشرب والاكل والشرب واليوم وعسل اليدين قبل تناول الطعام وما نحن نتكلم في كل حالة من حالات الحياة وفي كل ساعة من ساعات الليل والنهار سواء كنا نأتمن او حالمين او هادين . فلماذا نقول ان تعريفها امر شاق .

حدد هذا التعريف المكرر ١٠ « اللغة مجموعة اصوات للتعبير عن
 الفكر » وحاول تطبيقه على واقع اللغة ثم سل نفسك : هل صحيح ان
 لغة مجموعة اصوات للتعبير عن الفكر ، هل اللغة مجموعة اصوات ؟
 هل فكرة « البيت » قائمة في الاصوات التي تتألف منها اللفظة ؟ بكلام
 آخر ما علاقة اصوات حروف الكلمة بمعناها ؟ اليس المعنى قائما في
 الاحترار لا في الصوت ؟ عندما نسمع لفظة « يت » اليس الاحترار في
 حيايا العقل الذي يترجم الصوت الى معنى ؟ وذلك ان تسأل هل كل
 صوت هو « لغوي » ؟ كلا فان هناك اصواتا عديدة لا تدخل في نطاق
 الاصوات اللغوية كالاصوات الطعنة والحيوانية وكعص الاصوات التي
 يخرجها من بين الاسنان ، او من الخيشوم . او من اقصى الحلق ، او
 كالاصوات التي تحدثها بالتواءات مختلفة لسان . جميع هذه الاصوات
 لا تدخل في نطاق الاصوات اللغوية اذن علينا ان نجد كلمة اصوات
 لغوية . وعلماء اللغة ، رغم مهم في لغة علمية ، يطلقون على اصوات
 اللغة مصطلحا علميا ، فريب (وجمعها فريبات) اي الوحدة
 الصوتية للغة ويمون بالفريبات مجموعة الوحدات الصوتية التي تشكل
 النظام الصوتي للغة ونتمثل الفريبات عادة بحروف الهجاء . ولكن
 حذر من ان تعتقد ان عدد الفريبات في اللغة يسع ان يطابق عدد
 حروف الهجاء في تلك اللغة كلا . فقد يكون لغة ما ٢٦ او ٢٧ او ٢٨
 حرفا هجائيا ولكنها اذا احصينا عدد فريبات هذه اللغة وجدنا انها

تربو علي عدد حروف الهجاء. ومثل لك علي هذا فونيم «ث» في اللغة الانكليزية
فانه عنصر من عناصر اللغة كما في *thin*. ولكن هذا المويم لا رمز له
(اي لا حرف له) بل يرمزون اليه بحرفي «ث» وقل هذا في فونيم «د»
فانه عنصر من عناصر الانكليزية كما في لفظه *much* ولكن فونيم «ذ»
لا رمز له (لا حرف له) بل يرمزون اليه بحروف اخرى .

وفصلا عن هذا فان علماء الموتيك يقولون لنا ان للمويم الواحد
اكثر من لفظ واحد . قد يكون له ثلاثة الفاظ او اربعة . فان فونيم *p* في
كلمة *spoke* هو غيره في اللفظ في كلمة *park* . وقل هذا في فونيم *'* فانه في
sung غيره في *in* . قد لا تستطيع ادبي او ادلك ان تميز بين لفظ وآخر
لفونيم الواحد ولكن الالة المسجلة والموتيكى المحرب يستطيعان ذلك.

وما قولك في هذه المويمات الا تختلف لفظا تعما
لوقوعها في كلمات مختلفة ؟ هل المويم *o* في *father* وفي *to* وفي *female*
واحد في اللفظ ؟

ثم اعتبر الشق الثاني من التعريف : « اللغة اداة للتعبير عن الفكر » .
يقول لنا بعض السيكلوجيين ان اللغة هي الفكر ذاته ، او هي اساس
الفكر وطريق الاسان للفكر . ويؤكد بعضهم اننا لا نستطيع التفكير
بدون كلمات . فادافنا هذا التحديد . بانها اداة للفكر . نكون قد

فصلنا الفكر عن أداة التعبير عن الفكر ، وهذا ما لا نقل به العبد
وحل عك هذه القضية الفلسفية السيكولوجية ولعد الى صعيد ادبي
وسأل اذا قلنا هذا التحديد الا يكون قد عظمنا ملايين الناس الذين
يتكلمون ولكنهم لا يعرفون عن الفكر ؟ الا يكون قد حقرنا الفكر
باعتبارنا كل اثره بغيره عن الفكر ؟ عندما يعصب احدا ، او عندما
سهل من فيه الشنائم والمساات ، او عندما يحبي بعضا بعضا ، او عندما
سكلم لانفسا ونحن سائرون في الطريق او مستنفون على فراش ، هل
في هذه المواقف ، والشبه بها ، يعبر عن الفكر ؟ ثم اما احيانا نرعب
في التعمية والتعموه والاحياء ، وادانا في ذلك اللغة التي يقولون لنا انها
لقل الفكر او للتعبير عنه ؟

لا نكر ان اللغة أداة للتعبير عن الفكر احيانا ، فالمحاصر يعبر
عن افكاره بوساطة اللغة ، والمعلم في مدرسته ، والعالم في مختبره ،
والنائب في برلمانه ، والصحافي في مكتبه ، جميع هؤلاء يعرفون عن
الفكر باللغة ولكن حصر اللغة بابها أداة للتعبير عن الفكر امر بعيد
عن الواقع .

وكذلك قد تكون اللغة تعبيراً عن شعور وعاطفة . وقد يكون
مشوفا العاطفة والشعور لا الفكر اللغة للبناء ، للشعر ، للافاصيص ،
للاساطير ، للحرفات ، فهي بهجة ومتعة ، وهي متعسر عن حزن والم

واني اعجب من الرجل القاسي الذي يحكم على المرأة بانها ثرثرة
المرأة مخلوق طبيعي وشعر ان هذه اليه العطيمة - اللغة - لثرثرة والكلام
في غير المواقف الرسمية اللغة عندها شيء مستحب ، والثرثرة بهجة
ومتنعة . وفي هذا كثير من الصحة .

الواقع ان اللغة اكثر من مجموعة اصوات ، واكثر من ان تكون
اداة للعكر او تعبيراً عن عاطفة - اللغة حرة من كيانا السيكولوجي
الروحي ، وهي عملية فزيائية اجتماعية سيكولوجية على غاية من
التعقيد ، وتساؤل اربعة امور اساسية لتنام العملية المعقدة .

ا - متكلم

ب - مخاطب

ج - اشياء او فكر متكلم عنها

د - كلمات او مفردات (او اشارات ملاحظة او يدونة) وهي
مجموعة فزيكيات لها في الذهن صور معينة ، اي معان

ولا يضاح هذه العملية المعقدة بأحد مثلاً سيظن الا يبادر الى
ادهاها انه على شيء من التعقيد . تصور رجلاً ماشياً في حفل مع ولده
الصغير يرى الولد شجرة نحاح عليها ثمر شهى فيقول لوالده . « اقطف
لي يا ماما نفاحة » وقد يرل الوالد عند طلب ولده . فيتأول نفاحة ،
وقد لا يرل عند طلبه فيقول « لا النفاح ليس لنا ، للتفاح اصحاب »

فلتحلل هذه العملية العبرانية الاجتماعية السيكولوجية

تبدأ العملية بالصور المرئية ، بعالم الأشياء المحيط بنا ، وهو العامل المؤثر ، فيشتهي الولد التفاحة ونسجل الصورة الذهنية الى صورة كلامية تعبره : « اقطف لي يا نانا تفاحة » كيف تحولت الصورة الذهنية الى صور صوتية ؟ أين كانت هذه الكلمات في دماغ الولد ؟ ما العلاقة بين العامل المؤثر وبين النطق ؟ ماذا جرى ؟ وكيف تم ؟ ثم إن هذه الأصوات التي فاه بها الولد انتقلت الى أذن الأب بواسطة تموجات في الهواء أولا ثم الى دماغه ثانيا . كيف ؟ ماذا كان رد الفعل ؟ كيف فهم المحاطب المحاطب ؟ ماذا دار في دماغ الوالد عند سماع العويصات ، وهل المعنى في الصوت أم أن المعنى قائم في الاحتمار ؟ أي ما العلاقة بين الأصوات والمعنى ؟ وكيف يوصل الى حكم أولا في العقل ؟ ثم استجار الحكم الى أصوات تعبره فقال له « نعم » أو « لا » « التفاح ليس لنا . » ؟

ها يتدخل السيكولوجي ويقول : درس اللغة ليس من اختصاص علماء اللغة بل فرع من فروع علم السيكولوجيا اللغة « تصرف رمزي Symbolic behavior ولا تفسر إلا على أساس المؤثر ورد الفعل هاتان العبارتان « اقطف لي تفاحة » و « التفاح ليس لنا » رد فعل بسيكولوجي ، ولا معنى لهاتين العبارتين إلا إذا فهمنا الظروف المحيطة

بالوضع الذي يطق بهما ثم ان السكولوجيين انفسهم ، اذا سمعوا ان
درس اللغة من اختصاصهم ، يختلفون كثيرا فيما بينهم في تعريف هذه
الظواهر فقد كان بعضهم الى من يصير يعتمد بالتعليل النفسي او
الروحي ، اي ان هناك قوة روحية او عقلية او عينية غير مادية تحرك
الاسان . ولكن حلهم الان يعللون هذه الظواهر السكولوجية على انها
عمليات فيزيائية ميكانيكية : مؤثر ورد فعل ونلاؤم ونصرف ومرى .
يرى القارىء بما عدم ان اللغة لت ظاهرة بسيطة بل يتطلب
ومها فيما صحيحا اثاره اسئلة حطيرة قو على كثير من التعقيد والموص
اما نحن فيهما من الامر تقرير الواقع اللغة ظاهرة اجتماعية
سيكولوجية قبل ان تكون كلمات واصواتا وصرفا ونحوها وهذا امر
هام جدا بالنسبة للباحث العرب ، فاللغة عندها اداة مركبة من
اصوات فكلمات فتركيب . يساهي في الواقع الفكر ذاته (عند
بعضهم) او طريق الفكر لادراك الوجود (عند البعض الاخر) ولا
كيان للغة بمعزل عن المجتمع . فان سويت ودى صوصير السويسري
يقولان ان لا كيان للغة الا في ذهن الافراد .

بعد هذا الاسهاب للقارىء ان يطالبا تعريف اللغة فقول .

اللغة ظاهرة سيكولوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة ، لا

(١) ان فهم طفل عن المجتمع ذاته من شكل بل ينطق باصوات غير لغوية كثر
الحيوانات وقد يكون لها صدى . وكذلك اذا شئ طفل في محيط غير محيطه فانه
يكتسب لغة للقوم الذين يداينهم .

صفحة بيولوجية ١ ملارمة لفردي، تألف من مجموعة رموز صوتية لغوية
 اكتست عن طريق الاختيار معاني مقررة في النفس وبهذا النظام
 الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما ان تفاهم وتتفاعل . واللغة فقط
 صار الانسان اساما ، واللغة فقط تطورت الحضارة وتقسّم العمران
 وبلغ العقل الانساني دروته فدرس اللغة درسا علميا فلسفيا درس
 في الانسان وفكره

(١) ان اعضاء النطق كالحنك واللسان والحنجرة وغيرها كثيرا ليست
 لنطق ولا اي ان وظيفتها الاولى هي عبر النطق .

كيف نشأت اللغة

لا يعلم على وجه التحقيق أصل اللغة وثيق الاتصال بأصل
الإنسان ذاته وسطور حمه وعظمه أدن قصة أصل اللغة ليست قصة
لعنونه بحته ، ولا مدخل في نطاق علم اللغة ، بل في نطاق
السيكولوجيا والأشروبولوجيا والفلسفة .

إن معرفتنا بتاريخ الإنسان قبل التاريخ المبدون قد اوردت في القرون
الاحيرة ولكن رغم تقدم معارفنا في هذا الحقل وإن أصل الإنسان
ونشأته من حيوان الكرم إلى حيوان ناطق ، من حيوان لا يعقل إلى
حيوان عاقل ، لا يزال مكشفاً يحجب من الأسرار ولكن هناك هذه
الحجب عينا أن يرجع إلى عهود سحيقة في القدم لا تعلم عنها شيئاً علماً
يقينياً ، والعلم لا يعرف شيئاً اسمه خدس أو خيال ، ولا بأحد شيء
اسمه عينيات ، إلا إذا كانت أفعال أصاب قيد الزمان

ولكن أصل الإنسان ونشأته لغته أمر يثير الخيال ويستأنف إلى
العقل . ويعتقد أن أصل اللغة من أقدم المشاكل الفكرية التي جابهت
عقل الإنسان . فإن كاتب قصة الخليفة عرافاً إلى الله . الله علم آدم

الكلام وقد انقسم العرب الى قسمين اراء هذه المشكلة فقالت
 جماعة ان اللغة بوقعه ، اي ان الله علمها الانسان ، وقالت جماعة انها
 صلاحية ترقية وكان هم علماء اللغة ، منذ مطلع القرن التاسع
 عشر الى زمن قريب مما ، ان سوصلوا الى حل هذه المشكلة ولكنهم
 كانوا يسورون في حلقه مفرقة وكثير القول فيها الى حد جعل الجمعية
 اللغوية الفرنسية *Association Linguistique de France* تمنع نقابون الماء محاضرات
 في هذا الموضوع ، لان هذه الطريقتين - وسدكر لك تنها منها - لا تفسر
 اصل اللغة وقد كانت الجمعية اللغوية هذه على شيء من الحق في منع
 الموضوع ، لانه ، كما ذكرنا انما لا يدخل في نطاق علم اللغة بل هو
 اقرب الى الهندس والخيال يجب ان نبحث عن اصل اللغة في نشوء
 التصرف او السلوك الرمزي *Symbolic behaviour*

ولكن من قبل العلم بالشئ ، لا الاحد به يحسن بنا ان تأتي على
 ذكر بعض هذه الطريقتين ، ان لم يكن لعرض سوى ان ندلل على
 ان لغة تشأ من اسفل وترتقي الى اعلى ولا تهبط من عل الى اسفل منها .

١٦ ترى نموذجاً من هذا البحث في ان جني ابو الفتح عثمان في كنهه الخصائص
 ص (القول على اصل لغة اهاد هي دم اصطلاح - ص ٣٩ مصدرة لجلال الجفالي ١٣٣١)
 وعنه احمد عبد الرحمن جلال - نديم البيوطي في الزهر في علوه اللغة وابوابها
 ص ١٧ - ٢٠ دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

(١) نظرية الوو - Bow - waw

ومعناها ان أصل اللغة محاكاة اصوات طبيعية . وقد اشار العرب الى هذه النظرية بطريقة غير مباشرة عندما تكلموا في « حكاية صوت » وقد ادى الى وضع هذه النظرية ورود كلمات عديدة في كل لغة . فاعطها يدل على معناها مثل الرين والعة والرقرة والفقهة والحفيف والخزبر والخشخشة والطققة . واما برى شيئاً من صدق هذه النظرية متمثلة في لفظة Cuckoo وهي اسم طائر سمي بالصوت الذي يحدثه . وقل هذا في لفظة « مو » فانها تعني في المصرية القديمة وفي اللغة الصينية هرة . وظاهر ان التوافق في التسمية عند المصريين والصينيين يرجع الى ان الهرة سميت بالصوت الذي يحدثه .

(١) مكتب والدلاف التي بحثت اسم لغة عديدة جدا . مكتفي بذكر مقاييس جامعة يا جامعة للدراسة . الذي لا يجهل الله في الموضوع هم ما قدم من طريقات . مقال الاول تجده في :

w. B. Pillsbury and C. Meade: The Psychology of Language PP 112 - 128 New York and London 1928

والفان الثاني في :

Otto Jespersen : Language its Nature Development and Origin PP 42 - 44 Allen and Unwin, London 1922

(٢) ويشير اليه ابن عربي في كتابه الخصائص المذكور آتيا في حين يعونه « حسن لا يفسد الله لهي . من ٤ : ٥ . ومعنى البيروني في كتابه ادره المذكور آتيا من ٤٨ .

ولكن الكلمات التي يمكن ان تفسر على مبدأ نظرية الو - وو قليلة جداً وفصلاً عن هذا فان النظرية تعجز عن ان تفسر لما كيف لا تعمل مبدأ «حكاية الصوت» في آلاف الكلمات التي لا يرى الآن أية علاقة بين معانيها وصوتها ما العلاقة بين لفظة أربوب ومعناها؟ وما العلاقة بين لفظة المصنعه ومعناها؟ ما العلاقة بين لفظة الكتاب ومعناها؟ ليس هناك من علاقة ظاهرة إنما العلاقة سكلولوجية . أي - من نوع قرون الاصوات تصور قائمة في العقل .

ب) نظرية الاصوات التعجبية العاطفية Interjections

وتعرف نظرية *Push pull* ومعناها ان الكلمات الاولى التي تطلق بها الاسنان كانت اصواتاً تعجبية عاطفية صادرة عن دهشة او فرح او وجع او حزن او استعراب او تفرز او تأفف ومثال هذا لفظة - تأفف - التي استعملناها نحن عندما يتأفف الألماني يقول *Plu 1* وعندما يتأفف نحن نقول - اف او اووف - وعندما تتحسر او تنهف نقول - «وي» وهي لفظة ترد في جميع اللغات السامية ، ويتبعها عادة حروف الجر «ل» فيقال «وي ل» وعلى عمر الرمن امتزجت الكلمتان وصارتا كلمة واحدة «ويل» كما امتزح اسم الموصول «ما» مع حرف الجر «ل» فاصبح «مال» . وفي الانكليزية القديمة لفظة تدل على التحسر والتنهف شبيهة بلفظة «ويل» وهي *wa*

ان ما قلناه عن النظرية الاولى يطبق على الطريقة هذه لانه اذا استطاعت طريقة كهذه ان تفسر بضعة الفاظ فانها تعجز عن تفسير الالف من الالفاظ التي لا يرى كيف يمكن ان تكون في اساسها تعجبة عاطفية او مشتقة من عناصر بعجبه عاطفية مما علاقه لفظ الحب والعص والولاء والفيل والحصان والاسان بالاصوات العجبة العاطفية؟ ليس هناك من علاقه ظاهرة

(ح) نظرية عاكة الاصوات معايبها Ding dong

وواضعها ما كسر ملر اللغوي الشهير^١ ومفادها ان حرس الكلمة يدل على معناها وهي لا تختلف عن نظرية الو - يو وقد اشار اليها العرب ايضا بطريقه غير مباشره عندما اشاروا الى ان للحروف معاني^٢ . وحرف الخاء يدل على الاساط والسعة والراحه ، وحرف العين يدل على الظلمه والاطباق والخمء والحرر كما في عم وعيم وعس وعطه . ولكن كيف تفسر لفظه عي وعص وعلام ؟

عما لا شك فيه انك اذا نظرت في كلمات عديدة يشترك فيها

(١) F. Max Mueller : Lectures on the Science of Language London 1864

(٢) والاصح ان يفسر في المقصود لاني اخوف ان في الالف - من مرمرحي في كتابه : مصيبت عربيه - ساميه - جويه ١٩٥٠ - والثانيه .

فويهم واحد تجد ان معانيها متقاربة ولكن ان برد معاني الالفاظ الى ٣٠ او ٣٥ فويما او وحدات صوته فاما لا نفسر اصل اللغة بل يرد في عموم المشكلة اذ لك ان سأل كيف تطورت هذه المعاني الفنية التي تمثلها الفويسات القليلة التي شكل النظام الصوتي للغة الى معان لا حصر لها؟ وهل المبررات العربية المدونة في « لسان العرب » مشتقة من ٢٨ فويما؟ هذه النظرية لا نفسر اصل اللغة، بل تريدها تعقيدا.

(د) نظرية الاستجابة الصوتية للمحركات العصبية

وتعرف نظرية L. H. V. وهي المصاعع الطبيعية التي تنمو بها الاسنان عندما تستعمل اعضاء جسمه في العمل اليدوي. فكأن هذه الاصوات التي يجرها غمويما عند القيام بعمل عصبى عصف تحفف شيئا من حدة العمل ومن هذا القليل اعية المجنوبين عني نهر الفولغا وانت اذا وقف الى جانب عامل يقطع صحرا او شجرة، او اذا راقبت حدادا او مجندعا او رجلا يرفع حملا فانك تسمع اصواتا ترافق حركاته وفي الحذاء وفي الرقص الابقاعى تسمع اصواتا تلائم والحركات الجسمية.

ولكن هذه النظرية ايضا غير حرة من اعياء الله، ويبقى السر العميق كيف نشأت اللغة من هذه الاصوات الغموية التعبيرية التي

ترافق حركات الجسم ؟ ما علاقة لفظ الالب والام والحسان والحمل
والجمال وهذه الاصوات التي هي استجابة للحركات الجسمية ؟ ليس
هنالك من علاقة ظاهرة .

« نظرية الاشارات الصوتية »

وللسر ريشارد باجت ^١ Poet نظرية جديدة لم تلاق قبولا .
ومعناها ان الكلمات هي اشارات صوتية *verbal gestures* . يقول باجت
ان الاسان القديم كان يتفهم اهم بالاشارة - الاشارة باليد والاشارة
بتقلص عضلات الوجه - ولكن عندما صار يستخدم يديه لأمور اخرى
اصح يشير الى الاشياء باصوات . وبما ساعد الاسان على ترك الاشارة
اليديوية والملاعبة والاستعاضة عنها باشارة صوتية هو ظلام الكهف ليلا
فعني النهار يرى الاسان صاحبه ويستطيع ان يقوم باشارات يدوية ترى ،
ولكن كيف يتم التفاهم في الظلام ؟ عددك بدأ الاسان بالتعبير عن
الاشياء باصوات . وهذه الاصوات في الغم تحاكي الاشياء المعبر عنها
ونعرف نظريته بطريقة ١٥ - ١٥ اي انك عوضا عن ان تشير الى شيء
بيدك تشير اليه بلسانك فتقول ١٥ - ١٥

وستطبع الفارسي ان يرى لعمه وجهه التكلم في هذه النظرية

Sir Richard Paget: Human Speech London and New York 1918 (١)

التي لا تفهم اصل اللغة ، ولكن حماس صاحبها دفعه لكثافة كتاب
ضخم في الموضوع .

(و) معرفة اصل اللغة عن طريق دراسة اللغات القديمة

عندما حدث زحف اللغات القديمة - السومرية ، البابلية ، المصرية
الحثية ، الكرتية - وعندما تعرف علماء اللغة الى اللغات المتأخرة
كلغات الهند الحمر والروح واهل اوستراليا الاصليين ، يقول ، عدد
الكشف عن هذه اللغات طوا وهما ان في دراسة هذه اللغات ما قد
يجلو العموص الذي نكتشف اصل اللغة . وسب الوهم ظههم ان هذه
اللغات بدائية وقديمة ، اذن قد تكون فيها عناصر « طق الاصل » للغة
الاسان القديمة . ولكن الواقع ان هذه اللغات ليست بدائية ولا هي
قديمة ، بل حديثة نسبة الى عمر اللغة . فقد اثبتت الدراسات الفيلولوجية
لهذه اللغات ان وراء كل لغة منها تاريخا مديدا لا يعلم له بدء ، وانها
ليست بدائية في صورها وبحورها واساليبها ، بل هي نتيجة تطور وتغير
مستمرين وقد وصلت الساهة اللغات تامة التركيب وليس فيها ما
يدل على بدائية اللغة قديمة جدا . يطرأ ان الاسان بدأ يتكلم منذ مئة
الف سنة ، وهذه اللغات ، وان اعتبرناها وهما قديمة او بدائية ، وان
وراءها عشرات الالوف من السنين كانت في عرصة للتغير والتطور
وقد وقع علماء اللغة في القرن التاسع عشر في وهم آخر فاصح ،
وهو ان اللغات التي اعبروها قديمة او بدائية سطة في تركيبها ، اذن
هي اقرب الى الاصل على اعتبار الساطة من مميزات اللغات القديمة

الدائية .

كان استادا اسود ساين Sagar ، احد اعلام علم اللغة ، واحد الثقافات في لعب اليهود اخمر ، نقص عليا الكثير من الطرائف في لغات هود اميركا . كان يؤكد لنا هذه النقطة : كلما رجعا الى الورا في تاريخ اللغات وجدنا مظاهر تعقيد وعدم مطلق ، وكلما تقدما نحو العصر الاحيرة من تاريخ اللغة وجدنا شبه اتجاه نحو التسطو والقياس والمطلق . يقول ان في لغة قبيلة بابا (بابا) في كاليفورنيا نوعين من المفردات ونوعين من التركيب واحد للنساء وآخر للرجال أي ان لفظة ست تكون كلمة معاربه في لغة النساء للفظه ست في لغة الرجال وهناك لغات لا تعرف لفظا واحدا عام لفكره عامة . ولا تستطيع التحرير . فانا نقول اكل حرا واكل لحما واكل عشا ، اما عندهم فكل نوع من الاكل لفظ خاص . فعل اكل في « اكل عشا » هو عيه في « اكل مورا » . ولا يعف الامر عند هذه العرائل بل نجد ان الفعل الماضي يكون غيره في المضارع وليس كما هي الحال عندما نقول اكل يأكل .

ان نقايا هذا التعقيد ونقاي عدم المطلق لا يزال ظاهرة في لغاتنا اخيه . حد التأست مثلا ، فان الانسان العدم كان يؤث المفردات لفظ معاير للفظ المدكر ففي العربية نقول .

رجل . امرأة

حروف نصحة

تيس : عرة

حصان : فرس

اسد : لبؤة

ولكن بعد من بدأ التأييد الصريح يجد مدخلا الى اللغة واصحها

يقول

لطيف : لطيفة

كبير : كبيرة

مؤمن مؤمنة

واليك مثلاً آخر على انعدام المطلق في اللغة بذكر العدد مـ مع المؤن وتأنيته مع المذكر فقول ثلاث ساء وثلاثة رجال اين الساطة وان المطلق « ولكن ماذا حدث على عمر الایام » يقول اليوم « ثلاث سوان وثلاث رجال »

يعود الى نظرية معرفة اصل اللغة عن طريق دراسة اللغات القديمة الدائرية فيقول ان دراسة هذه اللغات اثبتت اولاً انها ليست قديمة جداً كما توهمها ، وليست سائنة كما احسبها ان تكون ، فلم تستعصا في الوصول الى معرفة الاصل بل اسالا بران في الظلام

٥٥ دراسة لغة الاطفال

واخيرا ، مفضل تقدم العلوم التربوية والسيكولوجية ، اتجه هم
بعض الباحثين في شأه اللغة الى دراسة لغة الطفل من مراقبه بمواعضه
الطق واحراح الاصوات وكيف نكسب الاصوات معاني في الدهن .
ولكن دراسة لغة الطفل لم بعدما خطوه نحو حل المشكله . كيف شأت
اللغه وذلك لاسباب عديدة منها ان الطفل لا بعيد تاريخ شأه اللغه ،
لان اللغة مكسبه لا وراثيه فانه اذا حصل طفل هندي او عربي او
ياباني عن محيطه في يومه الاول ، وصع في محيط آخر ، كأن يضعه في
برلين او موسكو ، فانه يشأ لغة المانيا او روسيا ثم ان اعضاه الطلق في
الاسان ليست اصلا للطق فانه كان يوم لم تكن فيه لغة ، وههه
الاعضاه الحسميه التي نسميها اعضاه الطلق هي لاعراض جسمه اولا
ثم للطق ثانيا كاللسان والرتة والحجره وغيرها هذه الاعضاه اكتسبت
استعداداً ان تلبس لعمليات الطلق اما هي في جوهرها فلاعراض حسميه
اخرى . واهم من هذا كله ان لغة الطفل ، وعلى وجه التدقيق الكلمات
الاولي التي يطلق بها - لان ما يطلق به لا يطلق عليه اسم لغة - ليست
افعالا ولا اسما ، ولا حروفا ولا جملا مركبه من متدا وحرف اما هي
اصوات بدائيه لاعراض كثيره وللتعبير عن حالات كثيره فقد يحدث
الطفل صوتا يعني : انا مرعج . هل من يريحي ؟ وصوتا آخر يعني انا
جائع وصوتا آخر يعني انا انا لم من وجع نحن سجع على هذه

الاصوات معاني ، والطفل بدوره قد يفهمها بمعان ومجالات واستجابات ، ولكنه عندما يكرر بعينه المجموع ان يقول انا جوعان ، انا متألم ، انا سعد الح ، فالمجموع اذن يعطيه النعمة ، وهو يلعب دور المقلد لا المتكرر الخالق ، واذ المتكرر او خلق كلمات مثل كلمة « نبي » في لسان او « ان كعب » فلابد لا نقبلها منه ونقول له من « آكي » او قل « انا مسووط » اذن دراسة لغة الطفل لا تلقي كثيرا من البور على السؤال الذي عني به الفصل : كيف نشأت اللغة ؟ وانت ترى الآن لماذا لا بد من عالم النعمة هذه القضية في عداد العلوم اللغوية بل سركها لغويوم اخرى كالبيكولوجيا والاشروبولوجيا والميثولوجيا ان اللغة لم بدأ بالمطلق والفكر ، اذ لم يكن هناك مطلق او فكر عليا ، رساء ان نفش عن نشأة اللغة في نشأة الاسطورة وتطورها اذ ان الاسطورة ، اسمع في مدينتهما من سيح واحد ودوافعهما الحياية من معدن واحد .

من ثم رجع في هذه النسخة الى الاصل ، وراجع دراسة اسم المسمى .

Ernest Cassirer : *Philosophy of Language* (New York : Dover Publications, 1956)

اللغة والعرق والعقلية

وقد شغلت هذه القضية - اللغة والعرق والعقبة - نال علماء اللغة في القرن التاسع عشر ، اد حاولوا ، تحت تأثير علم الاثروبولوجيا والاثولوجيا ، ان يجدوا علاقة بين اللغة وبين عقلية الشعب الذي يتكلم هذه اللغة او تلك . وحاولوا ان يفسروا في اللغة ، ولا سيما في تركيبها ، اي في صورها ونحوها ، انعكاسا للميزات العرقية والاجلاق والمثل والطرف الى الحياة عند الشعب الذي يتكلم هذه اللغة . والدراسات التي عيت بطائع الشعوب وبميراثها المسية على اعتبارات لغوية صرفة كثيرة العدد وجميعا يذكر ارسن ريسان وحكمه القاسي على الشعوب السامية وعقليتها وصفاتها الخلفية ما ، على درس العبرة بوجه خاص . وامي اذكر قراءة مقال لعالم الماني بحث العاطف محتفظة وما تعكسه من صور ذهنية تعكس بنورها عقلية الشعب الذي يتكلم تلك اللغة ، ومسر جملتها لفظة *mentality* يقول ان هذه اللفظة العرية لا يمكن ان تنقل

E. Renan. Histoire de la langue et système comparé des langues Sémitiques, Paris

(١) وراجع ريدودور . وذلك عليه في مقاييس ارائهم ان اللغة السامية هي التي ترجع جميعها لدايرة المعارف البريطانية تحت عنوان *Semitic languages* الصفحة الثالثة عشرة .

الى لغة سامية، وادانقلت فاما بفقد الناحية الروحية العقلية التي
نصبها اللفظة العربية ويعرو هذا الحجر عن وضع لمط مدلوله مدلول
يقصه *into esse* الى طيعة العقل السامي الذي يقصه الشعب العقلي
والله الروحية اللذان يعكسها اللفظة العربية اذن لا يمكن الشعب
السامي ان يكون قد اسهم في خلق العلم والفلسفة والصناعات لان اساس
العدم والفلسفة والصناعات العقلية والشعب الروحي والرعة الملحقة
في استجلاء غوامض الكون.

وكان من حرصهم على هذه الدراسات اهم حاولوا تصنيفها الى
عائلات والطري في خصائص كل منها وقد صفوا اللغات المعروفة الى
ثلاث عائلات كبرى

١ - العاصلة *isolating*

ب - اللاصقة *Agglutinative*

ج - المتصرفة *Flexional*

فالعاصلة هي اللغة التي لا تتغير فيها شكل الكلمة (او الجذر) الى وقع
في التركيب. اما العلاقة الصرفية والنحوية بين كلمة واخرى في الجملة
تتوقف على موقع الكلمة في الجملة لا على نصريتها او على حالاتها
الاعرابية واللغة الصينية هي من هذا النوع فان الضمير انا لا يتغير
شكله، كما هي الحال في لغتنا العربية تعال للحالات الاعرابية والصرفية،
من يظل على شكله الاول، اما يتغير مركزه في الجملة، وهذا التعبير في

مركر الكلمة بدل على الحالة الاعرابية او على الوظيفة النحوية التي
تقوم بها الكلمة وابصارا لمسألة نقول ان في لغتنا نحن بتغير الصمير
«انا» الى «ت» في مثل «أكلت» ، ويتغير الى «ي» في مثل «أحس» ، ويتغير
الى «ي» في مثل كتابي ، وارا أكرهه قبا أيادي. اما في الصيغة فقال
أكل انا احب انا كتاب انا وفي حالة التاكيد انا انا

واللغة الانكليزية تحتفظ بعد اصغر من العائلات اللغوية الثلاث
وهي فاصلة ولاصقة ومتصرفة ومثان على مرها الاولى (فاصلة) هذه
الكلمات الخمس التالية

What you mean know
عديده ولكل عبارة معنى يحلف عن معنى الاولى ، ولكن بقي هذه
الكلمات على شكلها ، اما بتغير مرفوعها في الجملة ،

What you mean know
I know what you mean
at know what mean
What mean to know

الح

اما اللغات اللاصقة فهي التي لا يتغير فيها الجذر اما تستطيع ان
«يلصق» به في اوله او في آخره ، عناصر اخرى لخلق معان مختلفة
والتركية هي من هذا النوع ، وكذلك الانكليزية فانا نقول :

Reason reasonable reasonably unreasonable unreasonableness
Reason

وفي جميعها لم يتغير شكل الجذر الاصلي
اما اللغات المتصرفة فهي التي يتغير فيها الجذر او تتغير حركته ،

وقد مترج عناصر أخرى، أو عناصر أخرى مترج في أوله ووسطه وآخره،
 وفي جميع هذه التغيرات يختلف المعنى واحسن مثال علي تصرف
 اللغات هو العربية مثل كتب كُتِبَ كاتب مكتوب استكتب... الخ
 وقد عدوا هذا النوع من اللغات المتصرفة ارفع اللغات — ربما لان
 اللغات الأوروبية متصرفة! — وحسوا ان ادبي اللغات هي العاصلة،
 واللغات اللاصقة هي وسط بين الطرفين. وقد قروا الاولى، اللغة
 العاصلة، بالمجتمع الحضاري الدائري القائم على وحدة العائلة، وقروا
 اللغة الثانية، العاصلة، بطور البداوة، وقروا الاخيرة، المتصرفة،
 بالحضارة الحالية الراقية

ما لاشك فيه ان كثير من مفردات اللغة يعكس الى حد بعيد محيط
 الانسان الطبيعي، وإلى حد محدود بعض نواحي الحياة الاجتماعية
 والسياسية فالعربية مثلا قد احتفظت بطابع الصحراوي، واثروا
 الصحراء والعيش الصحراوي الصلي الرحلي سمو حليبا في كثير من
 مفرداتها في لغة اليوم ولكن يجب الا يسترسل في الاستنتاج المبني
 على نوعية التركيب اللغوي. فان علماء اللغة اليوم لا يجدون ان التركيب
 اللغوي يعكس مزايا خاصة، أو انه يدل على طبائع معينة أو اخلاق
 ومثل عدنا أو دينا حد مثلا التركيب اللغوي الذي يدل على الملكية (وهو
 في علم النحو الاضافة) يميز العرب عن غيرهم ملكية خالد للكتاب
 نقولنا « كتاب خالد » وعندما يسمع العربي هذه العبارة يفهم طبيعة

لعلاقة بين الكتاب المحكى عنه وحالده والاكتيري يعبر عنها بقوله .

The book of Khalid Khalid's book

او

Das buch des Khalid

ويعبر عنها الالماني بقوله .

Le vie de Khalid

ويعبر عنها الافرسي بقوله .

وانت ترى ان العاية قد تمت في جميع هذه اللغات ، وهي اظهار
علاقة الكتاب بحالده . ولا اعلم لشكل الذي لحأ اليه العربي او
الاكتيري او الالماني او الافرسي للتعبير عن الفكرة . ولا مبرر للقول
بان التركيب العربي احسن من التركيب الالماني او ان التركيب
الالماني يعكس عكس لا جدتها في التركيب الاكتيري . جميعهم
ارادوا التعبير عن شيء واحد وجميعهم نجحوا في التعبير عنه بطريقة
فعالة مفهومة عند الناس الذين يتكلمون هذه اللغات المختلفة . ان
اللغة تبيح لاسب ، وان نعزو الى التركيب خصائص عقلية وروحية
واخلاقية فامر مبالغ فيه جدا . علماء اللغة اليوم لا يشقون بهذه
الاستنتاجات الدعوية ، لا بل يحطون بالنس يحاولون ان يروا في اللغة
وتركيبتها انعكاسا للعقيدة والاحلاق فان في لغات مصر القائل
المتأخرة في الحصار تراكيب عجيبة ومقدرة على التعبير يسر وكفاءة
تفوق احيانا اللغة الالمانية .

والخلاصة يجب ان نعرف بين لغة وعرق وحضارة فها هم زوج

اميركا يتكلمون الانكليزية ولا يعرفون لغة غيرها واليهود الحمر الذين
هجروا ومواطنهم وأحرطوا في الحياة الاميركية لا يعرفون لغة غير الانكليزية.
، ، كان لغة حسانص عرقية معينة لا تلائم الا عرفا خاصا او عقليّة
خاصة او حصارة خاصة ، لما وجدنا ان اللغة الواحدة قد تكون مشاع
لأعراق عديدة واداة للحضارات مختلفة.

ليس هناك من لغة لها عقريه تفوق اللغات الاخرى ، وليس هناك
من عرق صاف خلق لغة خاصة بعكس عقليته وكل ادعاء بان هذه
لغة او تلك احسن اللغات واصح اللغات واعى اللغات واشرف
اللغات هو من باب المناهضة للغة شيء والحصارة شيء آخر ، واللغة
شيء والعرق شيء آخر ويجب الا يخلط بينهما

علم اللغة

(Linguistics)

ليس علم اللغة بمفهومه الحديث درس الصرف والنحو والبيان كما يدرس في المدارس الثانوية والمدارس العليا. هذا الدرس هو الجزء الميكانيكي من علم اللغة ولا يعنى علم اللغة بلغة واحدة بل يدرس اللغة بصورة عامة على أنها ظاهرة أساسية اجتماعية بيولوجية، أو هو جزء من درس المواصلات وهو علم تحليل الفكر عظيم الأهمية في توجيهها اللغوي والفلسفي لأنه علم له أوثق العلاقات بالفكر الفلسفي والدين والأدب والعلم وأسس الكلام أسر اللغة أساس جميع العلوم الأساسية. وهي طريق الأساس لفهم الكون والحياة

ولكن ما يؤسف له أن نطل هذا العلم الحديث أمرا مجهولا عند عامة المتأدين وموضع استهزاء عند عامة الناس الذين ينظرون إلى اللغة وعلمها أنها من الدراسات الفارغة التي لا علاقه لها بواقع الحياة، أو أنها من حملة همة الكمالات التي تنهى بها العقول الخاملة ولكن ما بسر له هو أن بعض الجامعات العربية (واحد بالذکر منها المصرية) بدأت

شيء له (علم اللغة) الدوائر وترسل العثات الى العرب لتخصص
في هذه الدراسات .

ونرى أن أحداً: هل تخضع اللغة للعلم، للعلم التحريبي
الطبيقي كما تخضع له عناصر الطبيعة القائمة للكم وللكيف، والجواب
عن هذا هو أن علماء اللغة في ريع القرن الأخير حاولوا محض
احصاء اللغة للعلم وقوايته كما حاول... محاول، علماء الاجتماع
احصاء الظواهر الاجتماعية للعلم وذلك لأن اللغة ظاهرة سولوجية
اجتماعية سولوجية، والأسلوب العلمي يطبق في هذه العلوم
جميعها مما الذي نسمع من تطبيق الأسلوب العلمي على اللغة على أساس
بأشياء بوصف ويحدد ويصف، محض للمختبر

وقد يفتقر أحدنا أن اللغة ظاهرة اجتماعية لا بليل لاحكام العلم الصارمة لانها في جريان او اسفاح مستمر (Continuar) وفي تغير دائم وكل ظاهرة حية متطورة متغيرة بأى التفيد. اما نحن فقد جمع طواهر الكون عند استقرارها وثوبها وفي هذا الاعتراض شيء من الصحة. ولذا نقول عندما اللغة اليوم ان وطبيعة عالم اللغة هي في المرتبة الاولى الوصف (Description) فانهم يظن ان اللغة على انها لغة الساعة التي يصممونها بها او على انها لغة القرن الرابع والخامس او التاسع عشر. وهذا الوصف الدقيق للغة في نقطة معينة من الزمان

والمكان هو العلم ذاته

ما هو هذا الأسلوب العلمي الذي أكثرنا الكلام عنه ؟ ان هذا
الأسلوب يتطلب قبل كل شيء مهضومة (Oubli) أي تحرراً عن
الدائيه ، تحرراً عن كل عرص وهوى وسابق معرفة ، والدخول بالملاحظة
والمرآة وتدوين هذه الملاحظات وبعد ان يتجمع لدى الدارس مقدار
كاف من المعطيات (Données) يصح بطريقه موفقة نظر انها تستطيع تفسير
هذه الظواهر التي لاحظها أو دونها ثم انه في الطور الثاني يتقدم
لافتحاح هذه الطريقه ليرى اذا كانت شامله لتعلل جميع هذه الظواهر
. هنا يثار في التعريب والاختار حتى سأكد من صحتها وكثيراً ما
يرى ان عليه ان يعيد النظر في صحة هذه استطره ولكن اذا سیر له
انها تستطيع ان تعلل جميع هذه الظواهر فانه يعلنها قانوناً أو قاعدة
علمية وقد طوى هذا الأسلوب في العلوم الطبيعية أولاً وكان من نتائجه
هذه الاكتشافات العلمية الباهرة التي دفعت بالإنسان صعوداً في الحضارة
الآلية ، وفي سعيه الخثيث للوصول الى حياه افضل مادياً وروحياً هذا
الأسلوب العلمي يطبق الآن في درس اللغة وقبل وصف هذا العلم
يجب ان يذكر شيئاً عن تاريخ هذا العلم

لعلم اللغة تاريخ مديد بدأ بالترجمة والاعراب والعرب ، فان
هذه الشعوب الثلاثة برزت في العلوم العلوية وليس لنا ان نتسبط في

تاريخ علم اللغة لأن هذا يخرجنا عن الموضوع ، ولكن نرى لزاما علينا
أن نقول كلمة في القرون الثلاثة الأخيرة .

القرن الثامن عشر .

ويعرف في تاريخ علم اللغة عصر الفيلولوجيا الكلاسيكية
والمقارنات اللغوية وقد جهد علماء اللغة في هذا القرن أن يتوصلوا إلى
معرفة أصل اللغة وكانت أكثر مباحثهم اللغوية افرج إلى حقل الفلسفة
منها إلى حقل اللغة وكانت حانئة جهود هذا القرن اكتشاف اللغة
المسكورية على مدى العالم السريوليم حور وإظهار العلاقة بين هذه
اللغة وبين الأعراف واللاسله الانكوسكوبية القديمة ومن ها
كانت السمة اللغات الهندوحرمايه او الهندو اوروبية او اللغات
الأرية نسبة إلى أريانا وهي إيران القديمة . كان هذا القرن حق قرن
الرومفطية في العلوم اللغوية

القرن التاسع عشر

وبعد هذا القرن في تاريخ علم اللغة قرن الدراسات التاريخية
التطورية للغة من صرف وبحر وتركيب ودرس اسباب هذه التطورات
والسعي لإيجاد بواقي عامه تتحكم في مصائر اللغة . في هذا القرن
حاول علماء اللغات أن يجدوا في اللغة إعادة سيره الشعب الذي يتكلم
هذه اللغة أو تلك وكانت لفظة فيولوجيا عندهم مرادفة لدراسة عقيدة

الشعب وحضارته . بكلام آخر كانت اللغة تدرس لغاية ولا تدرس
لداتها اللغة مرآة يعكس روح الشعب

وقد كان للعلوم البيولوجية في ذلك العصر اثرها في الدراسات
اللغوية . يظهر لك ذلك في استعمال كلمة « عائلة » « واللغة الام »
« القراءة » والمهد الاول للغة « وجمع هذه المصطلحات
وشيهاها مستمدة من علم البيولوجيا . وكذلك تسط علماء اللغة في
القرن التاسع عشر في دراسات معنى المفردات وتطورها في التاريخ
واصل شاهد على هذه الجهود قاموس أوكسفورد بلغة الانكليزية ولاروس
لغة الفرنسية

وكذلك قصوا وفعاً عبر محص في الجدل حول تصنيف اللغة الستة
الى ناعم العلوم الاجتماعية والطبيعية هل يدخل علم اللغة في باب علم
الاجتماع ، ام في باب السكولوجيا . ام في باب الفلسفة ؟
القرن العشرون .

اما القرن العشرون فيحق لنا ان نسميه في تاريخ علم اللغة القرن
الوصفي (Descriptive) لانه لا يعنى بالاحية التطورية التاريخية ولا يعنى
بالاحية السيكولوجية بل تتركز الجهود في وصف اللغة وصفا عديدا
دقيقا سواء اكان ذلك من جهة الصوت (Phonology) ام من جهة

اشكل (Morphology) أم من جهة التركيب (Syntax) وتمثل مدرسة
 مدر ، قسم اعوسيك وعلم اللغة ، هذا الاتجاه احسن تعثيل . فانك
 اذا كنت طالبا في هذه المدرسة وشاقت ان تعرف السب لماذا ، وكيف ،
 ولابة غابة حدث هنا في تاريخ اللغة ، ومنى حديث . لاحتاك الاستاد
 بوليه بحر ها لسا في دائرة التاييح ! لا بهما «لماذا ؟» ولا معنى
 بالاسباب والعلل لانما لا يعرف الاسباب والعلل لماذا رفعوا الفاعل
 ونصوا المفعول به ولم يمكنوا الامر ففصوا الفاعل ورفعوا المفعول . ولو
 اهم فعلوا هذا قبلنا المطلق دانه بهما تقرير الواقع اللغة في نظرا
 هي اللغة الخاصرة ، لغة الساعة التي انت فيها ، وعلمنا هو ان نصف هذه
 لغة على مراتب : مرتبة الصوت ، ومرتبة الصرف ، ومرتبة
 النحو او التركيب ، ومرتبة الاسلوب والبيان ، وغيرها من مراتب
 وعندما يتم وصف اللغة ، ومنى نجمع لديها جميع المعلومات الاساسية
 عندك بحق لنا ان نعلم ، او ان نشير الى الاتجاه ، او ان نطرق الى
 التاريخ ، او ان نتحدث الى المستقبل نحن لا ندرس اللغة درسا حديسيا
 بل واقعا .

ما هو علم اللغة وما هي مادته ؟ ان علم اللغة من العلوم الحديثة

١ . مرتبة ترجمة اللغة العربية
 التركيب من اللغة في دراستك هذا يكون على مرتبة الصوت
 و دراستك في هذا علمنا ذلك معنى مرتبة التركيب المصفي Syntactic structure . . الخ

التي لم تستقر بعد ولم تتخذ شكلاً معيناً محدداً كما هي الحال في بقية العلوم . وقد مر هذا العلم في طورين . ففي الطور الأول كانت مواد هذا العلم تنحصر في

General linguistics

(أ) علم اللغة العام

Comparative philology

(ب) علم المقابلات اللغوية

Historical linguistics

(ح) درس التطور التاريخي والسحوي

أما في الطور الثاني فقد اشتمل هذا العلم إلى جانب ما ذكرنا جموعاً أخرى

(أ) الحقل العبراني — السولوجي

(ب) الحقل السيكلولوجي — الفلسفي

(ح) الحقل اللغوي الصرف من جهة وصفية بحثة لا من جهة

فلسفية

أما علم اللغة العام Comparative philology فيسمى باللغة اصطلاحاً أي أنه لا يحصر همه في درس لغة واحدة بل يساوي اللغة كظاهرة إنسانية اجتماعية ، فيدرس بواحيها العامة من صوت وتركيب واسلوب ، ثم ينظر في تطورها ونموها وتحولاتها إلى لهجات ، وينظر في أثرها في المجتمع . أما علم المقابلات اللغوية Comparative philology فيسمى بمقابلة لغة أخرى للوقوف على المشترك وعلى المختلف بينهما ، ويدرس التطور التاريخي والسحوي كما يظهر في مقابلة صرف لغة بصرف لغة أخرى

ويعاود أن يجد في هذه المعاللات ما يلقى النور على الاسباب والعلل
 واما درس التطور النحوي والصرفي *historical grammar* فيعنى بدراسة
 صرف وبحول ما دراسة تاريخية وقد سطر احكاما في الصرف النحوي
 (*Living grammar*) أي صرف اللهجات وبحولها على يجد فيه ما يفسر ما
 عمص في دراسته التاريخية اما علم اللغة في الفترة الأخيرة فقد
 تناول كما اشرنا حقولا ثلاثة يجب ان نقتطع عندها قليلا لعرض
 على القارئ العربي اسلوب الدراسة العربية الحديثة للغة

الحقل النيزيائي - اليولوجي

هذه الدراسة تعنى بالاصناف اللغوية من ناحية الحسية
 (المرحلة) والعربية () فان الصوت بحري هو اني بدأ
 في الرنين، الى الحجة، الى الهم، ان يخرج الهم ولكن هذا المجري
 الهوائي في ميره من الرنة الى الله تكريم وسجود وسير تبعاً لما
 بعد من سيره من حواجره غقات يصعب في سيره كل من الاوتار
 الصوتية، فحر الحث، فالسان، فالاسان، فالشعاع وتستطيع
 ان تدرك هذا لتعسك اذا قاربت بين النص العادي والناطق باصوات
 لغوية فانك اذا دعت بالهواء من رثك فانحافلك وماذا الاوتار
 الصوتية ومؤخر الحث والسان والشعاع من ان تعترض المجري الهوائي
 فلا يحدث في هذه الحالة صوت لعوي، بل يحدث ما نسميه نفساً

عادياً ولكن هذا المحرّى الهوائى ذاته اذا اعتبره معترص تعبير وبحور
وعندما نقول ان في اللغة انقلابية ٢٨ او ٢٩ صوتاً يعرباً فاما يعي علمياً
ان المحرّى الهوائى من الرئـة الى الشفتين يتحور ويعبر الى ٢٨ او ٢٩
صوتاً مختلفاً.

وبلاحظ الفارى ان الحقل الفيزيائى — البيولوجى — نسأول
الاصوات اللغوية من ناحيتين فيزيولوجية جسميه ومعنى بعملية النفس
ووصف انحاء النطق ، الحجرة والاوتار الصوتية ومؤخر الحنك والنهاة
والاىف واللسان والشفـتين وكل عضو آخر قد يشترك بعملية النطق ،
وفيزيائية ومعنى طبيعة الصوت (Acoustics) ودرس الاصوات اللغوية
من هذه الناحية يعرف بعلم الصوتك (Phonetics) وهو من الدروس
التي تفرص فرصاً على كل من اراد التخصص في علم اللغة ، لانه درس
اساسى وكما ان الطب لا يمكنه ان يصح طبيباً اذا لم يكن قد
اتقن اولاً درس الفيزيولوجيا ، هكذا طالب علم اللغة لا يستطيع تحليل
كثير من الظواهر اللغوية كالاغلال والادغام والاشمام والامالة والتفحيم
والاحتلاس والتلين واحتلال النظام الصوتى وشوء اللهجات اذا لم يكن
له معرفة بطبيعة هذه الاصوات وبالقوانين التي تتحكم بها .

وليس لطالب علم اللغة ان يكون في بولوجيا يتخصص في دراسته
الجسم كله ، وليس له ان يكون عالماً فيزيائياً اما طبيعة اللغة وطريقة

ينطق بها تتطلب معرفة عامة لغير بولوجية الصوت وفزيائيتها وقد
 اشأت الجامعات الكبرى دوائر خاصة لعلم الصوتيات لها أسانديها
 ، تختبرها ومكانها وأذا قيصر لك ان تروى احدى هذه الجامعات
 ، حيث ان تختبر الصوتيات بالآلة المصورة والمجلة واشعة اكس لا يقل
 بعينها واهمية عن مختبر الفيزياء ان دراسة الصوت من ناحيته
 لغير بولوجية والفيزيائية تعتبر في علم اللغة مقدمة لـ (Foucault) مقابلة
 به باللغة ذاتها من حيث هي اصوات تقرر معان (Foucault) ومقابلة
 لدرس الحفلي بما يسمونه الآن (Foucault) اي ما وراء الظاهرة
 الطبيعية للغة ، اي علاقة اللغة بالعكر والآداب والفلسفة .

الحقل البسيكولوجي - الفلسفي

وقد المعنا الى اهمية هذا التدرس ، درس بسيكولوجية لغة ، عندما
 جاء ما هي اللغة ؟ وقد مثلنا الفارسي ، بعد انه الولد الذي طاب الى
 ان يطلو تفاحه له . واما دار به من كلام . وها ان عمليه التكلم
 من ساطع الظاهره . عمليه معقدة جدا تناول الصور الذهنية التي
 بها تأثرا بالعالم الخارجي ، والكيفية التي بها تتغير هذه الصور الذهنية
 الى صور صوتية تعبيرية (Foucault) وقد سأنا امثلة عدة عما
 يجري في الدماغ وكيف يجري ، وكيف تحضر امكلم المفردات ،
 وكيف يكون لهذه المفردات معان مقرر في النطق . وهناك مشاكل

سيكولوجية فلسفية أخرى لها علاقة وثيقة باللغة ما هي أصنام الكلمة؟
 انعلم أن علماء اللغة ليسوا على رأي واحد بل تختلف آراؤهم عن هذا
 السؤال كثيرا (من ٢ الى ٣ الى ٧ الى ١٧) ثم ما هو تحديد الفعل ؟
 ما هو الاسم ؟ ما هو الحرف ؟ وهل التعاريف القديمة صحيحة دقيقة ؟
 وما هي وحدة الكلام ، الكلمة ام الجملة ؟ هل صحيح ان الجملة هي
 المؤلفة من متدا وحرف او فعل وفاعل ؟ وما قولك بجواب مفيد مثل
 " نعم " حواليا بسألك هل هذا هو المظنم الذي سأكل فيه ؟ هل
 " نعم " جملة مقصده ؟ وقد لا يقول " نعم " بل يكفي بإشارته بالرأس
 او بالتعبير في الملامح او بسوع من النجدة التي تعيد ما تعيده نقطة نعم
 هل هذه من اللغة ؟ السيكولوجي يقول نعم هي . الفعل المؤثر
 خارجي وهناك قصة المعنى (Meaning) وكيف تتكون في النفس
 وكيف يقرن بمجموعات معينة من الصور ثم هناك قضية الفلسفة
 والمنطق هل يصلح اللغة ان تكون أداة لهما ام انهما يتعوق التفكير
 الفلسفي لأنها ظاهرة قديمة شأت عدد ما لم يكن هناك فلسفة ؟ وأخيراً
 وهذا اعتقد المسائل اللغوية ، هل هناك فكر مجرد ، اي هل هناك فكر
 او تفكير بدون كلمات ؟ جرب ان تفكر بما مال نفسك هل استطعت ان
 تفكر او ان ادرك الامور بدون كلمات ؟

ان هذه القضايا على غاية من التعيد والعموص واذا انت

جمعت فهرس المكتبة اللغوية (أي الكتب التي تبحث علم اللغة) لبحث العديد من المجلدات الضخمة المورعة بين حقول الفلسفة واللغة والسيكولوجيا والتربية التي تبحث هذه القضايا ولكننا نحن لا نعدنا شأننا من اهتمامنا وعلماء اللغة يحاولون أن يجدوا لهذه الأسئلة أجوبة مقبولة وتراهم في شبه تنافس عسفي مع السيكولوجيين الذين يقولون إن اللغة ظاهرة سيكولوجية أحماة واسعة. إذاً علمها بمعنى علم السيكولوجيا يقول علماء السيكولوجيا لعلماء اللغة لقد حاولتم في القرون الثلاثة الأخيرة أن تحلوا مشاكل اللغة ولم يفلحوا فإتركوها لنا الآن'

الحقل اللغوي الصرف

ومن الناس من يصرف إلى درس لغة ما دراسة وصية تقريرية دون سطر أو ملاحظات الإحصائية والفلسفية والسيكولوجية. فيحصر همه في وصف أصوات اللغة وأحكام التركيب ووضع المعجم (أي مفردات اللغة) حسب أسلوب علمي دقيق

نرى دارس اللغة بين «لغة قديمة» و«لغة حية» فالقديمة هي التي

١١ من هذا القسم كتب الأستاذ : B. Kantor An Objective Psychology of grammar, Basington . 30

وصلتنا من نقطة معينة في الزمن حسب مبادئ مدونة . واعتمادا في هذه الدراسة التقليد Tradition واحسن مثال على هذا النوع من الدراسة العبرية كما تدرس في الجامعات ، او العسكرية كما كان ينطق بها الدراما في الالف الاول قبل المسيح والعبث في هذه الدراسات ، في نظر عالم اللغة ، هو انها لا تعتمد النطق بل الكتابة ، والكتابة غير النطق الكتابة رمز النطق اما النطق الصحيح والتركيب الصحيح فهو الشائع على السنة الناس لا المدون في الكتب ولكن هذا لا يعني اهمان درس اللغات القديمة او الانتعاش من قيمتها . كلا اما اللغة في نظر عالم اللغة هي اللغة كما وصلت اليها في اليوم الذي فيه ندرس تلك اللغة . اللغة الحية هي لغة الناس .

وإذا فرّق عالم اللغة بين قديمة وحديثة فانه لا يفرق في اسلوب الدراسة وهذا الاسلوب ، الذي يمثل مدرسة لندن احسن تمثيل . يعتمد اولا تسجيل اللغة ، بالهجة النوي - رسميا ، فيؤتى بالناس يعتقد عند اللغة انهم حيز نمطين لتلك اللغة فيقرأون او يقصون او يتحدثون عن امر ما على رسلهم وبطريقة طبيعية وفائدة التسجيل هو ان الباحث يستطيع ان يردد على مسامحة لغة المسجلين مرارا وتكرارا وفي اوقات تحلو له . ثم يبدأ بدرس المدون حسب ما اصطالحوا عليه بالمراتب (levels) هناك المرتبة الصوتية Phonological level اي ضبط دقيق لطعام

الاصوات اللغوية ، واختلاف الطلق بالاحرف المصوتة ، وتسجيل اثر
حرف في آخر ، وما الى هذا العلم من فيل (وهذا جزء من هونتيك
اللغة) ثم تنو هذه المرحلة درس التركيب وتعرف بالمرئنة التركيبية
Morphologia ev وكلاما العادي صرف اللغة ونحوها . ثم ياخذ
بدرس مفرداته ابعة ev د وهالك مرة ابيرة Semonac ev اي
المرئنة المصوية التي تعنى بالمعنى وتطوره

وتجدر بنا الاشارة الى هذا العلم عند العرب . فساهم كاليهود
والاعرنيق برروا في هذا الحق ، وذلك لمقام الصراة الكريم في حياتهم
السبية والاجتماعية . ولكن ، وهذا مما يؤسف له ، لم يعتز لعويو العرب
النهجيات ، ولم يصر وا الى اللغة انها ظاهرة اجتماعية حنة نامة مطوره ،
بل اقتصرت جهودهم على درس وتنويع لهجة معية في الرمان والمكان .
وحرصوا على صط احكامها وفواعدها لكي لا يحد التعبير اليها سبيلا
ولكن اللغة لا تعرف التحديد ولا تقلل سالحمود بل اللغة سبل جمار

Continuous flux



اثر علم اللغة في تفكيرنا اللغوي

لعلم اللغة الحديث، كما وصفا لك باقتصار كلي في الفصل السابق،
اثر عميق في تغيير نظرنا الى اللغة ووظيفتها واثرها في الفرد ويحس
بما اضاحا للامر وايجارا في البحث. ان نذكر على شكل نقاط اهم
النتائج التي اسفر عنها هذا العلم، والتي كان لها نصيب في تغيير نظرنا
التقليدية القديمة :

(أ) ليس هناك لغة افضل من لغة

(ب) للغة محرى

(ج) ليس هناك لغة رديئة واخرى جيدة

(د) لا اعتبار للكثافة وفوائدها في علم اللغة اما التمسار للفظ

(هـ) اللغة اكثر من هويات

(و) توافق اللغة والفكر وتعاظلهما

(ز) ان الوحدة الكلامية هي اللغة النظم الحديث

(ح) ليس للغة كيان بدون الانسان

(١) ليس هناك لغة افضل من لغة

لقد اثبت علم اللغة الحديث ان اللغة ظاهرة اجتماعية يتميز بها

كل مجتمع اسامي وهي ظاهرة اسامية لا علاقة لها بالالهة . ولم تهبط
 من عل ، بل نشأت من أسفل ، وتطورت تطورا الانسان ذاته ، ونمت
 مع حضارته . وليس هناك من ممر للمفاصلة بين لغة واحدة واخرى ، كان
 يقول احدها ان في الالمانية عقرة لا يجدها في الالمانية ، وفي الالمانية
 مقدرة على التعبير لا يجدها في التركية . لكل لغة عقريتها ومفرداتها على
 التعبير عن حياة المجتمع وليست القصيدة قصة لغة انفصلت عن لغة بل
 قصة حضارة ارقى من حضارة وحياة اعلى من حياة

وكذلك لا مفاصلة في اصوات اللغة كأن يقول احدها ان في
 الالمانية اصواتا اعذب موسيقى من اصوات العربية . فالذي بعده نحن
 البصر عدوة في الصوت قد بعده الهندي الاحمر قمحا وحشوة ، وما
 يحسنه يابا وفصاحة قد يرى فيه الرجعي عموصا وبقيدا

، لا ممر للقول بان مفردات لغة ما اكثر عددا من مفردات لغة اخرى
 ، قد يكون عددا نحن البصر للصورة الذهبية لفظة خاصة تعبر عنها ،
 ، بما وجد ان الصفر او الحمر او السود من الشر لا يشعرون بان هذه
 الصورة الذهبية تحتاج الى لفظة خاصة بل قد يعرفون عنها بطريقة اخرى
 محببة ولكن فعالة . وقصة المفردات لا تدحس في صميم اللغة .
 ونحن نباهي مثلا ان للشيء الواحد عددا اسماء عديدة ، ولل فعل
 الواحد افعالا عديدة ، ولكن غيرنا يرى في ذلك اسرافا .

والمعردات تهرم ويموت ويحل محلها معردات اخرى . وقد نقس اللغة
معردات حضارة اخرى ارقى وهما يكرر القول ان القصيدة ليست
قصة شعب راق او شعب متأخر ، لانه عندما يرثي الشعب وتحرر
افراد المجتمع من قيود الرحمة والتقليد تنطبع كل لغة ان تسير
الحضارة بنسائها الخاص قد يجد المجتمع نفسه مضطرا للتوليد
والترجمة والافلاس ، ولكن هذا لا يضير اللغة بل يرسها على

(ب) لغة مجرى

لكل لغة مجرى تجري فيه حتما وهذا المجرى يتشعب الى محار
اخرى مختلفة وكلما بعد المجرى عن نقطة الانطلاق ارداد التباس
والتمايز من من عامة الناس يصدق ان الارمن والارمن والروسية
والامانة والارلندية واليونانية واللاتينية والاسكندنافية ، على ما بينها من
ساين واختلاف ظاهرين في المعردات وفي الصرف والاصوات
واساليب التعبير ، نقول من من الناس يصدق ان هذه اللغات تمثل
مجاى متشعبة من مجرى واحد ؟ وقل مثل هذا في اللغات السامية ، فان
العربية والعبرية والبالية والميسية والسريانية والحشية تمثل مجارى
متشعبة من مجرى واحد ولا يقف الامر عند هذا الحد بل ان هذه
المجاى تشعب بدورها الى محار جديدة فمن اللاتينية تحدرت لغات
حية هي الفرنسية والابطالية والاسبانية وهذه بدورها ستحل الى لهجات

متعددة يموت بعضها بالاحلال المجتمع ويعيش بعضها الآخر تناسكه
ويموت .

فاللغة تشبه نبتك الشجرة التي تتدلى فروعها الى اسفل فتلاصق
اثرة وترسل في الارض جمورا تصبح اشجارا فية فيما بعد وقد
تموت الشجرة الأم ولكن من فروعها تنشا اشجار جديدة وادا قلنا ان
اللغة تموت فانما نقصد بالموت التعبير الكلي الذي يطرأ على المجتمع ،
والتبدل الحثري في الحياة وفي الظروف المحيطة بالحياة الى حد يستطيع
فيه القول ان لغة اليوم معايرة للغة أمس .

قد يستطيع يسر ان يطيل حياة لغة ما باقامه سياح حولها من
احكام شديدة وقوانين ثائرة ، وقد يقيم حولها هالة من التقديس ، وقد
يصفي على دهبها مسحة من العنسية ، وجمع هذه تطيل في حياتها ،
لكن لا مفر من المحكوم الموت وكل حتى يموت ، واللغة حية وهي
حاصلة لهذا المأموس ليس في عريتنا المصحى اليوم كثير من المماثل ؟

(ج) ليس هناك لغة رديئة واحرى جيدة

ولست ادري كيف سيتقبل العرب هذه النتيجة التي اسعر عنها
علم اللغة الحديث . فاما قد اعتدنا ان نعتبر المصحى لغة جيدة والعامية
لغة رديئة وكذلك اعتدنا ان نحترم «السلطة العليا» في اللغة محمول : قال
قال فلان وورد في شعر فلان . ولكن علم اللغة يقول لا سلطة عليا

الا للناس ، وما يقوله الناس هو الصحيح ، وإذا كان صرف العامية
وحوها يختلفان عن صرف الفصحى وحوها فليس معنى هذا ان العامية
خطأ أو لغة رديئة هي خطأ بالنسبة الى الفصحى ، ليس بالنسبة الى ما
يقوله الناس .

اللغة الحيدة هي التي نقوم بوظيفتها على اكمل وجه ان في الفهم
والافهام ، او في التعبير عن دواخل الناس بسـ و سون احهاد ويمتر
علم اللغة كل كلام يخالف ما عليه الجمهور الشدود بعينه وليس معنى
هذا ان لا اعتبار للغات الكلاسيكية القديمة . او ان ليس لها قيمة ، بل
الامر عـ الى عكس هذا ، اما تعتبر هذه القضايا قصاا تاريخية لها اوثق
الصلة بتاريخ الشعب وتاريخ لغته ولكن اللغة الحية هي التي وصلت
في محراها الطبيعي الى النقطة التي نحن فيها ، كما هي في النقطة التي
نحن فيها هي اللغة الصحيحة فتو ان متحدثا في مقهى مسا نادى
«يا'علام احط' لي قدح ماء» بالاعراب السام . ولو افترضنا ان
الساميين لا يعرفون ان هناك لغة عربية فصحي معرفة فكان رد الفعل
عندهم . هذا الرجل لا يعرف كيف يتكلم باللغة الصحيحة اد عليه ان
ان يقول : يا'ولد حسن' مي' او سا ولد هاب كناية مي' (وفي
العراق كلاس (goss) مي) هذا هو المألوف وهذا هو الصحيح .

ان قضية فصيح وغير فصيح لا تدخل في نطاق علم اللغة بل يدطر

اليها انها مسألة تاريخية سياسية بحتة فالألمانية التي يتكلم بها أهل
 ورنسبورغ ، والألمانية التي يتكلم بها أهل الألزاس ، والألمانية السويسرية
 في نظر علم اللغة لغات مستقلة فائده بدايتها حرية بالدرس والتدريس كما
 تدرس اللغة الألمانية الفصحى (لغة المسرح) التي ليست سوى لهجة لوثر
 التي ترجم التوراة إليها ليقرأها الناس رغم معارضة الكنيسة وهذا
 أعجب الألمان بهذه اللهجة المرمية إلى أنه القرينة إلى فهمهم فاعيدوها
 لغتهم الفصحى ، ولو أن مسرح التوراة ، لوثر ، كان من الألزاس أو
 من الغابة السوداء لاصبحت واحدة من هاتين اللهجتين لغة ألمانيا
 الأدبية .

أذن ارتفع اللهجة إلى مصاف اللغات الفصحى ووقف على سلطنة
 خارجية أو على ظروف خاصة ولكن علم اللغة الحديث لا يعمد
 سلطنة سوى سلطنة الشعب فلا يحق لنا مثلاً أن نرغم أن لغة القرن
 الرابع أفضل من لغة القرن الثاني أو السادس ، ولغة الكتاب الأحمر
 أحسن من لغة الكتاب الأزرق ما يقوله الناس ، وما يكنه أساس ،
 هو الصحيح ، وسوى هذا فقصبة تاريخية سياسية دبية .

أثار جون هاليس (Hollis) في القرن السابع عشر مسألة الفرق بين
 معنى will وبين معنى shall وشدد في التفرقة وقد ناعه صرعيون من بعده
 ولكن من من ملايين الناس الذين يتكلمون الانكليزية يعرف الفرق

النقيض بينهما^٤ ، واما عدم هذا في الصف فهل يفرق بينهما في لغته
 العادية اليومية^٥ نقول ادورد ساير في كتابه «اللغة» ص ١٦٦ - ١٧٧
 ان لفظة whom مهما حرص الناس على المحافظة عليها ، في طريقها الى
 الموت ، ويعتقد ساير ان السؤال المعلق به من ناحية قواعد اللغة
 will did you see سيكون الشائع الصحيح ، وان الشكل الصحيح
 will did you see سيكون موضع استعراب واستهجان بعد قليل
 واكثر علماء اللغة يقدرون نظريه ساير لانه اذا كانت اللغة للفهم والافهام
 فان احسن لغة وافصح لغة هي التي تفهم وتفهّم باسر ما يكون من
 الجهد .

(د) لا اعشار للكتابة وقواءدها في اللغة ، اما الاعشار للنطق

ليست الكتابة من جوهر اللغة اللغة اقدم من الكتابة ، والكتابة
 عرض اللغة بحمزة اصوات لغوية ، والكتابة رموز لهذه الاصوات
 شأها في ذلك شأن رموز قطع موسيقية الرمز الموسيقية ليست
 الموسيقى وقد يكون رموز الكتابة حروفا لاسه او عربية او هندية
 شكلها اجمل من شكل الحروف الخاصرة ، فقد نرمز مثلا الى الفوسم - ن -
 شكله اللاتيني n او صورته الكتابة في اللغة الصينية او شكل هندي
 مبسوط لا فرق في ذلك كله شرط ان يكون لهذه الرموز المحملة قيمة
 صوتية مصطلح عليها .

و مثل لك على صحة هذا - من ان الكتابة عرص واللفظ جوهر -
 مثال من لغتنا العربية فمن المقرر المعروف ان كتابتنا العربية غير
 لشكله اشبه بهيكل عظمي للكلمة لا حياء له الى ان يسع القارئ عليه
 حجة «صاغة الحركات و احراج النطق الصحيح و ينطق هذا القول ،
 و حد ما ، على جميع اللغات و لكنه ظاهر الوضوح في العربية الخالة
 من الحروف المتصورة - حد مثلا حمزة «من علمي حرفاً صرت له عبداً»
 فاما مجموعة حروف صامئة لا يمكن أحد الناس ان يقرأها ما لم تكن
 معرف مسبقاً انها كتب و كتب في اللفظ و يترك القارئ هذا الامر
 «صوح اذا كتبا الحمزة بالحرف اللاتيني فانها تكون هكذا -

و صاهر ان كتابتها لا يدل على لفظها مطلقاً ، اما يستطيع العرب
 و انهم لا يفهم بحرفيها مسبقاً - ادن الكتابة ليست اللغة بل اصطلاح
 يتوهم الفاظ اللغة ، وقد يكون هذا الاصطلاح حساساً يدل اللفظ يسر
 ووضوح كما هي الحال في الحرف اللاتيني ، وقد يكون اصطلاحاً
 موهو كما هو في الكتابة الصورية او كما هو في الحرف العربي الحال
 من الحركات .

ويجب ان نلاحظ ايضا ان اللغة لا تعرف الحمود ، فهي ابداء في
 مستمر يسمو الكتابة حاملة ثمة محافظة . ولذلك ترى فرقاً عظيماً
 بين الكتابة واللفظ ، ذلك لان اللفظ يتغير ولكن محافظة الاساس على

شكر الكتابة تجعلها تسكن في المؤخرة فالانكليزي يكتب *to go* ويلفظ *to* ويكتب *to* ويلفظ *to* وكذلك الافرنسي فانه يكتب *à manger* ويلفظ *manger* وعندما تهب طبقات الشعب مطالبة بالتغيير هما وفي انكلترا وفي فرنسا تصطلم برغبة عينة. ولكن سيأتي يوم. وهو قريب، عندما يدرك كل انسان، وليس علماء اللغة فقط، ان الكتابة عرص والاعط جوهري وهذه القصبة، بالسه الياسبح العرب، امر يحب ان يدركه علي وجه الصحيح لان حرفها من اعقد مشاكل اللغة.

ياخذ علماء اللغة المعاصرين على الصريين الكلاسيكيين ممأ اع ابرهم الكتابة مقاياسا لده فحالت اكثر قواعد الصرف والحو في كثير من اللغات قواعد كتابه لا قواعد نطق وفهم وافهام ولهذا فان الصريين القدماء ان المكتوب يحط ثبات وان اللغة جسم حي نام متطور وكل قانون مبني على المحيط الثابت يؤدي الى تسخه بحمة هروى شامع المكتوب والمقروء

الصريي يحمد اللغة ويومعها عند حد معين ولكنه في عمله هذا يشبه رسد يصع سياجا من قصب في وجه دابة من فولاد ؟
(ه) اللغة اكثر من فونيات

ليست اللغة مجموعة كلمات مركبة من هويمات، وليست اللغة

رموزاً كتابية هذه من الامة ، وجزء هام من اللغة ، ولكن اللغة فصلا
عن هذه ، حياة . فاما عندما نتكلم لا تتعوه سلسلة من كلمات على نغم
واحد دون احساس او شعور كألة ميكانيكة تردد اصواتاً لا حياة لها
كلا ، بل في اللغة عنصر هام هو العصر الانساني الذي يصفي على اللغة
مسحة من تأثير السحر والجمال .

هل سمعت شاعراً يلقي قصيدته هو دانه ، حد القصيدة دانهما
واقراها انت لنفسك ثم أصع الى ناطمها يد . أما فاك تجد فرقاً عظيماً
بين قراءتك اياها وبين قراءه الشاعر . الفرق في العصر الانساني فاما
عندما نتكلم مرفق كلاماً ، وسون تكلف وتصنع ، شيء من الاحساس
والعاطفة والصوت المخصص احباً والقوي احباً اخرى ، والعم ،
والبرة ، والاشارة الخفية باليد ، وابعمالات تظهر في ملامح الوجه
واحيايا سكرم وكان الجسم كله يشترك في هذه العملية ثم اما نحاطب
اطفل ندمه ونعزم يختلفان عن لغتنا ونعما عند كلامنا مع الرئيس
والصديق او الحبيب او الخادمة هذه الاصافات هي من صلب اللغة
ولكن لا تظهر كتابة انها من اللغة . وادا كنت في شك من ذلك - من
انها جزء من اللغة لا يفصل عنها - تمثل لك تمثيلين من الحياة : المسرح
وقراءة الاولاد في قاعة الدرس .

ادكر اني شاهدت رواية تمثل على مسرح منس مارج لندن

اعجب بها الجمهور الى حد ان الرواية ظلت تمثل مدة ستين واذكر
ابي قل مشاهدتي الرواية قرأتها في طعة رحيصة ثم السعة شل
ولا اطل ابي استمعت قراءتها ولا احدث ما فيها من احاديث وبكات،
من حنون وفلسفة، من كتب وصدق، من رياء واحلاص، ولكن
شمرت شعورا يختلف تمام الاختلاف عندما شاهدت الرواية عـ الى
المسرح استمعت كثيرا وصحك كثيرا وفكرت كثيرا وتأثرت كثيرا.
ولماذا؟ ذلك لاني عندما قرأتها لم المس العنصر الاساسي، اما على
المسرح فاشعاص الرواية احياء ينكلمون وفي كلامهم حياة، واحيانا
كثيرة لم يتكلموا، ولكن الجمهور كان يقرأ، ويمرأ بوصوح، ما يحول
في عقولهم وفهمهم من افكار وعاطفة. كانت عيوبهم وملامع وجوههم
وحركات احسادهم تتكلم. ليست اللغة موميئات فقط، لغة حياة وهي
العنصر الانساني

هل دخلت غرفة درس واصعبت الى الاولاد يقرأون؟ هــالك
معلمون ومعلمات ادركوا ان القراءه العمالة هي التي يكون فيها
العنصر الاساسي طاهرا قويا مؤثرا، فيطلب المعلم او المعلمة الى التلاميذ
ان يرفعوا الصوت ها وان يحفظوه هاك ها سؤال وهاك جواب،
ها شدة وهاك لين، ها فرح وهاك حزن، ها استعطاف وهاك طلب،
وفي جميع هذه الحالات يجب ان يظهر المعنى بواسطة اصافة العنصر

الإنساني الذي لا يراه في السطر أمامك ، وما يؤسف له أن في مدارسنا العربية لا ترال القراءة نوعاً من الترتيب الميكانيكي وعلى نعم واحد مزعج من أول الصفحة إلى آخرها .

(و) توافق اللغة والفكر وتفاعلها

كثيراً ما تثار قضية وجود فكر مجرد بدون لغة أو رموز . وقد تثار القضية بشكل آخر . ليس الفكر واللغة وجهين ، أو مطهرين ، لعملية سيكولوجية واحدة ؟ وأكثر ما تثار هذه القضية في حقول المطلق والعسفة والسكولوجيا . وللعلماء فيها آراء مختلفة وأحياناً متناقضة . وما يدعو إلى هذا الخلاف والتناقص في الرأي حرص المشتغين بحل هذه القضية على إيجاد جواب حاسم . نعم هناك فكر مجرد بدون رموز ، أو لا ، ليس هناك فكر مجرد بدون رموز وطاهر ، إلى وقتنا هذا ، إن المسألة لا تتحمل المحرم سلباً أو إيجاباً . فإن كثيراً من الكلام لا يدخل في نطاق الفكر كما نفهم اللفظة بمدلولها العام . فإني عندما أقول : « تمت الليلة بوما هانتا » فإني لا أعبر عن الفكر إنما هو رد فعل بسيط لحالة جسمية شعرت بها . فكأن اللغة مولد كهربائي صمم يمكن استخدامه لتحريك آلات ضخمة أو لتحريك « صرّانه » جرس كهربائي صغير

الواقع هو أن مفردات اللغة نرمر إلى فكر . كل لفظة تشبه

« كېسولا » يتضمن فكرة او صورة ذهنية يرتبط بها الاختيار في العقل
عندما نقول، في الحصة التي استشهدنا بها آنفاً . نمت « فانها ترمز الى
حدث او فعل يعرفه الآخرون بالاختيار، وليس من الضروري ان نفسر
اليوم وعملية اليوم . وعندما نقول « الليلة » فانها تنقل الى السامع فكرة
او صورة معينة، وكذلك عند قولنا . يوماً هاتنا فمن هذه الجهة نجد
ان جميع التفكير او الصور الحسية والمعنوية مضممة في مفردات اللغة.
ولكن هذا لا يعني انه لا يمكن ان يكون هناك فكر او صور او حقائق
في الكون وفي الحياة مجردة عن اللغة . ان لسبب سببه ترمز، اي صوت
ايموي حد مثلاً الحقائق الرياضية والحقائق الطبيعية فان لمـا وجوداً
دائماً تقطع انظر عن الرموز التي تشير اليها . ولكن يشك كثيراً فيما
اذا كان الاساس يستطيع التفكير الرياضي، او حل المعادلات الرياضية
او فهم حقائق الطبيعة بدون رموز فهذا ناموس الحادية كان موجوداً
قبل ان تدس الفكرة ترمز لها، اي لفظة « حادية » وحقيقة الماء من
انه مريح من عصرين بمعادلة معينة كانت قبل ان يصنع له الرمز العلمي
. ١٨٢٥ . ولكن بما لا شك فيه هو ان اللغة تسهل الفكر ، او كما كان
يقول استادنا ساير (Sapir) اللغة طريق مهد او احتشود كالاحاديث التي
تراهنا على سطح استطوانة مهد وتحدد السبل للآخرة لتمر فيه لتردد
الصوت . فاللغة تسهل الفكر وتساعد على نمو الفكر .
ونمو الفكر ذاته يعود فيؤثر في اللغة ونموها وتطورها . بالتفاعل بين اللغة

والفكر امر واقع ان ولادة فكره ما سبقها عادة نوع من التعبير اللعوي
 الواضح او غير الواضح . ولكن هذه الفكرة المولودة حديثاً لا يصح
 لها كيان ذاتي ما لم تتلصص زمرأ لعوي ، اي ما لم تضمّن الفكرة في
 « كسول » لعوي عندها شعر ان الفكرة المولودة حديثاً قد اصحت
 ملكاً لها واصحت تشكل حرماً من تعكيبها

(ز) الوحدة الكلامية هي التعبير التام (الجملة)

نشبه اسمه نظاماً هرمياً معكوساً ، اي قائماً على رأسه
 الاعلى وهذا الرأس الذي يركز عليه الهرم المعكوس يمثل
 الاصوات في اللغة او الفونيمات وعلى الفونيمات تقوم مركبات
 الفونيمات اي الكلمات ، وفوق الكلمات طبقات صيف الكلمات :
 اسماء صمائر افعال الح ثم تأتي الجملة فوق طبقة الكلمات الوحدة
 الكلامية هي التعبير التام المحمل ومن هنا كان اختلاف علماء اللغة
 في اقسام الكلمة ، فمن قائل هي ثلاثة او اربعة او ستة او أكثر .

ان هذا التحليل من صنع الفلاسفة واول من قام
 بهذا التحليل الذي يشبه الهرم المعكوس الاعريق والهود ولكن
 الاساس القديم الذي لا يميل الى الفلسفة يعتبر التعبير التام الوحدة
 الكلامية ، فلا تجزئة ولا تحريد . اللغة استمرار (Continuum) وفي
 كثير من اللغات لا نستطيع ان نحترق الكلمة او العارة الي عناصرها

بل هي وحدة لا تجرأ يستشهد الأستاذ ساير ' بكلمة واحدة من إحدى لغات الهندو الحمر :

Wa lo Kuchum - punku rugani - yugwi - va - ntu - m

ومعناها هؤلاء الذين سيجلسون لتقطيع بقرة سوداء بالسكاكين وتحليل هذه الكلمة الى العناصر التي تتألف منها امر لا يخطر للهندو الحمر بال . الجملة المعبودة عندهم تعبير غير قابل للتجروؤ . اما نحن الذين نعى بدرس اللغة درسا تحليليا نقسم اللغة الى طبقات . ولكن اللغة في واقعها الاجتماعي وحدة تعبيرية لا تفصل التحرئة

ليعتبر الفسارى . ماذا يترتب على هذه الطفرة من وحوب اجراء انقلاب اساسي في طريقة تدريس اللغة يجب ان يكون التوكيد على الجملة ، على التعبير التام المعيد هذا هو الوحدة اللغوية لا الفونيم او مركبات الفونيم .

(و) ليس لغة كيان بدون الانسان

وهذه حقيقة لا نحتاج الى اقامة دليل . فانها اقرب الى الدنديات منها الى الامور التي تتطلب الزهارة فاناسه . مثلا ، كانت لغة راقية يتكلم بها قسم كبير من سكان الشرق الادنى ، وكانت كتابتها محترمة

متعة في اقاليم عدة ، وحلقت آثارا كناية تسع لوضع معجم كبير .
ولكن اللغة النابية ماتت لان الذين كانوا يتكلمون بها اقرصوا او
استجوا في حضارات اخرى ، لان لا كبار للغة سون الاسان

يترتب على هذا القول سائح بعدة الاثر ، واعينها اثرا اعادة الطر
في فلسفة النحو المنسبة على فكرة العامل - العامل النقطي والعامل المعنوي -
فقابوا مثلا ان سب الاعراب العامل فالرفع والنصب والخفض لا
يكون الا بعمل ، وسب الجمع من الصرف علة من العلة ، وسكون لام
المعمل في مثل « اكلت واكلسا » لاتصاله بضمير صحيح بكلام آخر
عروا هذه المظاهر اللغوية لاثار كلمه في كلمة فان « إن » نصب المتدا
وترفع الخبر ، وكان ترفع المتدا ونصب الخبر فكان للكلمة سحرا .

ومما تجبر الاشارة اليه ان بعض الصرفيين والحويين لم يقلوا بهذا
المطلق فان ابن جني في « حصائصه » يقول ما معناه ان الرفع والنصب
والحرم مرده الى المتكلم نفسه لا لشيء غيره . اي ان الاسان هو العامل
الاول والاحير في عمليه الطوق . وقد ألف معكر عربي ، ابن مضياء
القرطبي ، كتابا في الموضوع هذا سماه « الرد على النحاة » حاول فيه ان
يدحض المطلق الذي كان ينسك به النحاة ، فانه يقول ان العامل هو
الاسان ذاته . ليتصور القارئ ماذا يترتب على هذه النظرية الصحيحة
للغة في تدريس اللغة . فموصا عن ان يقول لتلاميذ في اعراب « العلم

نافع « العلم مستند مرفوع بالاثنا (عامل معوي) نقول العرب تقول
هكذا ولا تعليل آخر وفي جملة « ان الطفس جميل » الطفس
منصوبة لان العرب هكذا قالوا وكفى

وامي اذكر هذه المسألة بعض ما كان يشأ من حذل بي وبين
الاستاد (Fath) من جامعة لندن عندما كنت احضر مجلس تعليمه
semino فاني كنت اطلب جوابا عن « لماذا ؟ » « ما السبب ؟ » فكان
يجيني الاستاد : « السبب بسيط جدا : الانسان ' واي تعليل آخر هو
حسن ونحسين او تقول في امور لا تعرف لها سببا . »

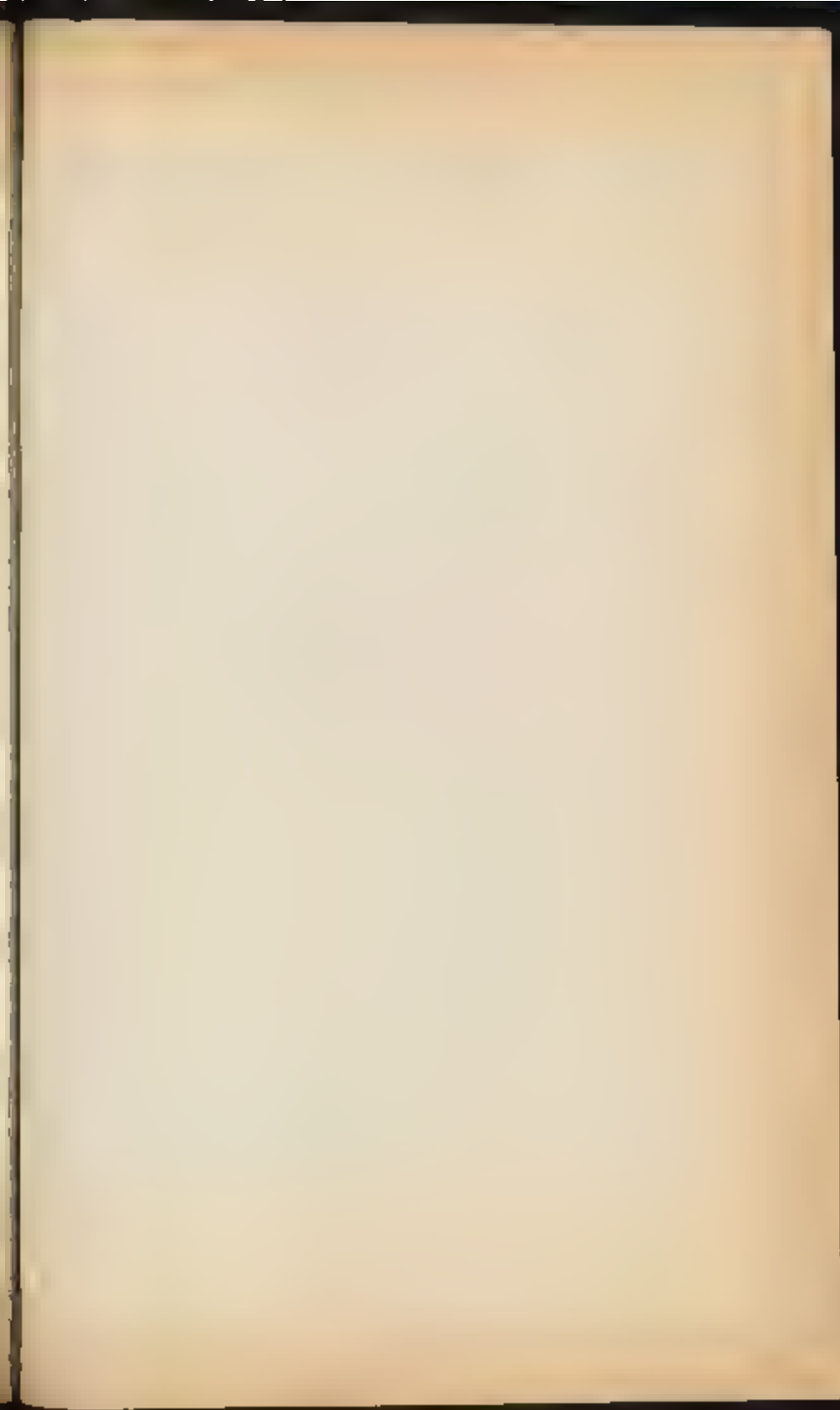
اللغة من الحياة الانسانية وللحياة الانسانية ، وبدون الانسان لا
كبار للغة ، فان عاشت عاشت وان ماتت ماتت



المجزء الثاني

في

نشأة اللهجة الادبية والمحكية



لغة ولهجة

ما الفرق بينهما ؟ وقد يعجب القارئ لهذا السؤال ، فان الفرق عنده واضح ظاهر ولكن على ضوء علم اللغة ليس الفرق بينهما بالامر الواضح الظاهر ، اذا لا يفرق علم اللغة مدينا بين لهجة dialect ولهة literary language كل لهجة هي لغة قائمة بذاتها ، نظامها الصوتي ونصرها ونحوها وتركيبها ومقترنتها على التعبير

وقد يعترض احد الناس على هذا الزعم بقوله ان الفرق بين لهجة ولهة هو في الادب . اللغة هي التي لها ادب . اي ان الادب مقياس لتفرقة . وهذا الزعم مردود ، فان لهجات الزبوح والهود الحمر ولهجات الاقوام المتعددة لها ادبها . شعرها ونثرها وقصصها وامثالها واساطيرها واعانيها . وقد يختلف هذا الادب في غناه الروحي والعقلي والجمالي عن آداب الشعوب التي حطت خطوات واسعة في عالم الفكر والصور والفلسفة والعلم ، ولكن ذلك راجع لاثر الحضارة والاجتماع . هذه الاقوام التي تتكلم ولهجات لا تروق ادبها لنا اذا اتبع لنا ان تأخذ بنسب من الحضارة فان هذه الاداب تعبير في روحها ومادتها وشكلها .

وقد يقول آخر . اللغة هي التي تعابير لمقاخرى باصوانها وسفرداتها
وتراكيها معايرة لا يستطيع معها ان تفاهم ريد وعمره اما اذا كانت
المروقات في الاصوات والمفردات والتركيب من النوع الذي يمكن فيه
التفاهم بين الجماعات فان هذه تحسب لهجات . اى ، بكلام آخر ،
يضع صاحبها التفاهم معاسا للفرقة بين لهجة ولغة . ولكن هذا الرعم
يسقط من تلقاء نفسه اذا اعتدنا مثلا لهجة اهل السعيدة ولهجة اهل
صفلة ، فاهما لهجتان (لا لغتان) ايطاليتان ، ولكن اهل السعيدة لا
لا يفهمون اهل صفلة ولا اهل صفلة يفهمون اهل السعيدة التفاهم بينهما
غير ممكن . وقل مثل هذا في اللهجات الريمانية اى الايطالية والفرنسية
والاسبانية فانا نسميها لغات (لا لهجات) سماه في الواقع التاريخي
لهجات لائبة . واذا اجتمع ايطالي بأفريقي فان التفاهم بينهما ليس
مستحيلا . الامر كذلك في اللغات الجرمانية مثل الالمانية والهولندية
والبروسية والدمركية فانها تحسب لغات (لا لهجات) سماه في
الواقع لهجات والتفاهم بين هذه الجماعات امر ممكن . والعربية والعبرية
والسريانية والحشية لغات في نظرها اليها . ولكن التاريخ يطر اليها انها
لهجات تحدثت من ام واحدة . ادن قضية التفاهم لا يمكن ان تكون
الفارق بين لهجة ولغة .

وقد يقال لنا احيرا ان الفارق بين لهجة ولغة هو ان اللهجة تفهم

وانحطاط لعوي من لغة فصحي. وقد وقع في مثل هذا الوهم لعوي والعرب
 قديما وحديثا. فانهم يطورون الى العامية انما انحطاط وتقهقر. ولكن
 اثبتت دراسة اللهجات، وطريقة لا يتسرب اليها الشك، ان اللهجة
 ليست تقهقرا ولا انحطاطا لعويا. سئل تطورا
 وتقدما لعويا فرصهما الرواس الطيبية التي تتحكم مصير كل لغة
 وفصل دليل على ان اللهجات ليست انحطاطا لعويا هو كون بعضها
 سابقا في الزمن للغة الفصحى حد مثلا ككسر حروف المضارع في العامية
 «سا يقول» بكسر السين «يشرب» ولكن كسر حروف المضارع (وهو لغة
 قديمة) سابق في الزمن للغة التي اعربت فيها لغة قرش اللغة الادبية
 الفصحى، فكيف يحق لنا ان نعتبر هذه الظاهرة - كسر حروف
 المضارع - انحطاطا لعويا؟ وما لا شك فيه ان لهجة الالماني في سويسرا
 والمائة الالراس وورمبرغ هي اسبق في الزمن من لهجة لوتر التي
 اعربت بعد ترجمة التوراه لغة المانيا الفصحى - او على الاقل لا علاقة
 لها بها - فكيف يحق لنا ان نقول ان لهجة سويسرا الالمانية ولهجة
 الالراس الالمانية ولهجة العاصم السوداء هي انحطاط لعوي من لغة
 فصحي ظهرت في التاريخ بعد ظهور تلك؟

الحققة التي لا مراء فيها هي ان لا فارق حوهرى بين لهجة ولغة

انما الفارق هو ان لهجة ما، وليسب حارحي، او لطروف خاصة،

تعتبر لغة قومية رسمية ، سيما لهجة اخرى ، ربما افضل منها ، لا يعترف بها . فلو ان التوراة الالمانية مثلا ترجمت الى لهجة برلين لكانت لهجة برلين الالمانية العصحى لا لهجة هانوفر . اذن القضية قضية « سلطة عليا » وقضية اعتراف بهذه السلطة . ما هي هذه « السلطة العليا » التي نرفع لهجة ما الى مصاف اللغات القومية الرسمية ، والتي تعمل لهجة اخرى فتعتبر لغة وديئة ؟

السلطة العليا

ان التاريخ يعج بالامثلة الناطقة على فعل السلطة العليا في رفع لهجة ما الى مرتبة لغة قومية رسمية كما بود ان يأخذ بالتفصيل تاريخ كل لغة قومية وسير كيف ارتقت هذه اللغة من لهجة وصيغة الى لغة ادية . ولكن سرده حقائق التاريخ الجافة امر يرهق اكثر القراء ، فضلا عن ان هذا يقتضينا جهودا نحن بعنى عنها ، لان الفارى يستطيع ، اذا احب ، ان يراجع تاريخ كل لغة في الموسوعات او في الكتب التي تبحث تاريخ تلك اللغات وادابها . اما سكتني بذكر سد عن بعضها ايضا حالما نحن بصدد .

تكون السلطة العليا في اللغة احد هذه العوامل

(ا) عامل عسكري — سياسي

(ب) عامل ديني

(ج) عامل ادبي

(د) عامل اجتماعي طبقي

وليس من الضروري ان تكون السلطة العليا عاملا معرداً ، اي

مكونا من عامل واحد ، بل قد يتداخل عاملان أو ثلاثة في تكوين هذه
هذه السلطة . وسئل لك على كل من هذه العوامل .

(١) عامل عسكري سياسي

واحصل مثال على ذلك اللهجات الروسية . التشكية والسلعارية
والصربية ان هذه لهجات روسية . ولكنها أصبحت لغات رسمية معترف
بها بفضل عامل سياسي أو عسكري - سياسي فانه عندما استقلت هذه
البلدان عن روسيا أصبحت هذه اللهجات الاقليمية لغات قومية اديية
معترف بها .

ثم اعتبر لغة اسبانيا الادبية ما هي ؟ هي لهجة الطبقة العسكرية
التي املت في حروبها ضد العرب . وبعي بها الحيووش العشائلة . فقد
احتلت قشتالة ، بفضل هذه الحروب التي شنتها على العرب ، مقامها
عسكريا سياسيا في بلادها غير مارع ، واصبحت لهجة قشتالة اللغة
الرسمية للبلاد والناس على دين ملوكهم . ولكنها في الاصل لهجة
لاتينية يشوبها بعض عناصر لغوية محلية

واعتبر كذلك لغة الرومان : اللاتينية . ما هي ؟ هي لهجة مرس
عشرات اللهجات التي كان يتكلم بها اهل ايطاليا القدماء قبل ظهور
الرومان كامبراطورية عالمية . هي لهجة مدينة روما ، وبفضل مركز
روما العسكري والسياسي أصبحت لهجة روما لغة الرومان القومية

الادبية ، وانتشرت في العالم بفضل الانتصارات العسكرية التي احرزها الجيش الروماني .

(ب) عامل ديني

وافضل مثال على فعن هذا العامل الديني شوء اللغة الالمانية
الفصحى وانلعه العربية الفصحى وجمعا يعرف شئا عن تاريخ
الحركة الاصلاحية ، وكلنا نذكر لوثر وحروجه على الكنيسة الكاثوليكية
فقد ارتأى لوثر بان افضل سلاح مستطيع به ان يعارب الكنيسة هو
برحمة الكتاب المقدس الى لغة الناس لعراؤه فان اللاتينية لم تكن
لغة الحياة ، ولم تستطع الناس ان يقرأوا كتابهم الديني وما ان لوثر
كان من مديته شاموهر فانه برحم النوراه الى لهجة مديته متحدثا بذلك
سلطة الكنيسة وقد اعجب الناس بهذه الترجمة البليغة القريبة الى
عقولهم وقلوبهم ، وعلى عمر الزمن اعتبرت اللغة الفصحى ، وسحبها
الالمان لغة المسرح

وليس لنا ان نعيد على القراء حبر ارتقاء لغتنا العربية الفصحى من
لهجة حجازية محدثة الى مربية اديه سامية بفضل برول القرآن الكريم
بها ، لان هذا من الامور المعروفة التي لا تحتاج الى تعليق واللغة
العربية مديته حباتها وماحتفاظها بشكلها القديم للقرآن .

(ج) عامل ادبي

والأمثلة على كون السلطة العليا أدبية كثيرة، يحص بالدكر منها اللغة اليونانية الكلاسيكية، لغة أفلاطون وأرسطو، فإن هذه اللغة كانت أصلاً لهجة أهالي أتيكا في القرن الرابع ق.م. وظلت اللغة الرسمية إلى القرن التاسع بعد المسيح، وعندما انتقلت هذه اللهجة إلى شواطئ آسيا الصغرى - أرمينيا - أصبحت تعرف باللغة الأيوبية الرسمية، وهي التي كتب بها هيرودوس، أن الذي حرص هذه اللهجة هو ما دون هذه اللهجة من أدب وعلم وفلسفة

ومن هذا القبيل لغة إيطاليا الحديثة فيها لهجة فلورنسا، أو الأخرى اللهجة التي كتب بها ونظم بها أدباء وشعراء أمثال دانتي وبترارك وبوكانتيو

(د) عامل اجتماعي أو طبقي

وأفضل مثال على ذلك اللغة الفرنسية أو الأخرى لغة باريس بعد القرن السابع عشر، فإن لهجة باريس (أو مجتمع باريس) أصبحت المثال الأدبي الرفيع الذي يعني لكل كاتب ناشئ أن يحذيه.

ومن هذا القبيل لغة الإنكليزية فاما على وجه التدقيق، اللهجة المحكية في المدينتين Mid and وهي مزيج من إنكلوسكسوني قديم ولغة

السورمان وما أصيب إليها من مصطلحات علمية من لغة الأعريق
والرومان ، وقد أصبحت هذه النهضة لهجة لندن ، واجتمع اللدني
الراقي . وهي لهجة تعرف «بالكلية الملك» ولا يعرب عن ثالها أيضا
اللغة الروسية الاذبية فانها لغة اهل موسكو ، ذلك لان اديسا ثالما ،
ليمبورسوف ، كتب بها واعجت كتابه اهل موسكو فاعتدى بها الكسبة
والشعراء واصبحت فيما بعد لغة الروسية الفصحى

لقد ذكرنا هذه الامثلة لوضح ان النهضة تصح لغة بفصل مدالة
عيا تعرضها . وتكون السلطنة هذه عسكرية او دينية او صقلية . اما اليوم
فما هي السلطنة ؟ في كل امه من اعم الارض جماعة ، وجماعة كبرى ،
اموال ان السلطنة هي السيادة هي للسلطنة ، هي لغة التاريخ ،
لغة التي تحدثت السال شكل شعر او نثر وفصل واعان ، وكل خروج
من التمثال بعد خروجها على الاحجام واشد ما يكون الاس رجعة
في طريقهم ان اللغة . ولما يرى هذه الجماعة السلطنة شديدة المحافظة
في كل قطر . فمن ذا يعجز في الكسبة امثلا ان يكتب Thru بدلا من
Through و lof بدلا من aug ومن يعجز في انكسرا . هذا اذا اراد ان

١ . يوم طاب الكبرياء لا بعد انفس اودي في صفه لغة ان كان ذلك
من جهة الاصل من جهة اللغة ، وذلك لانفس في هذه المدينة . ومن لا
من المدينة بين مدينة واخرى فان هنر و كسر و كسر يدج يعقوب انهم
من اقل لفظ وتبرم اصفي وانهم تبرم .

يحتفظ بمر كره الاحتماعي الادبي - ان يقول : *om* او : *oen* عوصا
 عن *om noi* ٩١ وقل مثل هذا في الباب وفرسا وفي كل بلد يعتبر بلعته
 ويصغر مادته لا يعتقد ان العرسي المعروف ببقعة التمسك كبير وحسن
 المطلق ، العرسي الذي اعطى العالم النظام المتري ، ينارل يوما عن
 المعادلة $4 \times 2 + 11 - 91$ مستعينا بها بوضع لفظ خاص للتسعين
 فيقول ٩١ .

ولكن رغم هذه الرجعية فان علم اللغة لا يعترف سلطة عليا في
 اللغة غير سلطة الشعب السلطة العليا هي للشعب تمثيلا مع روح
 الديمقراطية ، التي تعمل في جميع نواحي الحياة اللغة ليست لطفة
 ارسقراطية ، وليست لغة لللاط او لفصر او لرح عاجي او لجماعة من
 الادباء او الشعراء ، اما اللغة للشعب ، وما يقوله الشعب هو الصحيح .

كيف تنشأ اللهجة

أما مؤرخو العرب وصرفيوهم فقد أشاروا إلى اللهجات العربية
إشارات غائرة^(١)، ولكنهم لم يحاولوا الإجابة عن السؤال كيف نشأت؟
فقد تكلم الكسائي، تلميذ الخليل عن لحن العامة (وله في الموضوع
كتاب مخطوط) وذكر الحافظ كثيراً من الموارد اللغوية التي تعكس
لحن العامة وعجمة بعض الناس وبكلم أس حلسون عن «فساد الكلمة»
«ولغة الأمصار» وبكلم غيره عن «لغات فاسد» وعن «الوطانة»
«والعجمة» ومنهم من أشار إشارات دقيقة إلى لهجات وقرنوها بأسماء
تميزها، كشكشة أسد، وعجمة نعيم، وطمطمماينة حمير، وعجمة
قضاة، وضممة هديل، وقطمة طي^(٢)، وغيرها كثير^(٣). ولكن أحداً من
القدماء لم يدرسها، وعلى دارس اللهجات العربية القديمة أن يبدأ
بالاختلافات في القراءات المتبعة في قراءة القرآن، ويجمع التف

(١) وقد جمع هذه الآثار المارة مشترقاً إلى اسم John Fisher في كتاب
«نظرة إلى العربية» الدكتور عبد الحليم لحار «المترسة» دراسة في اللغة والأدب
والأساليب القاهرة ١٩٥١ مطبعة دار الكتاب العربي.

(٢) الخصائص لأن جني من. ٢١٠ - ٢١٢ وعنه أحمد السويدي في البرزخ
ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

الباقية في ثابا كتب الادب (ملاحظات الحاحط مثلا) وتجمع
الملاحظات المعجمية ، ومتى تم جمعها تتبين له ان المروقات بين هذه
اللهجات ليست بسيرة بل تساول وواحي لغوية عديدة على الصعيد الصوتي

Phonological level والصرفي النحوي Syntactical والمعجمي Lexical

وسجل ما يفهم من كلامهم ان اللهجات العربية هي انحطاط لغوي
فهم من هذا القبيل يشمون الى المدرسة التي generation
نقول ان اللهجة انحطاط لغوي وقد اشرنا سابقا الى فساد هذا الرأي ،
وقدنا ان علم اللهجات قد انتت بطريقة لا يتسرب اليها الشك انه ليس
ضروريا ان تكون اللهجة انحطاط من لغة فصحي ، فقد يكون اقدم
منها في الزمن ، او قد تمثل تطورا ونقدا لا انحطاطا ولا يمكن الاحد
بالرأي القائل ان شؤ اللهجات مرده الى حروف العربية من موطئها
الاصلي واحتكاكها بلغات اخرى ولو كان هذا فكيك - سئل شؤ
اللهجات في البلاد العربية دأبا حيث تمت الفصحى على عزلتها ؟ ادن
علينا ان نهمل هذا الزعم وان نقش عن سبب شؤ اللهجة الحقيقي
وبنعتقد ان في مقدمة الاسباب ثلاثة عوامل (١) المعايير الفردية
(ب) اتساع الرفعة الجغرافية (ج) احتكاك لغة بلغة اخرى

(١) المعايير الفردية

لقد اثبت لسبب عدم اللغة ان لكل انسان لهجته
الخاصة ، وان هناك لهجات في اللغة بقدر ما هناك من افراد

يتكلمون هذه اللغة ! وهذه اول معاجاة يفاجأ بها علماء اللغة يقولون
 لنا ان المجتمع الذى يتكلم امراده لغة واحدة لا وجود له . وادنا اذنت
 شكاً في ذلك ادخلوك الى محبة الموتى بك ، قال لك اجلس امام هذه
 الالة المسجلة وتنطق بهذه العبارة ما احمل العلقس ثم بعد ربع ساعة
 يقولون لك تعال سجلها لنا مرة اخرى ثم بك كوكبك تقابل بين تسجيلك
 الاول والثاني وستجد نفسك موقفاً ولكنها موقفاً لا تستطيع الادس
 بمبرها ، اما الالة تستطيع وادنا اصررت في المعادة ادخلوك الى عرفة
 مطلعة وطلبوا من صديق لك ، لا علم لك بوجودهما هناك ، ان
 يتكلما فانك تعرف حالا صاحب الصوت هذا هو فلان ، وصاحب
 الصوت ذاك هو فلان فان هناك سائلاً طاهراً في السقط وفي الشدة
 واللين والبر والعم ، ربما في انتقاء المفردات وفي تركيب العبارات

تعرف هذه الظاهرة في اللغة بالمعاصرة الفردية ولا ينظر ان هذه
 المعاصرة تعتمدية ، كأن يكون احداً متحدثاً او متشده او متحرراً في
 لفظه كلاً ، اما هذه المعاصرة الفردية طوعية عبوية ولا علم السب في
 ذلك كما ان لا علم الا لا تشبه حبة قمح حبة اخرى في عزمه من
 القمح . ولا يولد ولد يكون صورة طلق الاصل لايه او لأمه فكأن
 الطبيعة تكره الوحدة Uniformity وتميل الى المعاصرة وهذه المعاصرة
 الفردية في اللغة ، حيلة بعد جيل ، تترك اثرها في اللغة . ونحذر على يقين

ان العرب الاحياء يقرأون الفصحى على غير ما كان يقرأها الفصحاء
في العصر الاموي . اما من جهة التكلم فظاهر ان لسانا العربي اليوم
غير لسان العرب في الامس البعيد .

احالك تقول . اذا ، حسب هذا الزعم . تتجرأ اللغة بعد حيل او
جيلين الى لهجات لا حصر لها . كلا ذلك لان هناك ، مقابل هذا
الميل العموي الى المعايير الفردية . ميلا آخر نحو النورم^١ ولكل لغة
نورمها الخاص فان افراد المجتمع ، عن غير وعي ، يميلون الى النقاء
من نطق نورم اللغة . قد يكون السبب في ميلا غير الواعي للنقاء في
النورم العموي خوفا من ان يحالف ما عليه الجمهور ، او قد يكون
لاصلاح الخطأ الذي يحرص الامة والحيل القديم على ان سهوا عليه
الحيل الجديد ، او قد يكون خوفا من التبرؤ والسحرية ، او تهربا من ان
يرمى بالحدلق والتشدق والمعايرة لا لسبب سوى ان يقال ما انسا
يختلف عن الاخرين . قد يكون هناك اسباب سيكولوجية اخرى لا

(١) norm وهو النموذج سواء او القياس المشترك المتفق عليه في اجتماع ، و
العام المألوف او الطابع المعبر ، مثلا . هناك نورم اللغة الساسية التي لها خاصيات عامة
مشتركة مأثورة بقدها الساسي . واجهة نحره نورم خاص وكذلك واجهة المرادفة . لذلك
ان سميت لبتانيا او مصريا او عراقيا يتشكلت حالا هذا من سبب واحد . من غير
وذلك من المراءى ، لان لكل لغة نورم خاص . فسميتم بنورم تشكيلها ،
الفرق للخاصة من صيغة الترجمة . او لسانا يفتق بمرء حتى ترجمه لها . ونحن ، اذا ،
صغرت اللغة من الترجمة ، لان لا نستطيع ان لا نترجم .

نعرف لها تعديلا والاسباب لا نهما بقدر ما يهما تقرير الواقع وهو ان في كل لغة حية قوتين متضادتين الاولى تدفع بالفرد عن المركز والى *Centripetal* واخرى تشده نحو المركز وهذا الشد بالفرد نحو المركز والدفع به عن المركز يحلقان نوعا من التوازن اللغوي الذي نعرف بالورم . وهذا ما يفيقه اللهجة ضمن نطاق معين الى حين ، وبما يوضح عملية التجزؤ السريع

(ب) اتساع الرقعة الجغرافية

ذكرنا سابقا ان اللغة تجري طبيعيات سير فيه . وقد تحافظ اللغة على اصواتها وعلى صرفها ونحوها وتركيها من اطويل ادا تطل المجتمع الذي يتكلم هذه اللغة مجتمع اصغير اقربا من الموطن الاول ، او اذا تطل مة انطا متماسكا متجانسا منكشاعلى دانه تشدافر اده بعضهم الى بعض عوامل اقتصادية وروا طرو حية وامان مشتركة . ولكن هذا لا يعني انه لن يطرأ تغيير ما . كلا بل يكون التغير طفيفا وبطيئا لا يظهر اثره في الحال . اما اذا انحل المجتمع الى مجتمعات بسبب ضعف الروابط التي كانت تربطه سابقا ، او بسبب فقدانها ، فان المجري يعمل الى التشعب والانقسام ، وعندها تظهر الفروقات اللغوية بسرعة ووضوح ولكن يجب ان نلاحظ ان المهاجرين او الاربحين عن اوطانهم الى اوطان جديدة يحتفظون في الوطن الجديد بهيات لغوية قديمة قد تكون اندثرت وتلاشت في الوطن القديم كما

حدث في فرسية مونت بال (كندا) فانها تحتفظ بعناصر لعوية تعود الى القرن السابع عشر ، وليس لها من وجود في لغة فرنسا الام . وكذلك في برعالية الرازيل ، فان فيها عناصر لعوية قديمة لم تجدوها اليوم في لغة البرعالية الام . ونحن نميل الى الاعتقاد بان فقدان الاعراب من لغة الكلام وطواهر لعوية اخرى ككسر حرف المضارع من الامور السابقة للهجرة العربية الى موطن جديدة ، وليس نتيجة العوامل التي ظهرت بعد الفتح والاحتكاك بامم جديدة . ان اساع اربعة الحرفية يعمل على تشعب المجري وجرته الى محار صغيرة مختلفة

(ج) احتكاك لغة بلغة اخرى

عندما تدخل لغة جديدة الى لغة حرفية جديدة فانها لا تدخل الى فراع لعوي . يجب ان يكون هناك قوم او اقوام يتكلمون لغات مختلفة . وفي هذه الحالة تحدث واحد من امرين . اما ان تتعبد لغة الفاتح فتحتل المرتبة الاولى وتنصح لغة البلاد الرسمية ، او ان تتعبد لغة المعلومين بفضل تقدمهم في الحضارة ، او بسبب قلة افراد الجماعة العسكرية المحتاجة . وفي الحالتين بطراً تعبير في اللغتين سواء امانت الاولى ام انتصرت الثانية . ان نتيجة هذا الصراع اللعوي الثقافي يظهر في اللغة . وافصل مثال على هذا احتكاك العربية بالارامية والابرية .

بدأ تعرب سوريا قبل الفتح العربي . ولم يكن من الصعب على

اللغة العربية، نظراً للتعرب ونظراً لقربى العرقة والعروة بين الآراميين والعرب، أن تفرص ذاتها بفصل العامل الديني والعسكري وقد كان
 « كائن » التثاقفي ما هن سوريا القدماء قدبهم العهد يظهر لك ذلك
 في كثير من المفردات الثقافية والزراعية والدينية التي هي من أصل
 سرياني^١ فكان من الطبيعي أن يعتري العربية المحكية تغير كبير في
 الاصوات والتراكيب والتعابير، سواء أكان المتكلمون من العرب أم من
 أهل البلاد. أثر السريانية طاهر في عربية سوريا ولسان المحكية وهذا
 امر طبيعي. فعندما نقول اللساني أو السوري أو العراقي « شفتو
 لحوك أو لحيك » فأنهم يتكلمون لهجة مفرداتها عربية ولكن تراكيبها
 سريانية فصيحته هكذا يجب أن يقال في السريانية فكأنه يصعب على
 الناس أن يسوا سبيبا بما ما يسميه علماء اللغة بمادح لغوية *Sporn*
harony وعندما يقول بعض اللسانيين *ana* (أنا) فأنما يلغطون الضمير
 السرياني لا العربي وقد سه أكثر من مستشرق إلى أثر السريانية في
 اللهجة اللسانية السورية المراقبة (موطن الآرامية القديمة) بحص
 بالذكر منهم العالم اللساني المسبور عمالي الذي كان أستاذ اللغات
 السامية في جامعته بوردو في فرنسا وفي كتبهم ما يعيبها عن

١.راجع كتاب Sigmund Fra nkel Die aramäischen Fremdwörter im
 Arabischen, Leiden ١٩٥٠.

الاسباب^١

اما احتكاك العربية بالايروانية فلم يكن له من اثر في التركيب نسبة لاختلاف العائلتين اللتين تتساوى اليهما. ولكن التفاعل الحضاري بين فارس والعربية ظهر في المقتبسات من المفردات التي تدل على بوعية التفاعل. فان العربية مثلاً اقتست كلمات عديدة لها علاقة بالمطبخ وفي الطبخ، وبالمرل واثائه، وبالنواويس الحكومية ومصطلحاتها، وبالنظام الاقتصادي والعسكري. وكذلك احدثت الفارسية عن العربية أكثر مما اعطتها، فان الفارسية تعج بالمفردات العربية الدنية والفلسفية والصرفية والنحوية، غير انه لا اثر لتفاعل لعوي في التركيب (الصرف والنحو)



قد لا نرضى عن هذه الاسباب التي تعمل على شؤ اللهجة المعاصرة العربية، واتساع الرقعة الجغرافية، واحتكاك لغة باخرى. فقد تقول، مثلاً، البست العناصر الاسيائية في التعبير اللعوي اشد فعلاً من العناصر الخارجية. الطبيعية والجغرافية؟ او ليست هذه العوامل اسايية اي ان مردها الاخير للانسان؟

ان علماء اللغة يسلمون بان للطبيعة اثر في اللغة. المناخ والطوبوغرافيا والطعام وحلافها. ولكن هذا الاثر طفيف ويظهر في المفردات لا في

(١) راجع كتاب *Syntaxe des peuples arabes actuels du Liban*, 1923, Paris.

لا في التركيب ، واللغة تتركبها . ولذلك ترى ان علماء اللغة
يميلون الى تعليل التعبير اللغوي عن طريق العصر الانساني . هالك
نواميس لغوية تتحكم بمصير اللغة ، ولكن هذه النواميس - اذا صح ان
نسميها نواميس - مردها في آخر الامر الى الانسان ذاته ، هذه النواميس
اللغوية هي :-

- (ا) تفسيرات في لفظ الحروف المصونة (الحركات)
- (ب) تعبيرات في لفظ الحروف الصامتة
- (ج) تعبيرات في المعردات من جهة المسمى والمعنى
- (د) تفسيرات في التركيب

ويحسن بنا ان نأخذ كلا منها شيء من الاسهاب .

(ا) تفسيرات في لفظ الحروف المصونة (الحركات)

والحروف المصونة اكثر الفويحات تعرضاً للتعبير ، وهذا التعبير
يصح على اللهجة المحكية مسحة نجعلها معايير تمام المعايير للغة
الادبية . الا ترى الفرق العظيم بين حركات اللغة العربية المحكية ،
وبين حركات العربية الفصحى كما يجب ان تكون عليه عند قرائتك
قراءة فصيحاً ؟ ان حركات العربية الاصلية ثلاث ، قصيرة وهي ٥٥٥ ، وتمثلها
الفتحة والكسرة والضمة ، وطويلة اذا تعها الف وياء وو او فتصح ٥٥٥
ولكن الحركات في العربية المحكية اكثر من ثلاث . فانه فضلا عن هذه

حرصا على أن يقلد الحيل الجسد الجليل القديم تقليدا تاما في لفظ
الحركات وفي البرء فان هذه تطل عرصة لتعير وسب التعير هو
العصر الاساسي الشوذ، المردية، المعابرة، الكسل، او امور اسانية
اخرى جهلها

(ب) تعبيرات في لفظ الحروف العامة

ويطرأ تعير في لفظ الحروف الصامتة . فان حروف الاء - حلا
في مجتمعات عربية قليلة كالمجتمع الدرري في لسان - فقد قيمته البقية
الاولى « واصح تاء ، وفي بعض كلمات سبا كما في « حيس وحيس »
عوصا عن حيث واصحت القاف همزة في بعض الاوساط ، وجيما
مصريه في اوساط اخرى ، وقسم من امالي بيروت ينطقونها ككاف . وقد
استبدل حرف الدال بالذال والراي فيقال « كراب » « وكذاب »
ويقولون « رلك والري » عوصا عن ذلك والذي . والعراقي لا يعرق
حتى في المصحح بين ض و ظ .

لمادا تحدث هذه التعيرات ؟ ما الاسباب ؟ هل لان حرفا اسهل

١) بعض المدارس القوية الحديثة . مثل مدرسة جامعة سوك ، رخص وصف مائة
الدخول في «لمادا ؟» هو لاي سب ؟ و «ما هو تميل » بقوتهم ان يحل علم «الامة
هو وصف ما يجري او وصف ما هو واقع ونس « ان يقر . هؤلاء يسمون
الوصفيين descriptivists وعندهم في ذلك سب لا سب لمادا يحدث التعير .

من آخر؟ هل للبيئة من اثر، أم هو العصر الاساسي الذي ذكرناه سابقا؟

ان علماء اللغة اليوم لا يهتمون بتعليل الاسباب بقدر ما يهتمون وصف الواقع. فانا نعرف مثلا قانونا صوتيا في اللغات السامية لا يتغير وهو ان الثاء العربية يقابلها حرف الشين في العبرية والهاء في السريانية وفعال.

ثاب (عربي) (ثاب عبراني) (ثاب سرياني)

لماذا؟ لا نعرف ونلاحظ كذلك في اللغات المدوحر مائه قوائم صوتية^٢ ثابته مثلا نلاحظ ان الكلمات الانكليزية التي بدأ بحرف 'f' يقابلها في اللاتينية او الاعريقية كلمات تبدأ ب 'p' ، ففعال .

father : Pater

five : Pente

لماذا؟ لا نعرف . اما بهما تقرير الواقع وهو ان الاحرف الصامتة ، كالأحرف المصوتة ، عرضة للتغير .

(١) ادن غندلر له توبة نفس عبراني من سرياني يجب ان يكون في العربية ثاب .

(٢) كالتقريب الي وصفها العالم لالتي Grimm ونعرف بقانون Grimm

(ج) تغييرات في المفردات من جهة المبنى والمعنى

أما في المسمى فيكون التعبير نتيجة قلب مثل «اجأ» بدلا من جاء،
«وهر ووعق» عوضا عن حمر ووقع. أو نتيجة زيادة مثل رجال بدلا
من رجل، أو نقصان مثل مرة عوضا عن امرأة أو نتيجة نحت مثل
«حباب» المنحوتة من حباب «واصطفل» المنحوتة من اصطفل.

ويحدث تغيير في معنى المفردات وهذا امر معروف فانك اذا
أحدثت المعجم العربي - مثل لسان العرب - وراحت بعض المفردات
لأحدك العجب من بعد النسخة من مفهومها الآن وبين مفهومها في
الصور الأولى أعبر مثلا بلفظ السحرة والفاطرة والجريدة والمذيع
والمهيب والسبابة والمحرك واليار الخ فانها وصفت لمعان تختلف
عن معانيها الآن وما يؤسف له ان قاموسا العربي لا يؤرخ لنا معنى
الكلمات، أي تطور المعنى على عمر العصور كما يفعل القاموس
العصري للغة العصرية كقاموس أكسفورد للغة الانكليزية. فانك اذا
فتشت فيه عن معنى كلمة بسيطة مثل «لوحدت» ان هذه اللفظة
مرت في اطوار عديدة وفي كل طور كان لها معنى يختلف قليلا،
وأحيانا كثيرا، عن المعنى السابق

(د) تغييرات في التركيب

واكثرها راجع لفقدان الاعراب اذ من المعلوم ان في اللغات

المعربة تدل علامات الاعراب على وطبيعة الكلمة في الجملة فقطع الطر
عن موقعها . وقد يكون مشأ الاعراب حرية التصرف في تركيب
الكلمات ، اي تمكين المتكلم والناظم والمعني من ان يعبر مركز الكلمات
في الجملة على ان تفرق الكلمات بعلامات فارقة تدل على الوظيفة التي
تقوم بها في الجملة . وذلك لان العلاقة بين اجزاء الكلمة ، في اسط
تركيبها ، كانت نظير في الترتيب ، اي افاعل اولاً ثم الفعل ثم المفعول
به . ولكن اذا اردنا . لسب ما ، ان نعبر الله نيب وجب علينا ان نوجد
علامات فارقة لاجزاء الكلمة لتدل على وطبيعتها في الجملة . فهي العربية ،
وهي لغة معربة ، نجد آيات كهذه

انما يحشى الله من عباده العلماء (قرآن ، سورة فاطر الآية ٢٨) .
ان الله تري ، من المشركين ورسوله (قرآن سورة التوبة ، الآية ٣) .
واد انلى ابراهيم ربه . (قرآن ، سورة البقرة ، الآية ١٢٤) .

وفي جميعها ، وفي امثالها ، يتوقف فهم المعنى على علامات
الاعراب وعليه فليس من الضروري ان نحافظ على ترتيب موقع
الكلمات . اذ قد يأتي الفاعل في آخر الجملة والمفعول به في اولها .
ولكن اذا سقط الاعراب وجب التعويض عن فقده ، ويكون التعويض
اساً في تعبير التركيب ، اي تعبير موقع الكلمة في الجملة . فهي الاولى ،
اذا اراد رجل ان يضعها ملغته كي يفهمها ولله الصمير ، يجب ان

يكون التركيب على هذا النحو : العلماء . من بين العاد ، يخشون الله . وكذلك في عبارة أحرر خالد أميناً . فانه اذا سقط الاعراب يصعب علينا ان نميز بين المحرر والمحرر . ولكن في العامية حدثت المشكلة بتقديم اعامل اذا فقول « خالد احرر امين » .

ان اللغة ، كجسم حي . «خضع ابواميس الطبيعة من حياة وموت وتمير وموت وهي شأن كل ظاهرة طبيعية تنبع في جريانها الجهة التي تنقى عنها اقل مقاومة ممكنة ()» واللغة كظاهرة انسانية تميل الى الانحطاط ، بكلام أحرر ، يستطيع ان يعمم القول بان اللغة في جريانها تير .

من الصعب الى السهل

من الخش الى الناعم

من المعقد الى المبسوط

من المرحوف الى السيط

ولدا تنشأ على عمر الاحيال لهجات محالفة للغة الادية التي نوقف سيرها الطبيعي بواسطة سياح شائك من الاحكام والصوائط . ونرعب في حمام حديث عن بشأه اللهجة ان يؤكد مره اخرى ان اللهجة ليست انحطاطاً لعوما كما يظن ، بل تطورا ومموا ومسايرة للحياة

العامية لغة قائمة بذاتها ، حية متطورة

ان تعريفنا العامية ماها لغة قائمة بذاتها حية متطورة نامية ، كما يبدو في العنوان لن برصي المجموع الاكبر ما . لانا اعتدنا ان نطر الى العامية انها لغة رديئة فاسده تميز باللحن والרטانة والمعجمة . فلا يمكن ان تكون حية متطورة نامية ، بل انها تمثل انحطاطا لعويا ، تمثل الموت في اللغة لا الحياة . عندما انعقد مؤتمر الادباء العرب في بيروت (ايلول ١٩٥٤) واثبت قضية ازدواج اللغة واثرها في الادب ، بررت هذه النظرة . ان العامية ، ليست لغة بل لهجة فاسدة . احسن بروز فابري الخطباء يدافعون عن المصحح بمهاجمة العامية ، ووجه المهاجمة انها ليست لغة بل لهجة تتجسد فيها الركافة والרטانة . وقد اتبع لي ان اتحدث لناس ، بواسطة الاداعة ، عن قضية ازدواج اللغة واثرها في الفكر والنزعة والاحلاق ، فابري صديق لي ، الاستاد زكي النقاش يسهه الرأي . قال حفظه الله - وحصرته اي (ايس فريجه) احق ما ومكم ان يعلم ان العامية لهجة وليست لغة ، اذ ليس لها

صرف ولا نحو، وإنما في الحقيقة ولبنة الجبل والتحلف. ^١ المؤتمرون
الادباء في بيت مري وحصرة الاستاذ ركي النقاش في الآداب إنما
يمثلون الفكرة الخاطئة الشائعة عند العرب العامية ليست لغة بل
لهجة رديئة. ولذا سحاول في هذا الفصل أن شئت أولاً أن العامية لغة
قائمة بذاتها، ثانياً أنها لغة حية متطورة بامية تميز بجميع الصفات التي
تجعل منها أداة طيعة للفهم والافهام، وللتفكير عن دواحل النفس.

العامية لغة قائمة بذاتها

أن الفروق اللغوية بين العامية والمصحى التي يطر إليها الناس
أها فروق طفيفة حرجية. أو أحراف بسيطة عن المصحى، هي، من
جهة نظر علم اللغة، فروق أساسية جوهرية تدبر اعتبار العامية لغة
قائمة بذاتها، سواء أكان هذا في الطام الصوتي أم التركيبي أم الصرفي
أم الحوي أم في المعردات والتوليد والاقتباس والقياس ^٢ وسبب
الخطأ في الرعم أن العامية والمصحى لغة واحدة راجع إلى سهولة
الانتقال من العامية إلى المصحى عند عامة المتأدبين الذين قضوا الشطر
الأكبر من حياتهم في اتقان العربية وقواعدها وشواذها. فادأقلت

(١) مجلة الآداب النروقة، العدد ١١، سنة الثانية، ص ٧٨

(٢) وقد سمعته إلى حد الأمر أن حدود عامة شمر أن لغة العرب في عهده ليست

العربية المصحى بل لغة معاصرة لها. مقدمة - طبعة بيروت ص ٥٠٨ - ٥١١.

لاديب ، او لرجل قيصر له أن يتم دراسته الثانية (وليس قل هذا)
 ان يعبر الحملة العامة التالية : " مراح رحب للسوق واشترت كيلو
 عب حمستشر قرش او ارش . " الى شكلها الصحيح كما تتطلبه
 قواعد الفصحى لاجالك على الفور ذهبت امس الى السوق واشترت
 رطلا عسا بحمسة عشر عرشاً الامر بسيط ، وبسيط جداً ولكن الخطأ
 هو في اما نطر الى اللغة مظارنا حر لا مظار الصعر الذي لا يعرفها ،
 او مظار الاجبي عنها الصعر والاجبي كلاهما يران في الفصحى
 لغة اخرى معايره لها تمام المعاره اما حر لانا ستطيع ان ستقل
 يسر من العامة الى الفصحى ومن الفصحى الى العامة ، فقد سسى ان
 عملية الانتقال لا تتم الا بعد ان تكون قد فصيا سوات عديدة في تعلم
 احكام الفصحى .

لماخذ ولدا في المدرسة يحاول ان يقل هذه الحملة ذاتها من العامة
 الى الفصحى . ولسا به في عملية التعبير ولر حدثك عن الاختلاف
 الطاهر في نطق الحروف المصونه في العامة والفصحى بل يكفي ذكر
 الفروق الصرفية والنحوية والمعجمية .

(١) على هذا الولدان يعرف ان - راح - هذا الفعل الفصحى
 المسكين المعضوب عليه لا يستعمل في اللغة الكتابية لان الفصحى لسبب
 لست اعلمه رصيت عن " ذهب " ونقمت على " راح " فبذته . فلا

يقال رحت الى السوق بل ذهت . والتاء في آخر الفعل يجب ان تكون مضمومة عليه ان يتعلم هذا في المدرسة .

(٢) عليه ان يتعلم ان - مارح كلمة عامية ، والعامي قبيح ردي ، يجب ان يستعمل كلمة اشرف او احمل او الطف منها ، وهي كلمة « امس » . وقد سألنا هذا الولد عدة أسئلة عن هذه الكلمة فيقول لنا مثلا لماذا هذه الكرة في آخرها ؟ وقد سألنا وما الاعتراض على لفظة « مارح » فانها فصحة ، فصيحة بالنسبة للهجة من قال « ليس من امر الصيام في السر » تتميز لام التثنية الى ميم ، فان المارح اصح « مارح » ولكن معمم الولد ، تحت ضغط الرأي العام ، يقول له لا تستعمل هذه اللفظة بل استدلها بامس ، ولا تسألها مكسورة ! وبما ان اجوبته لا تضع الولد فاه بفضيل ما يقوله المعلم له ويسكت على صميم .

(٣) عليه ان يتعلم ان الفصحى تفضل « الى » وليس « ل » التي هي في الاصل الى ، وعليه ان يتعلم ان تجر الاسم بعدها (وليس دائما) . ولان لفظة سوق معروفة لـ ل فانها لا تنون . ثم انه يسأل ما معنى الجر - والجر عنده السحب - ويسأل عن التوين فيقال له هو بون ساكنة في آخر الاسم فيتمت ليري بون الساكنة فلا يراها بل يجد مكانها - : : ! ويسأل هذا الولد عن التوين وعن طريقة كتابته وعن الحكمة فيه . وقد

يقال له انه نوع من التكبير ، او اعداد اخرى ، ولكي متأكد ان كل ولد يتقبل هذه علي ضيم لانه لا يترك هذه العنسة اللعوية المعاييرة للغة الحياة ، فيسكت علي ضيم

(٤) وعليه ان ينتظر طويلا الى ان يكبر ، الى ان يصح له من العمر ١٣ او ١٤ او ١٥ سنة حتى يتعلم قوانين التميز ، لان هذا الموضوع الصرفي لا يعلم في السنوات الاولى . عندما تعلمت قوانين التميز وفهمتها حقا كنت في سن الشباب ، اذن لا يستطيع الولد ان يعبر " رطل عنب " الى رطلا عنب ، ولكن قد يراى به الاستاد فيقول له لا بأس من ان تقول " رطل عنب " علي ميل الاضافه ، فشكره علي هذا الرفق به .

(٥) وعليه ان يتعلم قوانين العدد المعقده التي تظهر العرودة المصحى فيها علي اقح ما يكون من التعقيد اللعوى . ابي منيقس من ان ٩٥ / من العرب المتأدين عندما يأتون الى ذكر العدد كتابة او خطاة عليهم ان يقفوا قليلا ليعيدوا القاعدة . هل هذا مذكر ام مؤنث ، هل هذا معرب ام مني : هل هذا مفرد ام مركب ، هل المعنود مصوب ام مضاف اليه ... الخ . ويشهد الله ابي انا الذي فضيت شطرا من حياتي في تدريس العربية توقفت قليلا عندما نقلت حملة " مارح رحى للسوق واشتريت رطل عنب بحمستعشر قرش " الى المصحى . هل هي

حسن أو حمة أو حمه ، عشر أو عشر أو عشرة ، وبعد
هذا التمكن يقع في الخطأ الذي يحاول بحسه ! وقد يسأل هذا الولد
عن سبب التعقيد ، ولكن الأستاذ لن يستطيع أن يفسر له هذه المظاهرة
لأنها ترجع إلى عصور سحيقة في القيم عندما لم يكن هناك مطبق
ولا قياس .

(٦) وأخيراً عليه أن تتعلم أحكام المعداد - أيكون مفرداً أم
جمعاً ، منصوباً أم محروراً - وقد يعد له الأستاذ تعليلاً ولكنه يتفلسف
الامر ويسكت على ضيم

بعد هذا لا أن سأل القاري هل الفروق بين العامية والعصبي
طبيقة جرنية لا أهمية لها ؟ قد يشار إلى المبررات في النعتين ، العامية
والعصبي ، على أنها مشتركة بينهما . هذا حق ، ولكننا نريد القاري أن
يدرك حقيقة لغوية لا يتناطح فيها كشفاً ماعز .

ليست اللغة مجموعة كلمات . تستطيع أن تتعلم مفردات القاموس
الألماني أو قاموس أكسفورد أو لاروس ولكنك لن تستطيع أن تطلب
إلى خادم في برلين أو لندن أو باريس أن تأتيك بصدح ماء أو ريف
حر ، لأن اللغة تركيبها . التركيب جوهر اللغة ، وتركيب العامية
يختلف في نواح عديدة ، فهما لغتان لا لغة واحدة .

ثم ان هناك دليلاً آخر على ان العامية لغة قائمة بذاتها وهو الدليل
السيكولوجي . يشعر عامة العرب ان لغتهم هي اللغة المحكية وان
الفصحى لغة رسمية . فهم لا يشعرون انها جزء من حياتهم بل انهم اذا
تكلموا او صلبوا او عابوا او عصوا او شتموا فان اللغة التي يعبرون بها
عن هذا كله انما هي العامية .

هذا فيما يتعلق بعامية الناس ، ولكن ما قولك محاضرم ؟ اذا
طلب اليك ان تكتب كلمة في موقف رسمي او ان تحاضر ، او ان تبيع
كلمة ، الا ترى انما بعد كتابة ما يكتفه مرات ، وبعد قراءته مرات ، وقد
يكون يبدأ بقلم احمر « اللرنوش » فيها عبارة لا يرصى عنها رند ، وهناك
كلمة قد يحتج على استعمالها عمره ، هناك صفة بدلا من فتحة ، هناك
كسرة بدلا من صمه ، وقد شعر بشيء من الطمأنينة اذا استشر بارميلا
او طلعا اليه ان « بحر كها » كل هذا لان الفصحى ليست لغة الحياة .

قد نقول في العالم كله عندما يقف الواحد موقفا رسميا يحتاج الى
« روتشة » لغته ، هذا صحيح ، ولكن الفرق بين عامية الانكليزية
والافرنسية وفصحى الانكليزية والافرنسية لا يقاس بالفرق الشاسع بين
عاميتا وفصحابا . نحن لا نعتقد ان هناك وجها للمقارنة .

العامية لغة حية متطورة

في كل امة مدرستان لغويتان : الواحدة تنظر الى اللغة المحكية

انها احطاط لعوي ، وان اللغة الادبية هي الفصحى ونحاول هذه
 المدرسة فرض هذه الفصحى ، شكلها الذي وصلت به الى الناطقين بها
 بآلة مدونة في الرمان والمكان ، على مجتمع بعد عن هذه القصة ، او
 قل على مجتمع سيعر مع الحياة فهو لا يعرف محمود والمدرسة الثابتة
 تنظر الى اللغة المحكية انها تيجحه بحتمه لحرى اللغة او احاطها بالعامية
 عندهم تمثل تصورا اطعما وتصورا نحو الاصل والاسهل ، لا احطاطا
 وتقهقرا كما يحل لاساع المدرسة الاولى ، وحس يدل لك على صحة
 دعوانا - ان العامية حية نامية مطورة - نذكر بعض الطواهر الدعوية
 التي نحسبها تقدما وتطورا :-

اولا فقدان الاعراب

والاعراب لا يتلاءم والحصارة نحن نرى في الاعراب ، الاعراب
 في اية لغة ، بقية من السداوة . قد يساعد الاعراب على الفهم ومع
 الالتباس ولا سيما في المواضع التي فيها تقديم وتأخير في مرتبة المفردات
 كما يقع في الشعر والنثر العربي ، ولكن حكمه في ذلك حكم اية قرية
 اخرى تساعد على الفهم .

ولا نعجز فاما لسنا اول من قال بان الاعراب ربح لا قيمة له

في الفهم والافهام . اقرأ في مقدمة ابن خلدون^١ ص ٥٠٨ - ٥١١ وقرأ
مقدمة ابن قزمان الاساسي^٢ تجد ان العمة على الاعراب قديمة العهد .

ان فقدان الاعراب لس احطاطا بل تطورا مع الحياة . وها هم
العرب يراهم قد اسقطوا الاعراب منذ العصر الاول . وان صح الخبر
عن ابي بكر انه كان يقول « لان اقرأ فاسقط احب الي من ان اقرأ
فالحسن »^٣ وان صح الخبر عن رجل قرأ القرآن في حضرة النبي فالحسن فقال
« ارشدوا احاكم » وادا صح ان عمر بن الخطاب كان يصرب اولاده على
اللعن ولا يصربهم على الخطأ . فانه يمكن اتحاد هذه دليل على ان الاعراب
لم يكن متمكنا في لغة الناس قبل ظهور الدعوة . ويروى عن الرسول انه
قال « اعرّبوا القرآن » ولا ينس ان الناس اسقطوا الاعراب تعمدا .

١ حكمة بيروت . المجلد الادب . ١٨٧٩ . وهو موع بعض التاسع والثلاثون
في ان لغة العرب لهذا العهد لغة مستغنية معبرة لغة مصر وحمير . وبعض الاراميين
في لغة اهل حمير ولا مصر لغة دلتة بنفسها لغة لغة مصر

٢ لدبوان ابن قزمان نسخة خطية واحدة في لسنراد . وفي الجامعة الامبركية
بسنه فوكتوغرقة عبيد بجمل بن قزمان في مقدمة ادبوان حقه سواء على الاعراب .

٣ نقول ان « ونحذف عنها » لان الحديث ينسب الى كثيرين . فانه ينسب الى
النبي ، وراجع « الارشاد » يا قوت الجزء الاول ص ٤٦ . والعرب ان القراء يروي
حديث عن ابي بكر بن عباس حديث النديم ابي يحيى بن عبيدة « وقال ابو بكر الصديق
رحم الله ان اعرّب القرآن لاحب الي من حفظ بعض حروفه » راجع :

Paul E Kahle Cairo Geniza P 6 (London 1947)

أو خروجاً على نورم اللغة ، أو مشاعة ، أو شعوية ، كلا ، إنما سقط
 الأعراب من تلقاء ذاته . كما سقط في سائر اللغات السامية وغير السامية
 لأن ليس له قيمة نقائية *Survival value* ونحن نذهب إلى أن ما ذهب
 إليه لمؤيدو العرب حقول أن إسقاط الأعراب من لغة الناس المحكية
 سبق برول القرآن الكريم ، غير أن القرآن الكريم برل بلغة
 الأدب والشعر والدين لذلك العصر ، ومن الطبيعي ، لا سئل من
 الضروري ، أن برل بلغة الأدب والشعر والدين ، واعتقد أن المجتمع

(١) يعتقد من استشهدوا أن القرآن الكريم قد عني هو من الله الموحى
 بعدد مدونه كما أنه في شعر ، وأن هو عبد الأعراب وصفه في القرن الثاني
 وقد جاهر بهذه النظرية مستشرق ألماني عام ١٩٠٥ في مؤتمر لايبزيغ الذي انعقد
 في أواخره ، وأنه كان مؤيداً . ثم أنه وصف نظريته هذه ، بعد مراجعتها بشوهد
 من القرآن ومن القرآن ، في كتابه المعروف

Volksprache und Schriftsprache im alten Arabien (Leipzig 1906)

و قد رد عليه شيخ المستشرقين ثودور نولدكه في

Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft P. 11 (Leipzig 1910)

ويحسن من وجهة هذا الأمر أن يقرأ *Paul E. Kahle* في

(١) *The Cairo Geniza*, PP 78-84

والذي الرئي الموزع إلى الفراء من ١١٦ - ١١٨

2 *The Arabic Readers of the Koran* (Journal of Near Eastern Studies, 8 April 1949) PP 65-71

(3) *The Quran and the Arabiya* Goldziher's memorial pp 163-82

الاسلامي الاول سنة لا عجاه بهه اللغة وسنة لمقام القرآن الكريم
 في نفوسهم، جهنوا ان يجعلوا من هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم
 لغة الناس اليومية. ذلك على ذلك مدح الجهد الذي اتي في سبيل
 ضبط احكام هذه اللغة، وفي بحارة البحر، وفي اصرار اقامات العليا
 على ان تكون هذه اللغة لغة النواوس، الكهنة والمهشئين، ووضع
 سياج حول اللغة للحفاظ عليها امر طبعى، لا بل ضرورة، لكن امه
 باسنة الله له شانه بحاجة الى لغة قومية، لان الله القومية من
 مقومات الامة كالشعب والقعة الجغرافية والناس والى ما هنالك
 من مقومات

ومع لا تعرض على الحفاظ على لغة كلاسيكية لما فيها من
 كور، انه يتعرض على فرض لغة بارضية على جيل بعدت حياة الناس
 فيه عن ذلك الجيل، وتعرض على المبدأ القائل بان قوانين اللغة من
 صرف ونحو واساليب، لا تتغير ولا تتبدل « كشرعية مادي وفارس »
 وذلك لان اللغة تتغير، شئنا ام ابنا

ان كثيراً من اللغات الكلاسيكية كانت معرفة كالكلاسيكية
 والاعربية والسنسكريتية ويظهر ان الاعراب فيه من سمات اللغات
 القديمة. ولكنا اذا اخذنا اللغة عامة وجدنا ان المبطل هو لاسقاط
 الاعراب فمن اللغات السامية لا نجد لغة معرفة سوى العربية الفصحى

قد تجد في هذه اللغة أو تلك بقايا اعراب ولكن يستطيع ان تعمم القول في ان اللغات السامية (باستثناء العربية الفصحى لا المحكية) اسقطت الاعراب . وكذلك اسقطت اللهجات التي تحبست من اللاتينية كثيرا من الطواهر الاعرابية ، وبقاء الاعراب في بعض اللغات الاوروبية ليس دليلا على قيمته العائنه اما هو دليل على الرحيية في اللغة وهاعبي الانكليزية . اي لم يبق للاعراب فيها من اثر كبير ، تعبر عن الفكر والعلم والهن يسر ، ولو ان الاعراب ضرورية للفهم والافهام لقي والحافظ عنه جميع اللغات اني كانت معربه ، ولكن لكونه غير ضروري سقط وقد جارت العربية المحككة سائر اللغات في مجراها الطبيعي فهي من هذه الناحية حية مائة منظورة .

ثانيا التطور الصوري والنحوي

ليس لنا ان نعيد هنا ما قلناه آفا من ان العامية لغة معاصرة للفصحى في صرفها ونحوها وتركيبها ومفرداتها وبنائها .

ولا يسما في هذا المقام تعداد العروقات البينة بين صرف العامية ونحوها وبين صرف الفصحى ونحوها ، اما يريد ان يؤكد ان صرف

(١) من يعتقد ان العامية لا صرف لها ولا نحو هنر جمع كتاب المسبور ميشال فالي استاد اللغات السامية في جامعة ورو

العامية ونحوها مثلان تطوراً وتقدماً فاقصر العربية المحكية على عدد قليل من اضمائز ، وبصرى الفعل ، واستعمال اسمي الفاعل والمفعول وصوغ المحمول واهما من حروف كثيرة والاستعاضة عنها بعدد أقل وغيرها كثير ، جميع هذه في بظري تمثل تطوراً طبعياً في اللغة وتقدماً يتماشى مع الحياة . وليس على المرء الذي يشك في هذا الرعم الا ان يطالع بعض ما كتب في اللهجات العربية المختلفة ليرى ان العامية لغة مستقلة لها صرورها ونحوها واساليبها^١

وود ان يمثل على ذلك ناحية واحدة ، هي فكرة الرمز في الفعل ان الناس درسوا لغات السامية عامة وفاقها ، فالتغات الاوروبية شعروا - ولا يمكنهم الا ان يشعروا - ان فكرة الرمز في الفعل السامي غير محددة تحديداً دقيقاً كما هي الحال في اللغات الهندو - اوروبية فهي الساميات يربك فكرة الرمز عامة على اجاز الفعل او اتمام الحدث لا على فكرة الرمز ذاته فان كان الفعل او الحدث قد تم فهو ماض وان لم يكن قد تم فهو حاصر . ولم تعرف اللغات السامية غير هذين الرمين باستثناء العربية (التي هي أحدثها تاريخاً وادباً)

(١) كثير المؤلفات من افريقيات ايب و مرسن وانكرو وايطلين وانكرو ومن حديثات غيرها يستطيع ان يقول ان كل اللغات السامية قد درست ودرس صرورها ونحوها واساليب لغتها

فإنها استطاعت ، بفضل أعمال مساعدة وحروف ، أن تصرف بفكرة
الرمز تصرفاً أفضل من بقية اللغات السامية . ولكن رغم هذا فإن
تحدد الرمز في اللغات السامية يقصر عما هو عليه في الانكليزية
أو الفرنسية أو الألمانية .

ولكن العامة ، التي لم تحصع لاحكام الصرفيين والحوين بل
حرت على السنة المتكلمين بها حرياتها الطبيعي المحتم ، استطاعت أن
تغير عن الرمز وأن تحدد تحديداً دقيقاً . فإن الذين درسوا اللهجات
العربية لاحظوا أن جميع صنف الأزمان الأوروبية لها عائلتها في صنف
الأرمان في العامة العربية . وليس ذلك فعلاً واقساماً عن العرش إنما
مرده إلى طبيعة الأسان عامة وإلى المشترك في تفكيره ونصوره .

ثالثاً خضوع العامة لواميس لغوية طبيعية

ودليلاً الثالث على حيوية العامة وتطورها مع الحياة هو أنها ، شأن
كل لغة أخرى . تحصع لواميس لغوية طبيعية ، سيما نجد أن الفصحى
سنة للسياح الذي أحيطت به . لا تخضع لفعل هذه الواميس ولكن
لغة الناس إذا أفلت من الطفاق سرت مسراها الطبيعي واتجهت

(١) راجع كتابي ، المذكور أعلاه ، ص ٣ - ٨٠ حيث بحث الفعل .
و قد عرفت ذلك بكثير من شواهد المستمدة من لغة لبنان الشمالية . ولكن ما يصدق
على هذه اللغة يصدق على غيرها من اللهجات العربية المحكية أو حد بعيد

اتجاهها المحتوم

من هذه الدواميس النعوية الطبيعية - ولن يذكر الك جميعها - لان هذا يقتضيا الخروج عن الموضوع - ناموس الاقتصاد - الاد - الاقتصاد في اللغة مدأ عام ، والاقتصاد حوهر من حواهر البلاغة - اعتبر مثلاً عدد الصمائر في النسخ (١٤) وعددها في العامة (٨) والمادان المشى سقط والمشي طاهره نعوية - انه تر جمع الى اول عهد الانسان بالعدد، وقد سقطت هذه الظاهره من اكثر النسخ التي كان فيها مشى لان ليس له ضرورة كل ما اراد على واحد فهو جمع واسقطوا جمع صمير المؤنث وهذا الاقتصادي عدد الصمائر احدث اقتصاداً عظيماً في تعريف الفعل ، فعوضاً عن ان صرف الفعل مع ١٤ صرفه مع ٨ ، وفي الامر عوضاً عن ٦ مكفي ثلاثة فعول قوم فومى قومو

رابعاً الاهمال والاقتناس والتجديد في المسمى

ودليلاً الرابع على ان العامة لغة حية نامية متطورة حرصها على اهمال (او امانة) ما يجب ان يهمل ، واقتناس ما يجب ان يقتبس ، وتجديد ما يجب ان يحدد في معناه فهي من هذه الناحية تسير الحياة فانه في زمن كان الناس فيه يتلبون سهلوايات الله كان للاسماء لا يحصر في عددها ، وبناقة اسماء عديده ، وكان لتسيف اسماء يصل عددها الى المئات ، وكان للفعل ما يقرب من السبعين اسماً ، وكان للنداهة

اسماء عديدة ، وعديدة جداً حتى قيل : اسماء النواهي من النواهي !
 وطرس كرامه بطم قصيدة (أمن خدما الوردي اقتك الحال .)
 يكاد عدد آياتها يقرب من المئة وكل بيت ينتهي «لعل الحال ، وفي كل
 بيت لتحال معنى يختلف عن معنى الحال قبله ، وكلمة بسيطة مثل «الرر» ،
 هــ الطغام الذي يراه كل يوم على مائدة من موائد الطعام ، له في القاموس
 اشكال عديدة :

« الأَرَرُ والأَرَزُ والرَزُ والرُّرُ » (بك الاعداء) وربما كان
 الاصل الأَرورُ بمعنى الانقاص .

اما في العامية فللاسد كلمة واحدة ، وللسيف كلمة واحدة ، وللعسل
 كلمة واحدة ، وانتقت العامية اسهل الالفاظ للرز ، والحمد لله على هذه
 العم

والعامية نقس حيث لا معدى عن الانقاس وذلك لتحررها من
 القيود ولاعتاقها من وطأة التقيد ، ولا فلاها من تحكم المجامع اللغوية .
 فقد اُرتأت ان تاحد لعل التلهون كما هو في باقي لغات العالم ولم تقل
 بالمصطلح الذي وضعه مجمع فؤاد الاول للغة العربية . وقد اشتقت من
 الاسم فعلا ، فيقولون « تلص » واما اوكد لك ان لا مجامع للغة في الافطار
 العربية ، ولا قوانين حكومة ، ولا سلطة اخرى على الارض تستطيع ان
 تقصي على هذه اللفظة او ان تحل محلها لفظة هاتف او لفظة اخرى

استعملنا في هذه الدراسة لفظة «توهم» شكليها العربي وفسرنا
معناها العلمي بالحدوث ولأن نقلها إلى العربية بسقط واحد محدد المعنى
والاستعمال أمر عسير على الأقل دلالة لنا فقد ارتأينا أن نصح
هذه اللفظة «توهم» من معرديات علم اللغة ونعلم أن بعض الخاصة
أن يرضى عنها ونعلم أن فلانا من مصر سيفتح رحمتها كلها، وآخر
من دمشق سيفتح رحمة أخرى، فمشكلة سياسية اجتماعية
ويحسر اللغة، ولكن أعلامنا عندما يرفعون فكرنا وعندما يرفعون
معناها فننتردد إلى في قولها، وتصحح كلمة «توهم» وجمعها «توهمات»
من صميم اللغة الفرنسية، إنه لا أمل من أفصح من انصاف الودع
والاستصرلاب والد هم

و نحرص على عدمية على تحدث المعنى وهذا ما يشكو منه كل من
أول الكتابات العلمية أو الاجتماعية للكلمات العربية معان عديدة
ومعان غير واضحة، العلم يطلب التحدث خذ مثلا لفظة «درس»
في القاموس واعتبر معناها المحدد في العامة «عرف» معناها عرف
ولكن أفصحها في القاموس راجع لفظة «حوب» في القاموس وقل لي
ما معناها؟ قد تقول هذا عى في اللغة، واقتصار العامة على معنى واحد

فقر واحفظه أما نحن فحذرك الرأى واعتقد ان هذا من دلائل
الحياة. الحياة لا تهل العموص والاهسام ، ولا تتحمل الاحاحى
والهتوايسات الحياة تنصب الساعة والوصح والحدائق تهل ما
قد مات

حامسا العنصر الانساني في العامة يضي عليها مسحة من الحياة

وقد اشرنا الى هذا عندما قلنا ان الله اكثر من قويمات ، واكثر
من كلمات ، واكثر من ركب الله حياة ، هذه الحياة هو العنصر
الانساني ان الفصحى لساعة الكلاء فلا يرحى منها ان يعبر عن
الحياة بحلاوتها ومرارتها وقسوتها ، لها كما استطعه العامة ، والدليل
ظاهر ، فالك لا يستطيع ان يقول بالفصحى ما يقوله في العامة ، وادا
نقلته الى الفصحى انى حافا قاسا حنوا من العنصر الانساني اللصق
بالله تصور على المسرح فلا حاكم الفصحى او سكران يتكلم بالفصحى
او خادمة تحاطب سيدتها بالفصحى او حبيب يحكى قصص افاضيه
الرحلاوية البراريه لله الرمحى ، وسعد فرجه فى تكات بعضها
بالفصحى ، او المجلات المصرية تقول كلام « ابن ارد » اى
الفصحى !

اثر ازدواج اللغة في المجتمع

اثنائي في الفصل السابق ان العامية لعقائمة بدانها تختلف عن
عن المصحى في اصواتها وتركيبها ومفرداتها وتعايرها . ويحق لنا ان
نقول الان ان للعرب لغتين مصحى معرنة، وهي اللغة الادبية الرسمية
المعترف بها، وعامية غير معترف بها، وهي ادب في نظر الناس لغة رديئة
او اسحطاط لعوي . ولكن رغم هذا الرعم الخاطيء فانها - العامية - لغة .
لغة الحياة اليومية .

وعامة العرب لا يدركون ان ازدواج اللغة مشكلة فكرية تربوية
سيكولوجية لها اثر عظيم في حياتنا . ونحن لا ندوم العرب اذ اهم لم
يالوا بهذا الامر . فانهم في شغل الان عن القضايا اللغوية . لهم من
مشاكلهم الاقتصادية والسياسية ما يصرفهم آيا عن مشكلة ثانوية كمسكلة
ازدواج اللغة . لكننا نعتقد ملخص ان ازدواج اللغة من اهم قضايا
العصر . ونعتقد ان الوقت قد حان لى كي نذكر في الامر على صعيد
الفكر ، لا على صعيد العاطفة . يبدأ تحرير الفكر بتحرره من رقة
الحرف .

ان مشكلتنا اللغوية مزدوجة ، فهي اولا مشكلة لغوية صرفية
 كتابتها ، صرفها ونحوها ، اساليبها ، سموها وحمودها ، كتب التدريس
 فيها واساليب تدريسها ، وهي قضايا خطيرة ، ولكنها ثانوية اذا قيسَت
 المشكلة الثانية الروحانية الفكرية ، التي لا تدحل في نطاق علم اللغة
 الصرف بل هي من قضايا السيكولوجيا والفلسفة وروحوا ان يكون
 في اثارة هذه القضية ما يحسب بالملازمة عندما والكولوجيين للتفكير
 في الامر

لازدواج اللغة ، في كل شعب ، اثر في

(ا) الفكر

(ب) التربية

(ج) الشخصية

(د) الاخلاق

(هـ) الفنون الجميلة

(١) اثر ازدواج اللغة في الفكر

المعاسبقا الى قضية فلسفية لا تزال قيد البحث والجدل : هل

الفكر اللغة ؟ وهل يمكن التفكير بدون لغة ؟ وكذلك المعنى الى خطأ اعتبار اللغة مجرد أداة للتعبير عن الفكر . لانه اذا اعتبرنا اللغة مجرد أداة توجب علينا ، منطقاً ، ان نفترض وجود فكر مجرد قائم في محضات ينظر أداة ليعبر عن ذاته تماماً كما يشعر الحمار الذي يريد شق حشوة بحاجة الى مشاة . وكما يشعر الحيات بحاجة الى ارميل والمجمع عليه الان ، سواء كانت اللغة هي الفكر او الفكر هو اللغة ، وسواء اكان هنالك فكر مجرد عن الصور التعبيرية ام لم يكن ، ان ادراك الانسان الوجود ادراكاً واضحاً لا يتم الا عن طريق اللغة . واني اذكر بوصوح ما قاله عالم المائي في علم الحيوان في محاضرة له في جامعة لندن عندما كان يبرهن انه يمكن ان يكون هنالك فكر مجرد بدون كلمات - « اكثر التفكير في الانسان لا يتم الا عن طريق الكلام » لان في الكلمات صوراً ذهنية ، وعندما تذكر هذه الكلمات تمثل الصور في عقولنا . ادراكنا اساس التفكير وسيل للتفكير . ويترب على هذا ان تكون اللغة امرأ طبعياً يسهل الفكر بدلا من ان تكون امرأ فيه تكلف وعناء وجهد يعوق الفكر ونحن نعتقد ان انتقال العربي من لغة سيالة مرنة غير معرنة ، من لغة لا تحتاج الى عناء ولا الى مثل مجهود ، الى لغة عربية عن حياته اليومية

(١) كان ابتدأاً سايبر (Sapir) يقول : Language & thought grooves اي انه كان يرى في اللغة « حاديد » للفكر كمنك لاحتاد التي تحدد عن اسلوبه الفوتغراف . راجع كتابه Language ص ٢٢٢

صعنة معقدة معرفة تخضع لحوالب معبئة امر يعوق الفكر . لان اللغة
طريق الفكر وعوضا عن ان يصب الجهد الفكري في المعنى يصرف
ان لشكل اسم يظهر فيه المعنى و المعنى اصل والشكل فرع ، او ذاك
جوهر وهذا عرض هذه هي مشكلة اردواج اللغة بالنسبة الى الفكر .

سيقول معترض انت معال . فان من يتقن العربية الفصحى لا
يحد فيها عائقا عن التفكير وهذا هو طه حسين ، عدنا لله العلابي ومشاح
الارهر والسحب واعضاء المجمع العربي في دمشق القاهرة اهم جمعا
يتكلمون العربية الفصحى ويعبرون عن الفكر بلغة فصيحة ولا يشعرون
شيء مما شير اليه هذا يمكن ، ولكن المعترض شيع الى عدد قليل من
الناس ، واما نحن فشير الى ملاين وملاين من الناس الذين لم ولي
يتقنوا العربية انما مشاح اللغة لها . لان لهم مشاغل غير اللغة اكثر
الناس يكسح لكسب عيشه لا ليتكلم لغة عربية فصيحة معرفة لتعجب
الكسائي او ليرضى عنها القرأه .

الحقيقة ان هذه القضية (ان اردواج اللغة يعوق الفكر) قضية
تحتاج الى اثبات بالتجارب . ولكن لا تعلم ان احدا من الناس تصدى
لبحث هذه الناحية فيما يتعلق بالعربية . غير اننا سدلل على صحة زعمنا

سندكر بعض الشواهد المسية على اختيارنا الشخصي ' فلما أحد ولدا
عمره ١٠ سنوات ، وكاتبنا بعالم قضية فكرية أو علمية ، ومحاصر أو
مدرسا

يطلب الى ولدي رصا ، وعمره ١٠ سنوات ، ان يتكلم الفصحى
في الدروس التي تعلم بالعربية : الحساب والجغرافيا والتاريخ واللغة
العربية ورصا من الاولاد المتوسطي الذكاء ويحتمد في دروسه وهو
كثيره من الاولاد في هذه الس باني الى ابيه او الى امه ليمتحن معرفة
دروسه قبل ان يذهب الى المدرسة وقد حاولت في الاونة الاخيرة ان
يكون رضا وارواح اللغة عنده موضع درس فكنت اقول له مثلا
ما هي حدود العراق الجغرافية ، او اخبرني قصة الاسكندر المقدوني في
حربه ضد صور (وادكر هذه الامثلة لانها كانت من المواد المطلوبة منه
السنة الماضية) او اخبرني كيف تحل المسألة الحسابية التالية . اما
اجوبته في التي بلغته العامة فصحيحة نذل على انه قد استوعب ما طلب
اليه ان يستوعبه يسر وسهولة ولكنه يقول لي « يا بابا لارم احكي
عربي فصيح » فاقول له هات ما عندك . جرب ان تخبرني هذا الذي

(١) كما سمى لو ان سيكولوجيا حاد تصدى بحث الفص من ناحية عقلية
وذلك باجراء تجارب على الصغار والكبار . وانا متيقن ان تجارب من هذا النوع
ستكون هادفة عظيمة في حل مشكلة من مشاكل التربية ومشكلة من مشاكل اللغة .

قلته لي عربية « مرة » وعدم نفق الفكر ، فكر رصا ، ويصعب
جهده في الشكل الذي يعبر عن افكاره لا في الحقائق او المعلومات التي
يريد ان تنكح بها . اصح الان يفكر بالمفردات وبالشكل الصوري
واسحوي والتركيب العربي عن حياته . عدما يستحل رصا الى ولد غير
طبيعي ، الى ولد لا شق نفسه ، لان رصا يفكر بكلمات وهذه الكلمات
التي يريد ان يفكر بها عربية عنه لا يحضره سهولة لانها ليست مه ،
ولا يعرف شكلها الصوري والسحوي بفقه فكره . وهذا امر لا شك فيه ولا
شك فيه كل مدرس مصنف ولا يقف الامر عند هذا فان هذا الصغير
(وامثاله من اصغار) تصابق من نفسه ، وارى احيانا اخرى دمة تتفرق
في عييه لانه لا يستطيع ان يقول بالمصحى ما فاه بالعامة مد دقائق ،
ويسر وسهولة .

ولكن الامر على يقين هذا . عدما يكون لسان رصا وفكره على
توافق وتجاوب ، عند ذاك يكون لغة رصا موحية للفكر ، فانه يشعر انه
سيد نفسه ، يشعر ان له شخصية او فردية يعبر بها ، فهو واثق بنفسه
محترم ذاته . ولكن عدما يشعر ان عقله مكبل مقيد خادم للغة فانه يشعر
بانقصاص وبنفرة من اللغة .

قد تقول ليس رصا عربيا ، او قد تقول ان رصا لا يشل كل ولد
عربي . اما نحن فنطلب اليك ان تسأل آلاف الاباء والامهات اذا كان

عندهم اشاء رصا . وصر على بعض ناسهم سيقولون لك رصا يمثل
كل ولد عربي يذهب الى المدرسة ويحاول ان يعبر عن فكره بلغة ليست
لغته . وسيقولون لك ان الفكر يقف عند الانتقال من العمامة الى
الفصحى

حل عنك مشاكل الاولاد . رغم انها مشكلة خطيرة ، فاهم لا
يعرفون الفصحى ، ومن الطبعي ان نشأ هذه الطاهرة الفكرية ولكن
تعال معي الى مكاتب اهل الفكر والعلم والقرآن والفسف واهب اليهم
ان يقتحوا لك صدوهم كما يحب ان يقتحوها . لان الفصه لا
تتحمل الكتب والربنا والمكابر . واطلب اليهم ان يصارحوك القول
في شعورهم نحو الفصحى عندما يعالجون قضايا علمية وفلسفية واجتماعية
هل تدين لهم ؟ لا اتفقد من جهة المفردات فقط ، من من جهة التركيب
والاسلوب واستقامة العبارة العربية الا يشعرون احيانا ان هذه العبارة
او تلك ركيكة . ولكن من جهة المعنى صحته . فيلجأون . خوفا من
قد علماء اللغة ، الى تضحية الفكر في سبيل استقامة الورد او التركيب
من ما لم يعد قراءة ما كتبه ، او من ما لم يعدوى ، على حساب المعنى ،
عبارة قد يؤخذ عليها لغويا ؟

كثيرا ما استلم رسائل يتقد اصحابها عبارة سقيمة ، او عبارة غير
عربية وردت في مقال علمي او فلسفي او اجتماعي في مجلة الاحداث التي

تصدرها الجامعة الأمير كنه وليس معاه ان هذه الجمل ليست عربية او
ليست صحيحة ، بل لانها لا تتلاءم والاساليب التي اعادها اصحاب
اللغة انها معايير للغة القديمة التي اقوها الفرق بين الذين يحشون
العلم والفلسفة وبين الذين يحرضون على قوالب العربية هو ان العلماء
والادباء الناحين يحاولون احضار العربية لفكر لا احضار الفكر
لقوالب العربية

لا شك في ان نقاد العربية الذين سقروا هذا الكتاب سجدوا
فيه كنه امر المآخذ الدعوية سجدوا ان الجمل متدحله ، وفي بعضها
حمل معنوية ، وفي بعضها اصطلاحات عربية لا يرص عنها فحول
العربية ولكن في كتابي شعر دوما ان اللغة حامية لي لا محدودة
اقول لنفسه انه يجب ان نحض العربية لي وان ندير لفكري ، لا ان
يحصع فكري وعلمي لقوالب معينة يروى لادواق حيل من الناس
ماتوا منذ مئات من السنين

هل حاول ترجمة مقال في المطوق او الرياضيات العاليه او
الفلسفة او علم الاحتماع او علم الاثنولوجيا ، او في علم اللغة ذاتها؟
اما انما فقد حاولت ، والذين حاولوا مثلي لا يسكرون مبلغ الصعوبة في
احضار العربية لصرامة العلم وشديده ، ولا يسكرون ان في الترجمة
« التقريرية » التي يقومون بها كان عليهم ان يحضروا الفكر للغة لا اللغة
للفكر خوفا من نقد لعوي او خوفا من ان يقال « عبارة سقيمة » او

« عبارة اعرابية » .

ويظهر اثر اردواح اللغة في الفكر في المحاصر والمديع والواعظ والمدرس ، هذا اذا لم يعتمد هؤلاء لكتابة حطهم ومحاصراتهم ومواعظهم وتعميرها بالشكل السام قبل الانهاء . اما اذا طلب اليهم ان يحاصروا ، او يدبعوا ، او ان يعطوا ارتجالا بدون سابق تحضير ، فان الكثرة الكثيرة منهم تنفق الجهد الكبير في الشكل على حساب المعنى . واطلب الى القارىء بقطعا ان لا يذكر لي طه حسين والعلايلي وشيخا آخر من هذا ومن هناك يستطيع ان يتكلم ساعة دون لحس هؤلاء لا يمثلون العرب الاحياء (اقصد من حبه استقامة الله) .

قول احمد امين في تقديمه كتاب « العربية ، دراسات في اللغة واللهجات والاساليب »^١ ليوهان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار (صفحته ص) . . المدرسة الحديثة تستقي من الادب العربي معانيه واساليبه وتفسره ، ولم تستق من الادب العربي الا العاطفة وبعض اساليبه . « ولكن فات الاستاد ان يذكر ايضا ان هذه الالفاظ بعضها وهذه الاساليب تحدث من نشاط المدرسة الحديثة في استقائها من الفكر العربي .

(١) القاهرة : مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٣٧ - ١٩٥١

(ب) انو از دواج اللغة في التربية

ولاز دواج اللغة اثر عظيم في التربية . نكتفي بالاشارة الى اربع
بواحي رئيسية .

(١) عصر الرمن واثره الاقتصادي

(٢) الاعراض عن القراءة وكساد الادب

(٣) طغيان الغالب على المعنى

(٤) كتب التيسيس

(١) عصر الزمن واثره الاقتصادي

على كل شئ مردوح الله (او اللغات) ' ان يقضي سنة او
ستين او سموات اصافية في تعلم اللغة . ونحن العرب احد هذه الشعوب
فاذا يقضي رسامته اطول من الرمن الذي يقضيه العربي في
تعلم لغته

(١) على نفس اليهود ان يعمدوا ثلاث او اربع نقات الانكليزية وهي الله
الوحيد التي نحمده ، و هذه هي تأملات ان كل على الانكليزية بعد حيل او حديق
ثم الله المحبة او شحبي . ولي حوي فرقتهم عليهم ان نسموا لغة الافريكان
والانكليزية و سنة اوروبية اخرى .

ان الانتقال من العامية الى الفصحى هو الاسفال من لغة الى لغة
 اخرى معايرة لها (راجع ص ١١٦ وما يلي) وتعمم هذه اللغة الجديدة،
 العربية الفصحى، الى درجة الاتقان ليس بالامر السهل . ولا يكر هذه
 الحقيقة الا كل مكابر فحرف العربي الحالي من الحروف المصونة
 يجعل القراءة الصحيحة امرا شاقا ، ان على الفاري ان يفهم أولا ثم
 يقرأ قراءة صحيحة ثانيا . ويعلم حالات الاعراب . وما اليها من
 جوازات وما يتبعها من شواهد . يحتاج ان يمارس طريقة . ومدقضاء
 سنوات في الدراسة الابتدائية والثانوية الجامعة . يخرج اكثر الصدة عبر
 فادرين على القراءة واهة صحيحة ، ولا ممكن من الكسالة كتابة
 صحيحة . ولا اعتبار للاقلية

سقوط بعض المعلمين ان طسني لا شملهم بمصمك الحاروف
 فاهم اتقوا العربية قراءة وكتابه في د من قصير ويسو وسهولة قد ينطلي
 هذا القول على بعض الناس ، ولكن لن ينطلي علي وعلى زملائي في الدائرة
 العربية في الجامعة الاممية كية حيث يعطي الطلاب العرب امتحانا سيعطا
 جدا ساون كناية مقان في خمسين سطرا في موضوع عام ، وتحليل جملة
 اويست شعر تحليل صريحا ومحويا . وقد تجمع لدينا من المعلومات عن
 مستوى اللغة العربية في كل قطر عربي ما لو كنا لشهره على ان اس
 لقالوا اما كادبون . وقد حطر بالي يوما ان اشرها بالركوعراف .

ولكن قلة المال يبدى حالت دون امنيته ولكنني مستعد ان اقول —
ومستعد ان اتحمل مسؤولية ما اقله — ان الذين يقرأون قراءة
صحيحة طبيعية سيالة دون تردد وعناء في التفكير ، والذين يكتبون
كتابة عربية سليمة لا يجد فيها الباعث محالاً لتقديم دراسة ثانوية وجامعية
هم قلة قليلة جداً بالنسبة الى مجموع المعلمين من العرب .

وتجاه الجامعات العربية مشكلة خطيرة . انحطاط المستوى اللغوي .
وقد سألت اساتذة مصريين وعراقيين وسوريين عن هذه المشكلة ، وقد
كان هناك شبه اجماع بان مستوى الطلبة في العربية منخفض ، ويشعرون
ان علي الطلاب قضاء سنة اخرى او سنتين من سبي الجامعة الثمينة في
اتقان العلوم العربية الالية قبل ان بدأوا في تركيز الجهود في تدريب
العقل وحصيل المعلومات ، وهو العاية من الدراسة الجامعية

اذا كان على الفرد منا ان يقضي من العمر شطراً ثميناً في تعلم اللغة
فماذا يتقى من العمر للاستفادة من اللغة ؟ ان عصر الزمن ثمين
جداً ، لا بل هو اثم شيء في الحياة ، وقضاء شطر من الزمن في تعلم
اللغة حسارة مادية فادحة . قد يقول قائل : ولكن الدن ليس ذنب
اللغة انما هو دنس المعلم وطرق التدريس . في هذا شيء من الصحة .
ولكن السب اعق من هذا بكثير . قد نشى الكليات لاعداد المعلم
العربي ، وقد تشكل اللجان من الاختصاصيين لوضع كتب التدريس

ولتقويم اساليب التدريس، وقد تحج في اصلاح الامر بعض الاصلاح،
ولكن المشكلة تبقى قائمة لان القضية قضية اللغة ذاتها وازدواجيتها.

(٢) الاعراض عن القراءة وكساد الادب

واما اعلم انك ستقول هورا الاعراض عن القراءة وكساد الادب
عندنا مردهما الى الكاتب والشاعر والناشر وليس الى اللغة
ذاتها. قد تشير الى عللة الامية في الاقطار العربية، والى العامل
الاقتصادي، اي الى عجز الكثيرين عن شراء الكتاب العربي، وقد
تقول ان المدرسة فشلت في تأدية رسالتها فلم تحب القراءة الى
الناشئين، وقد تلوم البيت العربي او الوالدس في تقصيرهم في استهواء
الاولاد للقراءة في البيت، وقد تشكو من المقرء ومن طريقة عرضه وشره
وما الى ذلك من العوامل التي نسلم انها عوامل تعمل على الاعراض عن
القراءة وعلى كساد الادب وفقير الاديب ماديا وروحيا.

ولكسابرى في اردواح اللغة السب الاول في الاعراض عن
القراءة. السب هو هذه العرة غير الواعية التي استقرت في مؤجرة
ادمعتا عندما كنا صغارا في الكتاب او تحت السديانة او في مدرسة
الجامع او الكنيسة نقاسي ما نقاسيه في تعلم قواعد العربية واحكامها
الشدينة وحررها الخالي من الحروف المصوتة. السب هو بعد هذه اللغة

الادبية عن لغة الحياة ، هي هذه وغيرها محتمة جعلت العربي يعرض
عن القراءة.

سيقول بعض المعلمين. هذا ليس صحيح، فان اقبل ال طلتي على
العربية اقبالهم على قطعة من الخدوى وحبل هؤلاء المتفائلين الى ما
يقوله علي الحارم ، وهو الرجل الذي كان له اوسع الاحتمار شؤون
العربية ودرسها ، فانه في محاصرته التي القاها في المؤتمر الثقافي العربي
الذي انعقد في بيت مري ، يقول :

« . لهذا ولكثر من مثل هذا كره الطلاب العربية وارعموها
على تعمدنا اراءنا ، فاحسوها كما يؤخذ الداء المر الذي لا يثق به المريض
ولا يرجو منه شفاء »

(٣) طغيان الطالب على المامنى

بما لا شك فيه ان الغالب النعوى او الاساليب الكتابية الموروثة في
العربية تظمى احيانا كثيرة على المعنى . وقد تسه الى خطورة هذه الظاهرة
عز طيب من الاساتذة في مختلف الاقطار العربية وراحوا يحاربونها
بافهام الطلبة ان اسه الجميله هي اللغة البسيطة التي تعبر عن الفكر

(١) المؤتمر العربي الاول المنعقد في بيت مري ، القاهرة ١٩٤٨

والعاطفة طريقة طبعه لا تكلف فيها ولا اجتهاد قد كان علي كمدرس
العريفة ان اقع كثير من طلابي القاديين من المدارس الثانوية ان
المعنى يأتي اولاً ثم القالب ثانياً اذكر حوادث عديدة عندما كان يطرق
اب مكى طالب قادم للاستفسار عن « كارتة » وما هي ؟ انه رسب
في الاشياء بسما كان ينظر مي درجة ممتازة جداً اذن من حقه ان
يسأل عن السبب. ولكن السبب بسيط في هذه السبب يحرض الطلاب
على ان يطعموا ما علمهم اناه في السنة الاخيرة من دراستهم الثانوية في
الانشاء المخصص لآلة اوسس تعلمهم اطلاق والحساس وحسن
المواراة والسجع والاستعارة والشبهة والورية والاكتفاء والمجمل على
اختلاف اماعه ؟ الم تذكر ايه ؟ مع الكلام الجمل الفهم ؟ الم يحضهم
عن اثر العناية الطيبة ، عن الاسلوب الحبيب ؟ وقد وعى اكثر هؤلاء
الطلبة الشيء الكثير من هذه الثقافة اللغوية ، وقد رشح في ادها ان
هذه من صلب اللغة ، والامدادا مصواسة يسططرون كتب البيان
والمدح ؟ وهكذا جاء انشاؤهم موشى بكثير من الحروف الفارعة .
عبارات وعبارات وعبارات ، ولكنهم فارعة من كل معنى والنتيجة
رسوب في الجامعة هالكه ساقص شيع ، فعون الطالب ، فانهم من ناحية
يعلموناً اشياء اذا ذكر باها لهم رسوبوا !

كان يقول لي هؤلاء الطلبة الذين يرسون في الانشاء لبعثهم العامة

الصادرة عن ساطة واحلاص. الصادره عن قلب تميد يكاشف استاده
في امر كان يظنه الحقيقة بعينها « يا اساد ما نفهم انو بدكن لغة
يعا بدكن فكر ؟ هذا اشاع عري » اذ كان بدكن فكر حنونا نفهم من
الاول ، وادا كان بدكن لغة س - هدي لغة ا

كنت اعصب اولاً وانور ثم اهدل علي اطلب امارص الكلام .
ولكني وجدت احياً ان بعض هؤلاء ، اخذه لم يقصد أه تي او تحقيق مهة
تعليم العربية اذ ركزت بعدد من اهم محصور في قولهم ، حادون في
رغمهم بان اللغة شيء ، بان الفكر شيء ، آخر . الفكر في درس
الرياضيات و الفلسفة والعلوم ، اللدت ، لاحتية ، اما الدمة عندا فقواب
صانة حيالية محاربة . عدم معاصاه الفكر بتعير الاسلوب الفكر
ومعاصاه الفكر لا يقرن بدرس العربية ، على الاقل في المدارس .

كنت اشعر احياناً ، بعد ان يجلس الطالب وقد اصاه رداد كلمات
قاسية امي اخطأت اليه كنت اقول له هل نحن ، مدرسي العربية ،
لنهاء محلولون اعياء فارعون افاكون ام ماذا سألوا ادا « بدكن فكر
ولا بدكن لغة ؟ » هل يصاعسا لغة حالية من الفكر ؟ ولكي اليوم اذا
سمعت سؤالاً من هذا الفصل - وقد قل هذا السؤال كثير الان اطلنة
قد ادر كوا ان سؤالاً من هذا النوع يثير حبيطة كل مدرس يحترم نفسه
ويحترم مهته - فاني اندكر ان في برامج التدريس حصة لتعليم البديع

والبيان (ولطم الشعر احبانا) كت ادكر الدياحة والمقامة ومصر
القطع الطانة التي تراها في كتب التدريس فاكف عن تقرير الطالب
لانه قد رسح في ذهه ان اللغة هالها ، شكلها البياني ، ناساليها الديعية ،
وانه كلما كثر الرحرف جاءت اللغة جميلة مؤثرة

هم ، لئلا الحمل اساليه ، وللبيان سحره ، وللقطع الادية ما يميزها
عن بقية النثر ، ولكن هذا ليس ساي ان بطني الفالب على المعنى
وطبيعة المدرسة العربية - ولا سما في هذه الفترة - ان تصع المعنى
والفكر اولا وانتقال او الشكل ثانيا ، وهذا لا يتم الا بعد ان يصح لنا
لغة واحدة هي لغة الحياة ما دامت هذه القوال اللعوية المتوارثة
والاساليب الديعية الفارعة حرا من التعلم ، اي مادة مقررة في
الدرامح ، فانها ستطل توحى الى الصنة هذا الرحرف الفارغ

(٤) كتب التدريس

ومن تؤمن ان اللغة العربية المعصحي لا تليق للاطفال لا نثرا ولا
شعرا ، ولا يستطيع عقل الطفل المسكين ان يفهم من لغة امه
الى لغة ارسنقراطية معربة بعدة عن حياته كل البعد ، وكل معلم او
اب عانى تدريس طعنه العربية يدرك هذه الحقيقة . واحشى ان تكون
لغة هذه الكتب بما يولد فيه نفرة من اللغة ، ورد فعل يقتل فيه الخيال .

أناي ولدي رصا يوما يقول : « بابا شو يعني حصاصه ؟ » قلت له
لا ادري يا رصا ، فاني اقرأ العربية منذ حوالي نصف قرن ولم امر يوما
بهذه الكلمة ، فما لك ولها ؟ قال : هي في درسا « قم عن الطعام وبك
حصاصه . . » قلت امهلي حتى راجعها في الميروزبادي او في ابن
مطور او اس سيده لدرى اولا كيف يلفظونها ، امي حـ او حـ او حـ
وثانيا لجد معناها ، ورصا ولد فطين فانه لم يتمالك عن الضحك . البابا
في جامعة ولا يعرف كلمة في درسا ، ها ها !!

قد تقول ولكن الدبب ديب المؤلفين ، فان واصعي كتب التدريس
ليسوا من ذوي الاختصاص بل من المتاجرين والمستعدين والمرتقين بمن
يمشون على هامش ورايات المعارف وقد تكون على شيء من الحق
فيما تقوله ، فاني انا ايضا اقول بان الذي يكتب للطفل يجب ان يكون
اولا معلما مجربا محترما ، وثانيا مربيا سيكولوجيا ممتازا وثالثا فيلسوفا
وفنايا . ولا تضحك فاني حاد كل الجد ، لانه ايسر على امرئ ان
يحاطب جماعة من العلماء من ان يحاطب اطفالا . وهذا المعترض على
حق ، فان هؤلاء المؤلفين لم يراعوا لغة الطفل ، ولم يتقوا مفردات
الطفل ، ولم يراعوا عقل الطفل ، ولم ينزلوا الى مستواه ، ولا سابروه في
تفكيره ، ولا عايشوه في لدته ورعته وحياله . بل الامر على عكس هذا
فانهم انهلوا عليه بسيل من الخطب والمواعظ والاحلاقيات والوطنيات

السمجة الثقيلة التي لا يتركها عقله ، لا بل لها في قلبه رد فعل معاكس .
ونحن نقول انه اذا كان القحط والجذب في ور التأليف عدما قد طبع هذه
الدرجة المرورية فما علينا الا ان مترجم عن كتب العرب .

نعم يجب ان نعتز بان بعض الذنب مرده الى المؤلف . ولكن لا
معدى من الاعتراف بان اللغة العربية العاصي دامت لا تليق لهؤلاء
الصغار خذ الشعر مثلا واقرا ما يطلب الى الطفل ان يستظهره وماذا
تري ؟ شعرا (العمو ، نظما او صف كلام) سمجا سقيما ركيكا ، فقيرا
في العكر ، مجددا في الخيال ، حاليا من العاطفة ولماذا ؟ الا انه ليس عدما
شعرا ؟ كلا ، فهم في الانقطاع العربية اكثر « من الهم على القلب »
ولكن السب الحقيقي هو ان هذا الشعر بطبيعته وشأنه وبروحه
وأورانه وبلغته لم يكن يوما للاطفال ، حتى ولا لعامة الناس مثلي ومثلك ،
بل كان للملوك والسلاطين والامراء والاعبياء واصحاب السيف
والعشاق المعاميد والوالهين الساكنين . فكيف نتطر منه ان يلين ليكون
اغاني واقاصيص واشعرا للاطفال ؟

لغة الطفل هي لغة الام ، ولغة الام هي العامية لغة الحياة . وادنا
اردنا ان نجيب العربية الى الاجيال القادمة . واللغة ليست لي ولك
لانتنا نحن زائلون ، اللغة للاجيال القادمة . وادنا اردنا ان
نربي فيهم دوقا اديبا وحيالا رقيبا علينا ان بدأ نحن مشكلة لغة

الاولاد الفصحى ليست لغة الاولاد لغتهم اللغة التي يولدون فيها .

حل المشكلة اللغوية بدأ من هنا كتب استرس . وقد عقدنا العزم
من دراسة لغة الاولاد بين سن الرابعة والتاسعة وذلك تسجيل لغة عدد
مهم ، ثم محاولة اثبات عربيتها وبذلك يكون قد حطوا خطوة نحو تيسير
كتب القراءة للاولاد

(ج) ان ازدواج اللغة في تكوين الشخصية

ولا تسلي ان احذر لك التحصص فاما من حمته تلك الامور التي
يصعب احتصاها بالتحديد العلمي الدقيق كما تحدد مثلا الماء او ملح
الطعام وذلك لانها في الاكثر غير مادية ، هي حالة سحرية فلسفية
تحيط بالانسان ، بكل اسرار ، فتجعل منه امرأ غامضا او مبعثا او شخصا
حياديا لا هو بالسلي ولا بالايحاي .

تعرف الى رجل او سيدة ، وقبل ان تطول معرفتك به او بها تشعر
بانجذاب او نكماش . وقد تسأل نفسك - لماذا اسرعني استاهي هذا
الرجل ولماذا اشحت نظري عن داك ؟ ترى هل هناك جو معطيسي
او كهربائي يعقب الجسم الانساني فيجذب اليه او يدفع عنه ؟ ونحن لا

(١) وسنصنع على الناس مربية بتقريب من لغة الاولاد ، لئلا الان في سن
تسجيل لغتهم تسجيلا حكرائيا .

تعلم الجواب الصحيح ولا يهمها ان يخلو سر الشخصية ، فان هذا من اختصاص السيكولوجيين وعلماء الحياة والفلاسفة ، اما يهمها ان تقول ان الشخصية تقوم على عاملين : الوراثة والثقافة

اما العامل الوراثي في الشخصية فليس لنا يد فيه سلامة الاعضاء ، حسن الصحة (او الاستعداد للصحة) جمال الملامح ، جمال العيون ، القامة ونسب اعضاء الجسم والدكاء ، جميع هذه عوامل تعمل في تكوين الشخصية ، ولكنها عوامل لا يد لنا فيها ، اما اعلم كما تعلم ان هلك حركة قوية في كل قطر تعمل على مسح رواح من ليس اهلا للرواج كي يظل من السهل غير المرعوب فيه ، ولكنها لا يرال في عصر فيه الرواج قضية شخصية ، والشخص حر في تصرفه . قد يكون من عاتلة معرضة للجحش ، ولكنه ليس محبوا فيتروح ويظهر في سله مجازين ، وليس للمحبون شخصية . هذا ما اردناه عندما قلنا ان الوراثة عامل طبيعي في تكوين الشخصية ولكن لا قبل لنا عليها

اما العامل الثاني فهو الثقافة التهديب والتربية اليتية والعادات والاحلاق والسوق ولطف المعشر واللغة . جمال اللفظ والصوت والمعنى في المفردات والمقدرة على التعبير . جميع هذه مكسبه ولنا يد في تميمها واهمها في نظرا اللغة . اللغة تعشي امرا بالناس اكثر من اي شيء آخر . قد تكون السيدة التي تجذب اليها جميلة الجسم ولكنها لا تحسن

لكلام ان من جهة الصوت او اللفظ او حس التعبير ، فحسرها حالا
انه يقصها شيء ، هام لتعام الشخصية فيها .

جميع الامم الراقية تحرص على ان يتقن الخليل الجديد تعلم اللغة
الحميلة المؤثرة . فتري ان لغة الولد تظل تحت المراقبة الشديدة - مراقبة
الاب والام والممرضة - الى زمن متأخر عندما ترسخ في ذهن الولد ما
يسمى في علم اللغة « مادع لغوي » *linguistic* « حميلة رقيقة
ناعمة عبر عن دواخل النفس على افضل وجه . فتري الام تقول: لا تقل
هذا بل قل هذا ، ولا تنطق هكذا بل الفظ هكذا لا يقال هذا في المجتمع
وهو حسن ، بل هذا فانه اعم والطف وعلى هذا النمط ستقفل
اللغة الحسة من الخليل القديم الى الخليل الجديد

وبعض تعلم ان هناك طبقات من الناس ، حتى في المجتمعات
الراقية ، لا تعير هذه القضية الحيوية اقل انتباه ، بل تترك الخليل الصغير
يتعلم لغته من هنا ومن هناك . ولكن هناك طبقات اخرى ، حري بنا
ان نقندي بها ، تشعر ان لغة الولد تكون جزءا من شخصيته ، اذن
واجب يحتم على كل ام وعلى كل اب ان ينشئا اولادهما على احمس
الاساليب واحسن انرا في نفوس الاولاد وفي نفوس من سيتكلمون معهم .

اما نحن العرب فهل يهمنا ان نراقب لغة الولد ؟ كلا . حتى ان

المتأدين ما لا يبالون بالامر . وذلك راجع للشعور السيكولوجي
الراسخ في ادعتنا ان العامية ليست اللغة الجميلة الراقية التي سيثأ
عليها الولد . هذه لغة رطبة ركيكة سقيمة سمجة موقنة . اما اللغة الجميلة
التي سيتعلمها الولد في المستقبل في المدرسة فهي الفصحى . هذه هي
اللغة . ولا معنى لاهتمامنا بلغة الولد الان ، فان المدرسة ستكفل امر
تعليمه الصحيح وفي المدرسة يتعلم لغة عربية عن الحياة . لغة بذنها
الحياة ، فثأ الولد وهو لاي العير ولا في العير . لاي لغة عامية جميلة
مهدنة . ولا فصحى مستعمنة . ولذا ترى ان العربي مردوح الشخصية :
شخصية طبيعية محبة ينسب بها عندما يكلم لغة الخاصة - ولكنها لغة
فقيرة محسودة - وشخصية مصطمة متكلفة ينسب بها عندما يقف
مواقف رسمية حيث يتحتم عليه ان يتكلم كلاما عربيا عن حياته
اليومية .

وهناك ناحية اخرى خطيرة تؤثر في تكامل الشخصية ، وهي العجز
الظاهر في حسن التعبير ، التعبير عن اي شيء . فانك اذا قابلت بين ولد
عربي وبين ولد عربي في الس دانها وحدث ان الولد العربي يستطيع
ان يحدثك حديثا معقولا مفهوما سليما في عبارته وعيا بمعداته فلا
يتردد ولا يتلعثم ولا يردد عما يترك في نفسك احسن الاثر ، بينما اذا
حدث الولد العربي عن الموضوع ذاته لوجدت ان لغته ركيكة سقيمة

تشكو من فقر معيب بالمفردات . وذلك راجع لاردواح اللغة
ولا اعتبارا العامة لغة رديئة لا تليق بها . وقد نقول لي ان المسألة
اجتماعية تربوية ثقافية لا علاقة لها باللغة . عندما يرتفع المستوى الثقافي
للأم والاب فان لغة الولد ترتقي . لا شك ان في هذا شيئا من الصحة .
ولكن المشكلة مشكلة اردواح لغة أكثر مما هي قضية تربوية .

لرأسى نصف ساعة قصبتها مع ست انكليزية في الساعة من عمرها
في قاعة فندق في لندن . لم تكن القاعة مريحة بالروار ، وكانت هذه
الفتاة تتلوى بما اشترته أمها لها ذلك النهار . والعرب انها فاتحني
الحديث قائلة : ألا تعلم ان هذا الممثلان جميل ؟ لقد اشترته لي أمي
في لندن . قلت لها : على غاية من الجمال . هل انت من لندن ؟ كلا
انا من ريستون وقد قدما صاحبنا لشري أموراً يحتاج اليها في المدرسة .
وأمي يحب ان تصنع من لندن . وهي تصطحبنا معها . ولكن لم تجلب
أخي الصغير ، لانه لا يقدر معنى السفر والمجيء الى مدينة عطيفة مثل
لندن . وحظنا كبير في ان الطقس جميل جدا . آخر مرة كنت هنا كان
هناك مطر وصباح ورطوبه مرعجة . أما اليوم جميل . ثم ابي
لحظت في معصمها سوارا اشرقيا فيا ، فقلت لها وهل اشترت الماما هذا

١ - سئمت هذا بغير . فانا نحل لان الله الاطفال بين ٢ و ١٠ وسدوح
الناس قريبا . وخلق ابي ست صورا مله الاطفال ١١

السوار في لندن ؟ كلا . هذا من الهد . لم اقل لك اني ولدت في الهد
واي لا يرال في الهد ، ولكي لا اذكر شيئا عن الهد فاني ارسلت الى
مدرسة في بريستول وانا صغيره احتي يعرف الكثير عن الهد وتتكلم
الهدنة . ثم ان هذه الفتاة استرسلت في الحديث فقصت علي خبر عائلتها
وحدثني عن مدرستها وعن سفرتهم من بريستول الى لندن وعن
« المعاجاة » التي ستعاجي بها احاها الصغير

الحادثة تافهة ، بسطة جدا وقد يسأن القاري ، عن معنى ذكرها في
هذا الصدد السببه اني ، سم القيت بهذه الفتاة ، كنت اقران في
دهي بين لعه الولد العربي ، الولد العربي وجدت الحادثة مصداقا لطبي
فاني لم اتمالك من الاعجاب بشخصية هذه الفتاة الصغيرة ، وسب
اعجابي واجنابي اليها كان لغتها ، تلك اللغة البالية المرنة الحلوة لم
تتردد ولم تتلعثم ولم تفكر كيف يقول هذا وكيف تعبر عن ذلك لم
تفتش عن مفردات لان المفردات في دماغها الصغير . وقد كان هناك
توافق عجيب بين دماغها الصغير ولسانها الخلو

لا اطر ان اولادنا في هذه السن يطمثون الى انفسهم ، ولا اطر
انهم يشقون بانفسهم عندما يحدثوك حديثا مستمرا مترابطا يدور حول
موضوع عام او خاص . وذلك لاننا لم نعلمهم الكلام ، ولم نعلمهم
الكلام لازدواج اللغة . عدا في المدرسة يتعلمون ، اما خارج المدرسة

فلهم أن « يعلكوا » ما طاب لهم « العَلَمُك »

هل لاحظت لغة عامة الناس وهم يحدثونك في امر ما كيف انهم يرددون ويندرون ويلوكون وبفتشون عن كلمة لا يحضرهم لايها فصيحة لا يعرفونها ؟ اما انا فقد راقبت الناس ويؤسعي ان اقول ان الكثرة الكثيرة في لغتها اقرب الى ان تكون في طور بدائي من ان تكون في طور حضاري راق ، وذلك لارذواح اللغة .

واحيرا يجب ان نؤكد ان للصوت اثر افي شخصتنا - اقصد الصوت اللغوي ، او حسن التلطف هالك قلة قلته في صوتها نقص جسماني لسب ما ، وهذه القلة لا بد لها في اللغظ وحسن الصوت ولكن الكثرة الكثيرة تستطيع ان تنكس جمال اللغظ وحسن الطق وحلاوة النعم في الكلام اكسابا عن طريق التعلم والمراس ، وهذا مما يصفي على لغتنا سحرا وجمالا ويريد في تكامل شخصيتنا .

(د) اثر ازدواج اللغة في الاخلاق

لغة اثر عظيم في الاخلاق وفي الآداب العامة . فان في اللغة محور فلسفة الشعب وروحته ، وفي كل لفظة صورة ذهنية تؤثر ، عن غير وعي ، في التصرف والسلوك وهذه ناحية خطيرة تمنى لو اعارها البسيكولوجيون شيئا من عنايتهم . فان اكثر البحوث التي تدور حول اللغة تركت

في اثر الانسان في الاله ولكنا نسي ان الة تدورها يعود فتؤثر في
 الناس . في اخلاقهم . وفي سلوكهم ، وفي مثلهم ، وفي خيالاتهم . يصنع
 الاساس الاله ، السيرة والطياره والتميم . فتعود الاله تؤثر في حياه
 الناس وفي عاداتهم واخلاقهم

عندما يصب قاطع التذاكر في سيارات النقل في لندن الى الناس
 ان يدفعوا ثمن تذاكرهم بدجول بين صفي المقاعد مردداً :
 « ثمن تذاكرهم بدجول بين صفي المقاعد مردداً : » تعضوا ادفعوا ما
 عليكم ا . وانا متين ان اثر عبارته عميق في سلوك الطرفين :
 قطع التذاكر والركاب . فانه عبارة تفرص على الطرفين ان يتصرفا
 بصوابا يوفق معنى العبارة فلا صراح ولا قال ولا عواء ولا عيش ولا
 حجاج . ولك ان تقارن هذا بفصيح التذاكر في بيروت مثلاً وبمعاراته
 السمجة البالية : « يا الله يانا مدوا ديكس . لا استحقوا . هاتوا تشوف
 قبل ما تنزلو . . . » فلو انه طلب اليهم الذم بقوله « ممنون الحمد »
 لوجدت ان تصرف الناس ، حتى الحشيش ما ، على غير ما تراه من
 حشونه وجفوة تنهى احبائنا قتال وساب يمدى له الجبين حجلاً .
 للكلمة اثر في الاخلاق . لة اثر في التصرف الاسامي . هل ررت
 سويسرا ؟ هل دخلت مطاعمها ، مقاهيها ، فادقها ، سيارات النقل فيها ؟

(١) رظم اسما غير محببة .

اول ما تلحظه هو لطف اللغة ، جمال اللغة ، سحر اللغة ، واثر هذا في تصرف الناس .

لا اعلم كيف يعمل الاحتصاصيون كثرة الجرائم التي تسمى في الشرق العربي « دفاعا عن العرض والشرف » كقتل الاحت والام والروحة اما انا فاقول انها ، الى حد بعيد ، ناجمة عن اثر كلمات لها فعل السحر : نار ، شرف ، عرض مثلوم ، غسل العار بالدم ، نخوة ، وغيرها من الكلمات التي تتضمن صوراً ذهبية ومثلاً اخلاقية او روحية تفرض على الناس سلوكاً معيناً والعريب في الامر احياناً ان هذا الذي يقتل احته او روجه او امه قد يكون سيء الاخلاق ، من رواد المحششة ، ولكنه يفعل ما يفعله متأثراً بسحر هذه الكلمات ، ويشعر بدافع يدفعه ان يتصرف كما نملي عليه عبارات اللغة .

ثم هل سمعت اثنين من قرية لانية - وقد يصدق هذا على غير لنان - يتبادلان التحية عند لقاتهما ؟ فعوضاً عن المصافحة يدا يد ، مع شيء من الضمط الذي يعبر تعبيراً صامتاً عن اخلاص واحاء ، تراهما يتراشقان بسيل من التحيات العارعة نزولاً عما نقرصه عليهما قوالب اللغة وكلماتها التقليدية . فالتقليد اللعوي في القرية اللانية يملي علينا ان نقول : « صححك الله بالخير يا مشايح ، كيف حالكن ، كيف اشعالكن ، كيف عيالكن ، كيف الولاد ، ان شاء الله محير ، ان شاء الله

الجميع مسوطين» وقد نعاد الاسطوانة أكثر من مرة ، وبدون تفكير بالمعنى اما ان هالك اخلاصا بين الناس ، ومحبة بين الناس ، فامر لا اشك في وجوده ، وانما انا متيقن من ان اللغة بقوايلها ، تنعيرها ، بمعرفاتها ، اثرأ في الاخلاق ، وكلما ارتفع مستوى اللغة ارتفع مستوى الناس الخلقي والروحي .

وهل سمعت جماعة يتراشقون بالمسات والشتائم ؟ لكل اممة مساتها وشتائمها ولكي عندما اقابل بين عني معجم المسبات والشتائم عدنا وبين فقر معجم المسات في الامم الراقية لا اتمالك عن الشعور باننا من اساق الامم في اسكار المسات وهذه المسات تعود فتوحي للناس ان يستعملوها ، والامادأ هي جزء من اللغة ؟ وعندي انه لو ابحث هذه المسات من قاموسا لراالت كعامل لعوي يعرض عليها استعمالها عند الغضب .

وما قولك في الاطباء والمالعة والاسراف في اللغة ؟ اما بحر فقد الما هذه الظاهرة فلا نكر في اثرها الروحي فيها واما العريب عا فاول ما يتهمنا به هو الكذب والفاق ؟ اسمعت المديع اللساني يقدم ام كلثوم الى سامعيها عندما حشرت الى بيروت لتفني في عرس ؟ اسمعت المؤمنين علي قبر نكره ؟ هل اصعبت الى الخطب التي تلقى في حملات التكريم لسكرات ولعير نكرات ؟ وقد تقول لي ايضا ان المسألة ليست

مسألة لغوية اذ هي كل لغات الارض اطباة واسراف ومالقة، انما
المسألة مسألة اناس يستعملون اللغة . وقد يكون في قولك شيء من
الصحة ، ولكي اشعر ان الذي يبلي علينا الاطباة ويجعلنا من المسرفين
في القول هو قوالب اللغة . اللغة تحدد لنا السلوك ، واللغة تشق لنا
طريق الفكر .

ان ازدواج اللغة يعرض علينا ، وعن غير وعي ، ان نعتبر الواحدة
لغة ادبية للصالون والمواقف الرسمية ، وان نعتبر الثانية لغة عامية
سمجة ركيكة هي لغة البيت والسوق ، فلا يصيرها ان تكون خشنة
بالمسات ، وبالنصير التي تعرض سلوكا معينا ، لانها عامية . والمأساة ان
اللغة التي نعتبرها اللغة لا نستعملها بل نقيها « على الرف » للمواقف
الرسمية . ولكن الموقف الرسمية في الحياة قليلة جدا . الحياة العادية
الطليعية هي التي يكون فيها للمواقف الرسمية نصيب قليل . فنحن
صائغون بين فصحي وبين عامية . ولو كان لنا لغة واحدة لحرصنا على
تهذيبها وتشذيبها وجعلها اداة صالحة للتعبير عن الجميل ، ولحرصنا على
ان تتقل هذه اللغة من جيلنا الى الجيل اللاحق فيشأ وقد ليست اللغة
روحه ورفعت سلوكه . وبجتمعا ، بوجه عام ، نحن فقط . الحقيقة
تجرح ، ولكن الحقيقة يجب ان تقال

(٥) اننا ازدواج اللغة في الفنون الجميلة

وبهنا منها المسرح لعلاقته الوثيقة باللغة . وتدي مستواه في بعض

الاقطار العربية ، وعدم وجوده في انظار اخرى امر معروف لى سجنه
وكثيراً ما يندى الحين حجلاً عندما يُسأل الواحد منها في بلاد العربة
عن المسرح في بلادنا ! اما ما فكنت احمل ان اقول ان لا مسرح عدنا ،
وان كان هناك مسرح فمستواه اقرب الى مسرح صية يتلون . المسرح
من الصور الجملة الراقية التي تنهى بها الامم المتحضرة .

وليس لي هنا ان احدثك عن اثر المسرح في حياة الشعوب
الروحية ، وليس لي ان احدثك عن المتعة العقلية التي يتركها في حياة
الباس ، وكذلك ليس لي هنا ان اذكر شئ عن رقي المسرح العربي ،
لاي مئيق من ان كثرة قراء هذا الكتاب قد راروا العرب وشاهدوا
المسرح عن كثب او ادر كوا هذا من تقافهم العامة اما يهمني ان
اقرر حقيقة ثابتة وهي ان قسط المسرح عدما راجع بالدرجة الاولى
للعنة العربية الفصحى . فانها العقبة الكؤود .

والامر واضح لا يحتاج الى دليل ، ولن برهقك بالبرهان . فان
الرواية على اختلاف انواعها : البرية ، التاريخية ، الفلسفية ، الرمزية ،
الرومطيقية او الفاجعة ، يجب ان تمثل مشهداً من مشاهد الحياة ، او
ان تصور صورة من صورها فانك اذا دخلت مسرحاً في لندن او
باريس او برلين او ميلان فانك تشمر في الساعة التي نقضيها هناك انك
تعيش الرواية فقد يكون الطفل او الصبية او المحبوب او المحضوب

عليه انت او جارك او احد معارفك لغة اشخاص الرواية لغة حية
تنص بالحياة ، بالعاطفة ، بالشعور اذا صحكوا فان صحكهم طبيعي ،
واذا بكوا فان بكاءهم حقيقي ، واذا احوا احوا حقاً واذا عضوا او ثاروا
عضوا وثاروا فعلاً . فليس هذا من لعتا على المسرح ، واين هذا التمثيل
الواقعي الاساسي من وعظاً وخطباً ونكفها وتقصعنا على المسرح ؟

لن اسى رواية عربية حصرتها في قاعة وست في الجامعة الاميركية -
وكان ربيعاً للفقراء - وكان من حملة اشخاص الرواية ولد في السادسة
او السابعة يدخل الى عرفة ابيه ليقول له انه سعيد (لسب ما لست
اذكره) دخل الولد ووقف وقفه واعطى او حطبت وقال صوت متكلف :
« عم صاحبنا انتاه ابي سعيد اليوم . » بالاعراب انتم ! وهذا كل
ما بقي في ذاكري من الرواية سيما استطيع ان احدثك عن روايات
شهدتها في المانيا منذ ربع قرن من الزمن ولا ارال احتفظ بوقائعها
وبمعناها وبصور تمثيلها !

قد تعترض قائلاً ان الدب ليس دب العربية بل مرد هذا الى
المؤلف والممثل والمخرج . فان المؤلف عندما لم يولد بعد ، والممثل لم
يلق ألف باء التمثيل بعد ، والمخرج لا ذوق عنده ولا فن وقد يكون
فيما تقوله شيء من الصحة . ولكني اكرر القول ان سبب انعدام
المسرح عندما وعلت هذا العيب الفاضل في التمثيل مردهما الى هذا

التأقضى الطاهر بين رسالة المسرح وبين النعة العريضة الفصحى .
المسرح للحياة ، للناس ، لحوادث الناس ، لحياة الناس بنعة الناس . وأما
الفصحى فلعنة أحيال مضى عهدها ، ولا يمكن التعبير عن الحياة
بلغة الأجيال العابرة .

الجزء الثالث

حل المشكلة وما يترتب على الحل من مشاكل



حل المشكلة اللغوية

تكلمنا في المصطلح السابقة عن اللغة بوجه عام ، واسهنا قليلا في وصف علم اللغة الحديث (Linguistics) لعرف القراء العرب الى عم لا عهد لنا به ، وأما اثر هذا العلم في تعبير وجهة نظرا الى اللغة ثم انتقالنا الى الكلام عن شوء اللغات ، وأتينا الى القول بان العالمية ليست احتطاطا لغويا بل تمثل تطورا وسوا نعا لتطور الحياة الاجتماعية والعسكرية . واكدنا انها لغة قائمة بذاتها حية نامية ثم نكلما شيء من الاسهاب في اثر ازدواج اللغة في الفكر والتربية والاحلاق والشخصية وتقدم الفنون .

وقد المعنا سابقا الى ان الناس حيال المشكلة فئات . منهم لا يعرف ان هناك مشكلة ، ومنهم من يشعر بالاكتماء لا بل يتعدي الاكتماء الى اعتبار لغته تامة . ومنهم من يرى ان هناك مشكلة ولكن حلهم المشكلة حل مبهم غامض :

« يسترّوا الفصحى وبسطوها !! »

« ارتفعوا بالعامية نحو الفصحى فيلتقيان ! »

وإذا سألتهم . كيف ؟ فأنهم لا يعطونك جواباً لأنهم لم يدرسوا
 المشكلة . والخطأ الذي يقع فيه أصحاب هذه المدرسة ومنهم طه حسين
 حسابهم اللغة بمفرداتها وبأساليبها . فالتبرع عندهم تحاشي الغريب
 والانتعاد عن التفرع في الأساليب . وقد قلنا . وسنقول دوماً للناس أن
 اللغة تركيب وتركيب العربية لم يتغير منذ ١٥٠٠ سنة لم يطرأ أي
 تعديل عليه . ولم يمس جوهر اللغة شيء . فالتحلي عن لغة المقامة
 وتحاشي الفاظ الشعر لا يحل المشكلة

حل أية مشكلة يتوقف أولاً على تفهم المشكلة . وثانياً على المرم
 والارادة الموضوعية العلمية . وكل مشكلة مهما استعصت قائمة للحل .
 وعندما ان للمشكلة حلاً من أربعة حلول .

(١) جعل العصري لغة التخاطب

(ب) ترك الحال على ما هي عليه

(ج) فرض لهجة قائمة

(د) وضع لهجة موحدة

ويحسن بنا أن بأحد كلا منها شيء من الإيجاز . غير أننا لن
 نبحث الحل الثاني (ب) . « ترك الحال على ما هي عليه » أولاً لأن ليس
 هذا حلنا للمشكلة . وثانياً لأننا لا نؤمن بهذه الفلسفة السلبية . والكتاب
 برمته حرب عوان على هذه الفلسفة : خلّ الأمور تجري مجراها .

(١) جعل الفصحى لغة التخاطب

في العالم العربي جماعة محلصة، قليلة العدد، نكاد لا نشعر بوجودها العموي توه من ان ارجاع الفصحى الى عهدها القديم يحل المشكلة اللغوية فتراهم يلجأون الى الكلام بلغة فصيحة معربة (كان احسنهم المرحوم اطول سعادة مؤسس الحرب القومي السوري) ويعلمون ان اطفالهم حتى اذا شب الاولاد وحنوا امسهم فصحاء بلون العوص في كتب النحو والاسان ، اد نكون اسمع الفصحى ملكة فيهم

قلنا اهم محاصون في حنهم ، ولكن القصص في الخلل باحم عن عدم تفهم جوهر المشكلة . قيمة الاعراب في الفهم والافهام وقد ذكرنا لك سابقا ان وجهة نظر هذه المدرسة اللغوية تنحصر بان الفصحى كانت يوما لغة التحااص (قل ظهور الدعوة وبعدها) ، ولكن عندما حرحت الفصحى من موطنها الاصلي واحتكت بلغة الاعاصم فسدت ملكة اللغة وطهرت اللهجات العامية . ادن ، وهذا مصطقي ، فان هذه اللهجات هي لغات فاسدة ، ركيكة ، وهي احتفاظ لعوي . وطبيعي ان تكون الخطوة التالية ، بعد حل المشكلة ، ارجاع القديم الى قديمه . اذ كيف يعقل ان نحول لغة فاسدة رديئة محل لغة جيدة فصيحة ؟ وانت ترى ان مطلقهم سليم ، ولا سيما وانهم يعتقدون ان ارجاع الفصحى لغة التخاطب يحل المشكلة .

ولكننا نحالف هذا الرأي في ثلاثة أمور جوهرية

أولاً كون المصحى لغة التخاطب قبل ظهور الدعوة وبعدها أمر
يحتاج الى اثبات^١ أما أنها كانت لغة الخاصة، لغة الدين والشعر
والادب فامر لا يسكره مكابر أما نحن فلا نعتقد ان المصحى المعربة
كانت لغة التخاطب قبل ظهور الاسلام او بعد ظهوره^٢ يدل ذلك على
ذلك اشارة صرفي العرب ونحويهم الى شيوع لهجات مختلفة في الجزيرة
العربية حيث طلعت العربية معرفة بعدة عن اثر اصنام الاحسية وقد
اطلقوا عليها اسماء وحددوا مناطقها وهذا ساي رعم من يرعم ان لغة
الناس كانت المصبيحة المعربة ثم اعمر قصبة تمشي اللحن الذي كثرت
الاشارة اليه رمس السبي والراشدبين والامويين ومتى كانت اللغات تصعد
في فترة قصيرة كهدء وراء شوء اللهجات اجبال واجبال يروى عن عبد
الملك بن مروان انه قال « شبي ارتقاء المناير وتوقع اللحن » وكان
الحجاج وهو على فصاحته، سأل يحيى بن يعمر النحوي . اترابي اللحن ؟
وقد اشترنا سابقا الى رواية عن ابي بكر انه كان يقول « لان اقرأ
واسقط احب الي من ان اقرأ فالحن ».

(١) بحسب من يريد الاطلاع على هذه الناحية التاريخية في حياة العربية ان يراجع
كتاب مولر : Voile

Volksprache und Schriftsprache in alten Arabien. Strasbourg. 1906

(٢) ولكن هذا لا يمنع وجود لغة اوسطا طبعها واحتياجها ، نستطيع ان
تتخاطب بها - وهذا غير القول « انها كانت لغة الحياة ».

ومن هذا القبيل قصص وضع النحو نلابيا للنحو فان كانت الفصحى لغة الناس وان كانت لغة متمكنة فيهم ، فلماذا قصدها في فترة قصيرة ؟ ثم اعتبر قواعد النحو نفسها وتوسعها وحروجهما عن دائرة المعقول ، الامر الذي شير الى ان هذه اللغة لا يمكن ان تكون لغة الناس اليومية وقد المعاساة الى ان احكام العربية الفصحى وصغت على اساس الشعر الجاهلي والثرقي ، والشعر والثرقي لا يمثلان لغة الحياة .

ثانيا . يخالف الجمهور في اعتبارهم العامة لغة رديئة فاسدة ، او انها انحطاط لعوى بل الامر عسدا على بعض هذا انها (العامة) لغة حجة ناعية متطورة ، وتصلح ان تكون اداة طبعة للتعبير عن الفكر والشعور والعلم والنس . ولا أحد بالرغم القائل ان الاعتراف العامة اعتراف لغة فاسدة ، او احلال لغة فاسدة محل لغة فصيحة جيدة . وقد عقدنا فصلا سابقا انا فيه هذه الباحية فلا ضرورة للاعادة .

ثالثا . يخالف القوم في حلهم المشكلة على هذا الشكل - ارجاع الفصحى لغة التحاطب - لان طبعة اللغة المعرنة تعرض تجزأها الى لهجات ، لان الاعراب ليس له قبة نقائية ، بل هو وحرف لعوى .

لنقتصر ان الله سبحانه وتعالى اراد ان يظهر للناس اعجوبة فافاق العرب عدا وقد سوا لهجتهم العامة وحل محلها الفصحى ، وبدأوا

حياتهم اللغوية من جديد: التحاطب الفصحى ونحن نؤكد ان
 التاريخ، في هذه القصص الخاصة، سيعيد نفسه حتما بعد جيل أو جيلين
 نحن هذه اللغة المعرنة الى لهجة عامة غير معرنة والتاريخ يشهد على
 صحة ما سعي. ألم يتكلم لباس الفصحى على رعم بعضهم؟ ألم يقل
 الواحد منهم لامرأته « يا امرأة ادهي الى السوق واشترى لنا رطلا
 سمرا مائى عشر فوسا » ولكن لماذا يحل لباس عن لغة كهذه؟ اكادوا
 مشاعين اد شعريت ام خارجين ام اصحاب بعض دليله لا شعر
 بالغة القومية، كلا، لم يكونوا على شيء من هذا. ولم يتركوا يومنا
 ادهم انهم فوا عن فصحى، لان ذلك سم عن غيرهم، عي أو قصد (هذا
 ا. سلمنا انهم كانوا كلور الفصحى) شأت اللهجة المحكية كمنتجة
 بحمد لنواميس اللغة، وعليه لا يمكن ان يأخذ بهذا الحل

(ج) فرض لهجة قائمة

وعلى ضوء تاريخ علم اللغة هذا امر ممكن تحمسه فانما عندما
 نكلمنا عن شوء اللهجة وعن « السلطة العليا » التي ترفع لهجة ما الى
 مرتبة اللغة الادبية عررنا القول شواهد عدة. فان اللغة الروسية
 الادبية والالمانية والافرسية والانكليزية والأسبانية والعربية الفصحى

(اللهجة التي نطم بها الشعر القديم وبها برل القرآن الكريم) جميع هذه اللهجات اصححت لغات ادبية معترف بها بفضل سلطة فرضها ، سواء اكانت السلطة عسكرية ام دينية ام طبقية . فهل في الجو العربي ما يشتر بتوفر شرط او شروط كهذه ؟ هل يرى في المستقبل القريب بلدا عربيا يفرص ذاته سياسيا وعسكريا وادبيا على جميع الاقطار العربية فيوحدها ، وفرص عليها لهجة الخاصة ؟ هل يرى في المجتمع العربي طبقة ادبية ارستقراطية ذات لهجة خاصة بها تحاول ان تفرضها به . ١
تنتجه من ادب وشعر وقن ؟

اما نحن فلا نرى في الافق العربي ما يشهد بوقوع امر كهذا نحن من المعجبين باللهجة المصرية وكما نسمى ، لو كان العرب شعبا حصوعا للظلم ، مدعيا للامور . ان نعرض عليها لهجة كهذه توحد لسانا ولكن ايرضى اللسان عن لهجته ؟ هل نعرف بعدد باصلية لهجة القاهرة ؟ وهل يقل الدمشقي ان يتحلى عن « شلونك سيدي ؟ » ويحل محلها « اريك يا احي ؟ »

(د) وضع لهجة موحدة

وقل بحث هذا الحل يرى ان يوضح معنى قولنا « وضع لغة او

١ لاحظنا احدا ان نفي الساني للحدس به في ما يكون عداؤه حبس لهجة مصرية واحدا ، انه به ، ولست ادري ان كان هذا من قبل تنقيح او من قبل الاعتراف بالفضيلة الهبة المصرية والندوية .

لهجة « او » لغة موصوعة . « اذ قد يكون التعبير جديدا في العربية . اب
هذا المصطلح يعني حق لغة حديثة وفرصها على المجتمع لتحل محل
لغة اخرى . ويقال له في الانكليزية Constructed language اي لغة مبنية
ويقصدون بذلك انها ليست نتيجة تطور طبيعي للغة ، بل لغة مصطنعة
موصوعة كلغة الاسبرنتو . وسنة لاهمية الموضوع وسنة لما له من علاقة
وثيقة بموضوعنا فسطلب الى القارئ ان يعدرنا اذا احرفنا عن
الموضوع قليلا وتكلما في الفصل التالي عن هذا الموضوع

هل يمكن وضع لغة ؟

ان الناس اراء هذه القضية مقسمون الى فئتين . فئة تقول باستحالة فرض لغة موضوعة مصطنعة . لان في اللغة الاصلية روح الامة مد ان تكونت الامة . وفئة ترى ان الامر ميسور ، وقد طلع الاسان في تقدمه الحصري مستوى يعرض عليه التعاون الفكري والتفاهم المشترك اذن يجب ان يكون هناك لغة عالمية موضوعة

واباس مقسمون ايضا الى فئتين اراء وطبيعة هذه اللغة . فئة تقول ان اللغة الموضوعة هي للتفاهم الدولي ويجب الانتعاص مع اللغة القومية . وليس لها ان يحل محلها . ونرى الفئة الثانية المتحمسة ان تحل اللغة الموضوعة المصطنعة محل اللغة القومية ، لان العاية النهائية هي خلق عالم موحد اللسان ، وبالتالي موحد الشعور والاماني .

يذكر القارىء ان في سفر التكوين اسطورة جميلة عن سبب تكاثر اللغات . فان الاسان حسب رعم الاسطورة كان يتكلم لغة واحدة . ثم انه مر في حاطر بعضهم ان يبي رجا غالبا يصل الى السماء فخافت

الآلهة من ان يصل الانسان الى السماء « فقلت » السة السانين ،
وانعمن النعامن سسهم ، فكمواعن الساء . وقد سمي الموصع « نابل »
لان الله لبل الالسة فه وهى اسطورة جمبلة وحرافسة شعربة ، او
محاولة فبلولوحبة برئنه لتصبر كلمة نابل اللى لم بفهم واصع الاسطورة
معناها (مركة من ناب - ابلو اى بوانة الالهة) وقد جهد الانسان منذ
العصور المتوسطة للتقصاء على همة اللبلة اللى فرضتها الالهة ولا-لال لعة
واحدة ، فكانت فكرة اللغة العالمة الموحدة

ان محاولة وصع لعة عالمة ، او مصطعة . نحل محل اللبلة اللعوبة
تقوم على اءد المبادئ التالية :

(١) ان لا تكون اللغة العالمة الموصوعة مسبه على لعة اولعات
معروفة ، بل فجب ان تكون مركه من كلمات ءءسة موصوعة ومن
صرف ونحو واسلوب فى التركب ءءءد ومطقفى وعلى عابفة من الساطة
وفجب ان تكون كئاشها فوشىكة ، اى ان نطابق التهبسة اللفظ ،
وحروفها هندسية جمبلة منابفة لازالة المشابهة .

(٢) ان تكون اللغة العالمة مبة على لعات كلاسبكية معروفة
كاللاتبنة والاعربقة والسكربنبنة وقد اقترح من هذا النوع من اللعات
اكثر من ٣٠ لعة ، من جملةا الاسبرسو (الامل ') لواءعها الءكئور

زيموف البولندي، ولغة نوفال Novol لوضعها اوتو يبرسن
اللغوي المشهور .

(٣) ان تكون اللغة العالمية مزيجاً من لغات مختلفة معروفة ،
ومصطلحات علمية مشتركة ، ومن رموز وارقام لها قيمتها اللغوية . وقد
اقترح أكثر من ١٢ لغة من هذا النوع أشهرها Volapuk لوضعها شلاير
(Schlayer) . واسم اللغة مركب من لفظين انكلوسكسويتين قديمتين
Vol ومعناها العالم ، ومن pux ويقالها Speak في الانكليزية

(٤) ان تكون اللاتينية الميسرة المسطحة ، او الانكليزية ، بعد
ادخال تعديل جوهري على قوانين التهجئة . اللغة العالمية ، اي الاعتراف
بعدة عية واسعة الانتشار وجعلها لغة المستقل .

ولا يصعب على القارىء ان يدرك سبب تحمس دعاة اللغة العالمية .
انهم ايميو يحلمون برمز لحل فيه الائمة الرحمة Internationalism محل
القومية الضيقة لقد جرب الانسان القومية وقاسى من نتائجها ما
قاسى ، فليجرب الآن فلسفة جديدة في الحياة الاحوة العالمية . ومن
شروط قيام الاحوة توحيد الدوق والشعور والاهداف ، واللغة تستطيع
ان تحلق الحو الذي تستطيع هذه الاحوة ان تعيش فيه . ولكن خصوم
اللغة العالمية يشكون في نجاح المشروع ، لان اللغة الموصوعة تقتصر الى
بعض العناصر الانسانية التي تضي على اللغة مسحة من جمال وسحر ،

والتي لا يمكن وضعها بل انما تنشأ بشيء بلغائيا على عمر الاحمال. فانهم
يقولون لنا ان الله لا يرضى الصنفين او الفلاسفة ، ولا تولد اللغة
في مخبر . لا توسع وصفا حول مائة مستديرة او في مكتب لعوي
بحق اللغة الناس شعروا بهم . كتابهم وفلاسفتهم وعماؤهم وقناوهم
وصاغوهم وفلاحوهم احياء بل اللغة . والنبوة القوية تعمل على
نبوها واسرارها فلو به قص الاسكر ان يعمر لتحقيق احلامه
الاستعمارية لكاتب . بما الله الرواية اليوم هي اللغة العالمية
وحاول الرومان فرض لغتهم على شعوب امبراطوريتهم المترامية
الاعراف . وكانوا على وشك جعلها لغة عالمية . وحيث يمتد سلطان
الاممك انهم ينشرون لغتهم . ومع صانعهم واساطيلهم تخرج اللغة الى
جميع انحاء العالم

ان اللغة الموصغة اصطفاة ميكاسكة حالية من العصر الاساسي .
من السحر الكامن في اللغة والسيرة فان في اللهجة المصرية ، مثلاً ،
حملاً وسحر استهوي . الى لو اسع الله وصفا في مكتب او مخبر
ان يخلق هذا الخمار وهذا السحر ويصفيهما على اللغة ؟

ويقولون بـ ، وقولهم صحيح ان الناس لم ولن يقلوا على لغته
موصوغة . فانها قد حرموا منهم ، وعطس صلتهم بالتاريخ ، وتسلمهم
اساصيرهم واعانيهم وبكاتهم وامثالهم التي لا يمكن التعبير عنها بلغة

موصوعة . ويعتدون أكثر من هذا فيقولون لما ان مجرد الترجمة من لغة الى لغة يفقد اسعة كثير من الامور الدقيقة التي هي اقرب الى الروح منها الى شيء مادي ، فكيف سا ادا وضعنا لغة مصطنعة ؟

اما نحن فان مشكلتنا تختلف تمام الاختلاف عن المشاكر التي تحلقها اللغة المصطنعة واحدة او العالمية ، وان نحن طلبنا وضع لغة عربية محكية موحدة ، فان هذا لا يعني ان نقابل أعضاء على لغة واحلال لغة اخرى محلها كلاً ، هذا لا يحظر سا نل اعدا لغة عربية صرفة مشتركة بين الشعوب العربية خلقها عام من قديمة واحتماجية وسياسية في الثلاثين سنة الاخيرة . هي اللغة العربية المحكية التي يتكلم بها المصري المتكلم والعراقي والسوري والسام والعماني عندما يضمنهم مجتمع وهي العربية المحكية التي سمعها في ارض ادمعاب العربية في مصر ودمشق وبغداد هي لغة لذي والصاوي . وهي لغة المجتمع العربي الرامي الى حثتها المدرسة والصحافة والاداعة والسياحة والاصصياو والسحارة والتداب سياسي والتعاون الاجتماعي

ان هذه اللهجة العربية المشتركة بين ام اذ المجتمع الراقي لست معرفة بل هي لهجة عامة بعده عن الاقليمية ، وتعتمد على الفصحى في جميع مفرداتها وفي تركيبها وفي عباراتها ونحن نريد ان نؤكد هذه النقطة لانك تسمع كثيرين من دعاة جعل الفصحى لغة التخاطب

يقولون : « أصح إلى الطقة المثقة فانهم لا يتكلمون العامية بل لغة
قريبة من الفصحى ، ولو شددنا قليلا في الدعاوة للفصحى لرأينا الناس
جميعا يتكلمونها بعد جيل من الزمن ! » وهذا ليس بصحيح ، ان هذه
اللهجة العربية المشتركة ليست عربية صحيحة عربية ونحن قد درسناها
عن كتب وراقبنا متكلميها ، وفي احيان كثيرة اشتركنا في هذه الحلقات
قصد دراسة هذه اللهجة لاننا نرى فيها الحل المرصى لمشكلتنا اللغوية

وحلاصة القول نعتقد مخلصين ان الحل المرصى للمشكلة اللغوية
هو الحل الرابع (د) الاعتراف باللهجة موحدة هي لغة المتأدين في جميع
الاقطار العربية . وقد اننا لك في هذا الفصل اننا نعى عن وضع لغة لان
لدينا لغة موحدة هي هذه اللغة التي يسرتها الحياة وسطها الاستعمال .
هي اللغة التي بولد بها ، وبها نمر عن الحياة .

خصائص اللهجة العربية المحكية المشتركة

لهذه اللهجة العربية الجديدة المشتركة بين الطبقات العربية المتعلمة، والتي حلقتها ظروف الحياة العربية الحديثة، خصائص تجعلها معايير للفصحى، وفي الوقت ذاته يجعلها لغة مرموقة طيبة تصح أن تكون اللغة العربية الأدبية. وأهم خصائص هذه اللغة العربية.

(أ) إسقاط الأعراب

(ب) نورمها المشترك

(ج) اعتمادها الفصحى معالها

(أ) سقوط الأعراب

ليست هذه اللهجة معربة فإني لم أسمع مثقفا عربيا واحدا يقول - على سبيل المثال - : «أحدث الكتاب من الولد صمأحا» بل إني متيقن أن المثقف البغدادي والمصري والحلي والبيروتي والعراقي يقول : «أحدث الكتاب من الولد الصمّح أو عكرة» أو بشكل يقرب من هذا. ويهمني أن أؤكد هذه الباحية لأقول لمن يزعم أن مثقفي

العرب يتكلمون لغة عربية فصحة - أدن يسهل عليا ارجاع الفصحى
 لغة الكلام - انه حاطي في رعمه لا اثر للاعراب فيها . وهذه الظاهرة
 اللغوية ، في نظري ، من دلائل حيوية هذه اللهجة ومقدرتها على مسايرة
 الحياة ، وكرر القول ، ربما للمرة الثالثة أو الرابعة ، ان الاعراب ليس
 له قيمة مقائية ، ولو انه كان ضروريا للفهم والتعاطف لانقت الحياة عليه .
 ولكن لانه رحرر ، ولانه نقيه من نقايا العقيدة القديمة في اللغة ، في كل لغة ،
 فان الحياة نددته . ولا نسلي ان انتت للشهدا بالرهان ، فان تاريخ العربية
 دانتها يشت صحة هذه الدعوى ، على الأقل بالنسبة الى رعم من يقول
 ان العربية المعرمة كانت لغة الكلام . ولا ننس ان الوقف - وعد الوقف
 نسقط علامة الاعراب - أصل والاعراب فرع

ان الاعراب عفة في سبيل التذكير ذلك عمالا شك فيه . وسقوطه
 من اللهجة المحكية خطوة هامة نحو تيسير الكلام حتى يصحح الكلام
 طريقا ثمها للسكر . فاني لم الخط مصريا او عراقيا او سوريا تررد او
 تلغثم او توقف عن التكلم صبهة ليرى اذا كانت هذه الكلمة بضممة في
 آخرها أو فتحة أو كسرة ، او اذا كانت حركة الساء واحدة أو مشاة ، او
 اذا كانت (على سبيل المثال) مساجد' او مساحد' ، مساجد' او مساحدا' او
 مساجد . جميع هذه الاعتبارات سقطت من لغة الكلام لانها ليست ضرورية

(١) كما كان استادنا سابر Sapir رحمه الله يسمي لغة في محاضراته عليا :
 Thought - grooves أي احاديث تجري السكر .

للفهم والاهتمام . الكلمة هي « مساجد » ويفهمها كل عربي سواء أكانت
معركة أم غير معركة ، موقعة أم غير موقعة .

(ب) بورمها المشترك

وأملنا أن يكون هذا المصطلح مألوفاً الآن ، ولكنا على سبيل
التذكير نقول أن البورم في اللغة هو المشترك ، أو المودح العام ، أو
المألوف ، أو العادي المتفق عليه والمقبول . للجهة العربية المشتركة التي
نحن نصددها بورم فإنها فضلاً عن كونها غير معركة (وسقوط الأعراب
هو بورم) تتفق فيما بينها في كثير من نواحي الصرف والنحو

اعتبر مثلاً عدد الصائرات في هذه الجهة فانه واحد ثمانية لا أربعة
عشر ، كما هو في الفصحى . وهي - « هو هي هم ، أنت انت اتو ، أنا
نحن » ولا اغني أنهم يتفقون في لفظها فقد نقول الواحد ما « هو »
والآخر « هو ي » وأحر « هو ا » ولكن هذا امر ثانوي ليس هو الخلل
إذا صطنأ أحكام هذه اللغة . فإنا نستطيع أن نعلم الخليل القادم أن
هذا الضمير هو « هو » . الامر الهام أن العرب قد أسقطوا ٦ ضمائر
من لغة الكتابة . وهذا اقتصاد حظير المعاليه سابقاً عند كلامنا عن
حسرات العامة . فان تصرف الفعل ماضياً ومضارعاً وامراً أصبح أقل
عددًا وأسهل إعرافاً فعوضاً عن أن نقول . رأيت الرجال يدحون
ورأيت النساء يدحن نقول : « يدحوا »

ثم اعتر ، على سبيل المثال ، قضية احكام العدد والمعدود فاهب
واحدة في هذه اللهجة المحكية المشتركة فاني قد سمعت المصري
والعراقي والسوري يقول : « ثلاث رجال وثلاث سوان » وحمش عشر
ولد وحمش عشر ست . نعم يحتفون في اللفظ احيانا ، فيقول المصري ،
tumu miyo ويقول اللبناني toun miy . وهذا امر ثانوي مبسور الحل
عند كتابه هذه اللهجة وعد صط احكام اللفظ . اما الشيء الهام جدا
هو ان المصري والعراقي والسوري واللبناني ، عن غير قصد ، وسون
سابق معرفة او تصميم ، يتفقون في احكام العدد ، وهي احكام سهلة
هيمنة بسيطة لا تعقيد فيها ، لا احاجي ، ذلك لان الحياة سطوت وبسرت
ثم اعتر قضية التركيب الحوي واساليب التعبير ، فابها واحدة ،
ولا اغتار للفروق في المصطلحات والتعابير ، اما الشيء الهام ، والهام
جدا ، هو ان التركيب واحد ، وكرر القول ، وربما للمرة الثانية او
الثالثة ، ان اللغة تتركبها جوهر اللغة التركيب ، اما المفردات فتولد
وتهرم وتموت ويقتس غير ها الى ما هالك من تعبيرات . اما التركيب
فثبات ومستمر وتركيب اللغة العربية المحكية واحد .

(ج) اعتداهما القصص معنا

ما لا شك فيه ان لغة العربي الذي لم يقبض له شيء من التعلم لغة
سقيمة محدودة في مفرداتها ركيكة في اساليبها قد تعبر عن الحياة العربية
الضيقة ولكنها تعجز عن ان تعبر عن الحياة الحصرية المعقدة او عن

الفكر والسياسة والاجتماع كما نستطعه اللهجة العربية المشتركة التي يتكلم بها المتفهمون . والسب في فحط العامية عند عامة العرب راجع لاردها الى اللغة عندما صار العامية ، لكونها عامية ، انكسرت على ذاتها في اصار صيق ولم تفتح للحياة ولم تنم سموها . ولم يأنه الجيل القديم ان يعلم الجيل الجديد من الكلام ، والكلام من ، بل يشعر جل الناس ان من الكلام من اختصاص المدرسة حيث تعلم الفصحى ، وادا كانت العامية سقيمة في تعبيرها صيغة في مفرداتها فلا صير في ذلك لانها عامية .

ولكننا نلاحظ ان اللهجة العربية المشتركة بين الطبقات المثقفة تعتمد الفصحى بسوعا لامانها في المفردات والتعابير والاساليب . والعربية الفصحى عية بمفرداتها وتعابيرها ، وبح ان تكون معينا يستقى منه كما تستقي اللغات الاوروبية من اللاتينية والاعريقية .

وقد استطاعت العربية ان تجاري الحياة الجديدة الى حد معين فقط ، وهذه المجازاة فرصت عليها التوليد والقياس والترجمة والاقتباس ، وجميع هذه ظاهرة في لغة المتعلمين .

وحلاصة القول ان هذه اللهجة العربية المحكية التي نقترحها لغة ادية هي العربية الفصحى الميسرة المسطحة كما يسرتها الحياة ، وكما بسطتها الحياة . بقي علينا ان نكلم عن شروط نجاحها وشيوعها واعتبارها لغة رسمية عن طريق الاعتراف بها .

كيف تصبح

هذه اللهجة المشتركة لغة رسمية

لكي يصبح مشروع لهجة عربية محكية مشقة يجب ان تتوفر الشروط الاساسية التالية .

(أ) ان يكون لها ادب

(ب) ان تكتب بالحرف اللاتيني

(ج) ان تضبط احكامها الصرفية والحوية والصوتية

(د) ان يقبل بها العرب

وهي شروط يجب ان تتوفر في كل لهجة قل ان نصبح لعقسية معترف بها . ويحسن بنا ان نقول كلمة في كل منها .

(أ) ان يكون لها ادب

لا توضع اللغة وصفا ، ولا تحلقها الصرفي ولا الحوي ، ولا يعرضها مجمع لعوي او حكومة . يخلق اللغة الادباء والشعراء والصابون والصحافيون والسياسيون والاجتماعيون والمعلمون وعلماء الطبيعة ، والفلاحون والصائغون وغيرهم من الناس .

ولا نعى بالادب في هذا المقام الشعر والنثر الفني في القصة
والوصف بل انما يستعمل اللفظ بمعنى اعم واشمل فاما شمل، الى
جانب الادب بمفهومه العام، كل ما يكتب في السياسة والقانون
والاجتماع والعلم والفلسفة، وادنا اقسام اهل الفكر على تدوين الفكر
والادب بهذه اللهجة فان تناههم الادبي يفرض الاعتراف بها، ويصح
هذا التناح السلطنة العليا في اللغة، اما اذا لم يسهم الادباء والعلماء
والعامة في خلقها - اي اهم اذا لم يعترفوا بها لغة تصلح للتعبير عما
عندهم من فن او علم - فان هذه اللهجة تفقد لهجتها، ولكي تصح اللهجة لغة
رسمية تحتاج الى من يعرضها، ولن يعرضها سوى الادب

ولكن مما يؤسف له ان العرب لم يحفظوا في تاريخهم المديد بالادب
الشعبي، بل كان الادب عندهم ابدأً راسخاً طويلاً بعيش في بيئة صيقة
الملاط او القصر او الحلقة الادبية في بيت سري او امير اما اعاني
الشعب وشعره واقاصيصه وامثاله وخرافاته واحلامه فجميع هذه من
العامة وللعامة، اذن لا تليق بجلال التدوين ولكننا نعتقد ان صيرورة
اللغة العامة لغة ادبية تنزل الاديب الى مستوى عامة الناس فيصور لنا
الناس كما يجب ان يصور الناس هذا هو الادب الحي.

(ب) ان تكتب بالحرف اللاتيني

تدوين اللغة بمرور كتابية امر ضروري، ولن يطيل الكلام في هذا

لأن الأمر واضح حسا أن قول أن الكتابة عجلت في تقدمه الإنسان الحضارى وسهلت انتقال الفكر والعلم والفرح والاحتفال من جيل إلى جيل . وقد قلنا في غير هذا المكان أن الكتابة عرض وهي طارئة في اللغة ولا فرق في تدوين اللغة بحروف لاسي أو همداني أو صيني أو عربي الكتابة ليست من اللغة شيء ، كما أن الرموز الموسيقية ليست من الموسيقى شيء ، أو كما أن الرموز الرياضية ليست من حقائق الكون شيء .

وحرفوا العربي لا يصلح لتدوين هذه اللوحة ، كما أنه لا يصلح لكتابة الفصحى به . وذلك لأن الحروف العربي الحالي من الحروف المصونة لا يمكن أن يصط به لفظ الكلمة صطفا دقيقا ، بل بطن الكلمة هيكلها عظمها لا حياة له إلى أن يسع عليها القارئ الحياة . وحياة الكلمة العربية في دماغ العربي لا في الصفحة التي أمامه . وفصلا عن هذا فإن الكلمة العربية المكونة بحروف صامتة عرضة لقراءات مختلفة

نحن من الذين يعتقدون أن كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، كما اقترحه عبد العزيز فهمي ناشأ ، يصط لفظ اللغة مرة واحدة لجميع الناس ، ويحذف عايب مشاكل كثيرة مالية وتربوية . ونؤكد أن نصف

قواعد الصرف والجو تهمل مرة واحدة لأن أكثر هذه القواعد وصفت
 لمساعدة الولد على القراءة الصحيحة ، ولكن عندما يكون القراءة
 الصحيحة امامه فان هذه القواعد تسقط من بقاء ذاتها اما اذا كنا
 العربية المحكية المشتركة بحرف عربي فانها ستظل عرصة لقراءات
 عديدة ولآراء مختلفة حد مثلا لفظ « كتاب » فان الرحلاوي يقول
 « ab » والدرري « ab » واس الكورة « b » وآخرون يلفظونها شككـ بل
 آخر ولكن اذا صطهاها بالحرف اللابي هكذا « ab » فاما يكون قد
 صطهاها مرة واحدة لجميع الناس وفرصا عليهم هذا اللفظ لا غيره

ثم هناك مشكله خطيرة نحليا لما الكناية اللانيسة ، وشير الى قضية
 الحركات. فان في العربية الفصحى ٣ حركات قصيرة وهي . وطويلة
 اذا عقبها الف او واو او ياء ولكن ليس لديها حركة للاشمام والامالة
 والحركة المحتلثة اول « هـ هـ هـ » وغيرها من الحركات ابي
 هي من صلب اللغة .

واعتبر ايضا قضية الاقتباس من اللغات الاحية. فان هناك كلمات
 واسماء عديدة مقتسة عن اللغات الاجسية ومكتوبة بحرف عربي ، وما
 لا شك فيه ان هذه الكلمات تقرأ على اشكال مختلفة . حد مثلا هذه
 الكلمات التي اقتساها عن العرب

فاننا نكتبها هكذا : كربون اوتوماتيك راديو تلفزيون ، ولكن
 كيف نلغظها ؟ متعول انا اعرف كيف يجب ان تلغظ لاسي اعرفها
 في اللغات العربية ولكن ما قولك فيمن لا يعرف لغظها . فان لغظة
 كربون يمكن ان يتلغظ بها على اشكال مختلفة Curbawn, Carabawon
 الح اما اذا كتبت هذه المقتضات cabour caboon caraboon
 بالحرف اللاتيني فاسا مشترك مع اسم الارض في لغظها كما يجب ان
 'نلغظ' ولا يموتك ان هذه الالفاظ اصحت من صلب العربية شئاً
 ام ايا اذن ألس من الضروري ان تعلم لغظها وكتابتها ؟

اذكر صديقاً لي في العراق كان ، عند قراءته الحريدة ، يلغظ اسم
 « تشرشل » اي انه كان يعطيه ورماً عربياً « تشرشل » .
 وهذا طبيعي ولكنه لم يجد لاسم « تشرشل » ورماً عربياً . كان يقول
 رُوردهت « Rurdeh » ان قصية الالفاس من اللغات الاجبية مسألة لغوية
 هامة فاسا يعيش في زمن لا يعنى لنا فيه عن الفاس المصططحات العربية
 في مختلف العلوم واصول فان العربية فقيرة جدا في هذه الحقول ،
 وليس كما يقول المتأني في محيطه . عدد كلامه عن العربية « ... وادا
 قيس بها غيرها كانت كالبحر وهو كالجدول » . « لغتنا العربية جدول
 صغير جدا ادا ما قيست باللغات العربية الراقية ، ولا اعتار للمهمل

المئات في معاجمنا ولن نجد المجامع العربية لهذه المصطلحات مقابلا عربيا ، ولن نستطيع ان نجد لها في لغتنا ما يقرب من معناها المحدد . لذلك سجد انفسا مصطرين الى اقتباسها شكلها العربي .

عندما تُكتب العربية باللاتينية يصح دخول هذه المفتحات امرا طبيعيا الحرف اللاتيني يسط اللغه مرة واحدة للجميع ، ويفتح الباب على مصراعيه للاقتباس وتصح هذه المفتحات جزءا من اللغة وشكل في الكتابة يجعلها اصيلة لا عربية بآية

(ج) ان نضبط احكامها الصرفية والنحوية والصوتية

وقد يدعى في اقتراحنا ان نضبط احكام هذه اللهجة شي من العراة والتناقض ووجه العراة هو ان اكثر الناس قد اعتادوا ان يقرؤا قواعد الصرف والنحو والبيان باللغة العربية الفصحى ولكن هل للعامة قواعد صرف ونحو وبيان ؟ ليس للعامة صرف ونحو في نظر الناس ! ووجه آخر من وجوه التناقض في اقتراحنا هو اننا حملنا في هذا الكتاب على القواعد ، وفي كتابنا « سبيل قواعد العربية » هاجمنا القواعد مهاجمة لا هوادة فيها وانقضا طرق تدريسها . فلا عرو ان بدأ في اقتراحنا ضبط احكام اللهجة المحكية شي من العراة والتناقض .

اما ان اللهجة العامية لا قواعد لها ولا صوابه فوهم فاصح . لكل

لغة أو لهجة احكامها وقواعدها في الافراد وفي التركيب عدد الضمائر ،
 تصرف الفعل ماضيا ومضارعاً وامراً مع الضمائر . اسم الفاعل
 والمفعول . ساء المصدر ، قوانين اصغره والظرف . جمع الاسماء
 والصفات . التذكير والتأنيث ، قواعد العدد ، الجملة وتركيبها ، وغيرها
 كثير مما يجب ان يصطط اللغة مجتمع وليست لفرد ، وبما انها
 منك المجتمع فلا يحق لنا ان نتركها ب او عرصة للذوق الفردي او
 للشذوذ الفردي .

اما ما قمون على القواعد فلسين اولا ان وضع قواعد واحكام
 لاية لغة كانت اشبه سبب ذي حدس فمن جهة نجد ان وضع
 الاحكام والقوانين يحفظ اللغة في نطاق التورم . ومن جهة ثانية وجد ان
 وضع الاحكام بقيد اللغة ويحد من شاعليها ، او لقل ، انه يقف في
 بحر اها الطسعي ويسد عليها الطريق كما حدث للغة العربية الفصحى
 فان وضع الاحكام لها اوقف عمل النواميس اللغوية في نقطة معينة في
 المكان والزمان . ثانيا ان سبب قمنا على القواعد والاحكام مرده الى
 طريقة تعليم القواعد والاحكام اكثر مه الى وجود قواعد واحكام .
 لانا نعرف ان لكن نه قواعد واحكاما يجب على المتعلم ان يتعلمها ،
 ولكن نريد قواعد واحكاماً مجردة عن الفلسفة

اشرنا سابقا الى حرص لغويي العرب على وضع قواعد عامة

شاملة، الى حرصهم على معرفة السبب وكان من جراء هذا الحرص ان اوقعوا انفسهم في ورطة ايجاد قواعد مرعية - لان اللغة لا تخضع لقواعد رياضية - وفي ورطة ايجاد العامل فيما بعد الاتجاه الحديث سير نحو تعلم القواعد بأسلوب تقريرى وصفى descriptive دون اللجوء الى السببية (العامل والعللة والتقدير والاصمار)

واما ان يكون للهجة التي تقترح الاعاءة فيها قواعد واحكام فامر لا ماص منه اما يرحون ان نسط احكاما بصوته phonetic وقواعد الاشتقاق التركيب . بطريقة استقرائية - كما جرى عند وضع احكام اللغة العربية الفصحى - وعلى اسلوب تقريرى . ويرحون ان يكون تعديلها الاحمال المتألفة على اساليب حديثة تشفى وعلم التربية . علم السيكولوجيا لا على الاساليب النالية . اساليب الكوفة والصرة في الفروع المتوسطة

(د) ان يقبل بها العرب

وكان حريا ان يصح هذا الشرط الاساسي في مقدمة الشروط التي يجب ان تتوفر لكي ترتفع اللهجة العربية المشتركة الى مصاف اللغات الادبية لانهم اذا لم يقبلوها فاما ستظل لهجة من اللهجات العديدة ، وستظل المشكلة المعقدة قائمة .

ولكن قبول العرب بها يتوقف على :

(أ) ملع ادراكهم خطورة المشكلة اللغوية

(ب) قيمة الادب الذي سكت به اللهجة وجماله

فانهم اذا ادركوا حقا ان هناك مشكلة لغوية لها اثرها في الفكر
والثقافة والادب ، وادأ شعروا ان هذا الادب الجديد يستألف الى عقولهم
وقلوبهم فاسا لا شك في ان هذه اللهجة المحركة المشتركة تعرض نفسها
على الناس

وحتى لا سكر ان الامر يحتاج ايضا الى عزم و ارادة ، فان اللغة
لصيقة بالدين والادب ، والدين والادب رابطة روحية قوية يشعر عامة
العرب اليوم ان اي مساس باللغة قد يترك اثرا مباشرا في الرابطة القومية ،
فيسطر في مادام يحتل بالقديم ، وما يتركب على ذلك من نتائج

ماذا يحل بالتقديم

وهذا الخطر ما نتجنبه امه نحاول ان نحول لعمها العامة محل لعتها
الفصحى وقد حانه غير بهذا السؤال ولكن الحياة ابحاث عمه
ما له قيمة بقائه بقى ، وما هو حدى بالخلود يحل ، وما فة فكره عاطفة
يعيش ما دام هناك فكره عاطفة ولك ان يعكس فتقول ما ليس له
قيمة بموت . هذه سنة الحياة

نحن نعلم ان الانسان الكامل لا يعيش في حاصره او في مستقبه ،
بل يعيش ايضا في ماضيه الحياة المليئة هي التي تشمل الماضي ، وتتطلع
الى المستقبل ونحن نعلم ان هذا الماضي يعيش في عادات الامة وفي
اساطيرها وخرافاتها واعانيها وموسيقاها ، وفي شعرها وفي عفا ونعم ان
الماضي راقعة روحية ، ولذا نحرص الامة على الا تقطع الصلة بين
حاضرها وماضيها . ولكن ، الى جانب اللغة والادب ، هناك رواسط
اجتماعية اخرى تشد افراد الامة الواحد بعدة بعضهم الى بعض هناك
الاقتصاد والاجتماع والمنافع . هناك الاهداف والمثل والشعور المشترك .

هناك العلم والعرف والعلمقة ، هناك الأرض التي يعيشون عليها والبقعة التي مقدسوها حرما ، وهناك الدولة التي تعيش بسما الأفراد يموتون جميع هذه روابط تربط الناس بعضهم إلى بعض ، ولو كانت اللغة الرابطة الوحيدة لكادت الشعوب التي تتكلم الانكليزية دولة واحدة ولكادت الدول التي تتكلم الالمانية دولة واحدة . وفصلا عن هذا فان اللهجة العربية المشتركة الموحد . قد لن يكون عاملا للتفكك بل معتقد محضين انها ستكون أداة يوحد . وسكون عاملا في تقوية الروابط لا ساي فصمها

ولكن للناس ان سألوا ماذا سيحل بالقرآن الكريم ؟ ومماذا سيحل بالادب القديم ؟ وحدا من القرآن الكريم سيحدثسقى على ما هو عليه كما نقت كتب دنية بمدسة رعت احراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب ورغم احراف لغة الناس عن لغة هذه الكتب العيسة فانها حافظت على روعتها وحلالها ومقامها الديني . هالك لغة التوراة الانكليزية المعروفة ترحمة الملك حابيس . فانها على قدمها نعت في الانكليزية ، الى حجاب مقامها الديني . قطعة اديبة رائعة لها اثر بعيد العور في الادب الانكليزي على مدى الاحبال . ولكها (لغة التوراة الانكليزية) لغة تحالف لغة الناس . وقل مثل هذا في لغة شكسبير فانها حافظت على كيانها ومقامها . وفي لندن اليوم مسرح مشهور يعرف بـ Old Vic لا يمثل فيه الا روايات شكسبير بلغة القديمة وبشعرها

القديم وتعايرها القديمة. وانك اذا فت هذه اللغة لغة حرائد
لدى ، او اذا قسمها لغة الشارع في اكسفورد او كمبريدج وحدث
فروقا شاسعة . وها هي الكنيسة الكاثوليكية فيها تعتبر الترجمة اللاتينية
للتوراة لغة الكنيسة الرسمية ، ولا يكون القديس الا باللغة اللاتينية
وقل مثل هذا في الكنيسة الارثوذكسية التي حافظت على اللغة اليونانية
التقليدية ، والكسرة الماوسية التي احتفظت باللغة السريانية ، والكنيسة
المسيحية الحثثة التي احتفظت باللغة السامية العديدة المعروفة
بـ لغة البحر

ان افارق بين هذه الكنائس التي احتفظت بلغات قديمة وبين
الاسلام عظيم جدا وذلك لان العامة امهده المحكية لا تختلف عن لغة
القرآن الكريم اختلاف السريانية عن العربية او الاعرانية عن العربية او
اللاتينية عن الافرنسية فلن يكون لغة لقرآن الكريم عريضة على افهام الناس ،
وسيطر الناس يتعلمونه وحفظونه عسا وسرسون صرفه ونحوه وسحر
بيانه كما يفعلون اليوم وسيطرون يقرأونه ويستطرونه تركا ، وشعرون
وهم يرتلونه انهم يرفعون قلوبهم الى الله بالصلاة فالجياة الروحية تستمد
عدها من الشعور الداخلي الذي سفعها للاتصال باسماء هذا فيما
يتعلق بالمستقل القرب . ولكن ماذا يحدث في المستقل البعيد ، بعد
مئات من السنين ؟ ها يدخل في بياق الخدس والتحمين . ولكن

يتراعى لي ان في ذلك الرمز البعيد لن تكون الحياة الروحية وقفا على
 الكلمة، ولعل الكلمة، وشكل كتابة الكلمة. بل تكون الروح الانسانية
 قد اعتقت من الحرية وحرجت الى آفاق روحية مستمدة من روح
 الدين والفلسفة والصن والموسيقى. سيكون التوكيد على الحياة الفضلى،
 على الحياة القائمة على حسن المعاملة، على المحبة، على الاحياء عندها
 يكون للناس الحرية ان يطروا الى الدين من خلال نظاراتهم لا من
 خلال نظاراتنا نحن ان اعرب ما في طبع الاساس من الانانية والحرص
 هو شعوره انه خالد لن يموت، شعوره بان افكاره وعقائده ومثله
 واسلوبه في العيش يجب ان تحل، وان تعرض على درسته بالشكل الذي
 يريد وبألفه الى ما شاء الله ولكنه البهيم عنه نحن رائلون والحياة
 للاجيال القادمة، وليس لنا ان تعرض عليهم، وان فرصا فانهم لن
 يغيروا افكارنا اقل انتاه وهذا ما يلحظه بين جيل وجيل ان تعرض
 ان تعرض على انك عقائدك وعادتك ومقاييسك ودوقك وتترك الى
 الحياة؟ ولكن كيف سطر انك الى هذه العقائد والمقاييس؟ قد
 قد يسايرك بعض الطريق، ولكنه في فرارة نسة يضحك من حرصك
 هذا ويسير في طريقه الخاص. وهذا هو سبب كل حصومة بين
 القديم والحديث.

ماذا سيحل بالادب القديم؟ وجوابا عن هذا السؤال هو ما قلناه

في به الفصل ما له قيمة ثنائية بقی ، وما هو حري بالخلود يحل
الروائع ستقی ، ستقی لما فيها من فكر وروح ولكن اعترافا بالعامية
لغة ادبية مكونة باخرف اللاتيني سكون فرصة مؤاتية لاهمال ما
يجب اهماله من الادب القديم ، وفرصة للحفاظ على ما يجب ان
يحافظ عليه

في هذا القول من المرأة ما سيثير حفيظة المترمين ولكن يؤكد
للقارىء ان حواسها ليس اعتصاما ، اما هو رأي ممي على احتسابها
الشخصي والاراء التي سصارح اساس بها لا تمثل رأي جماعة ولا
مدرسة ، وليست تكرارا لقول زيد او عمرو من الناس ، انما هي افكارنا
الخاصة التي بغتها اعتناق من درس ولا حصة ، هي نتيجة اختيار تلعيد
ومدرس ، بلميد درس الادب ومدرس درسه .

ماذا سيحل بالادب القديم ؟ قبل الاجابة عن هذا السؤال احب ان
اثير قضيتين : ما هو الادب ، وما اثر الادب العربي في الناشئة العربية ؟

ما هو الادب ؟ لا اطر ان الناس اختلفوا في تحديد لفظة احتلافهم
في تحديد الادب ولكن يهمن ان نؤرخ او ان نحطى ، ولكن يهمن ان
ندخل في بحث ادبي فلسفي ، اما يهمن جدا ان نقول ان الادب ، مهمما
اختلفوا في تحديده ، بحث الاختار الاساسي المصوغ بقالب مؤثر .
والادب من الفنون الجميلة كاللوسيقى والبناء والتصوير وارقص ، العاية

الفصوى مه الهجة والمتعة العقلية لا الوعظ ولا الارشاد ولا الفلسفة
ولا التاريخ لهذه المواضع ادبها الخاص الادب في طرما متعة وبهجة ،
ولهذه المتعة اثر عميق في الروح الالابية ، في تليها ، في امتدادها ،
في اغنائها .

لا سكرانه قد يكون للادب مع آخر فقد يكون في الادب مادة
لكثافة التاريخ ، وقد درس طه حسين المتى وحرص — دراسة شيقة
لشخصية المتى ولبيئة التي عاش فيها . وقد يدرس آخر الادب ليقيم
عقلية الشعب الذي اتح ذلك الادب . وقد تصم الادب حكما
ومواعظ وحيالات حمسه . ولكنا نصر على ان العانة الفصوى للادب
هي المتعة والهجة . فاني قد اقرأ كتاب « النساء » مثلا واتعرف الى
العصر الذي عاش فيه ابطال القصة ، وقد اتعرف الى حياه العصر وما
اليها من اجتماع واقتصاد وسياسة ، وفي هداشي من النفع لكن
قراءة « النساء » يجب ان تكون اولا متعة وبهجة وطرافة عقلية
الادب للاطلاق من العالم المادي الواقعي الى عالم بعيد عايش اهله ،
وتتحمس احاسيسهم ، ويحلم احلامهم ، ويختار اختاراتهم ويحس
جالسون على كرسي مريح الى جانب النار شاء . او على شرفة تطل على
واد جميل صيفا . ولهذا الطيران الى احواء بعيدة عقة اثر في حياتنا
الروحية الادب اعناء للروح وامداد للخيال وارتفاع الى السماء
الادب ملين للحش فيها ، مثقف للجاف فيها . والادب عامل فعال في

إنسانيًا. وعندما أقرأ مقالاً فيه علاجات اقتصادية واجتماعية وسياسية
للمداواة أمراضاً، نحن العرب، أشعر بأن دواءً ناحقاً قد أهمل. الأدب
وإن تهجرت لغزاً هذا، ولكنني جاز في قلبي أن لا شيء. بل إن الخش
فيا - والخش فيها كثير - كالآدب، الذي هو محض احتضارات الشرية
المصوغة بقالب جميل مؤثر في النفس

لا شك أن في حملة الأدب العربي ومصان يطبق عليها تحديد
الأدب كما أوردها. ولكن الأدب العربي بجملة قصير في الأفكار،
محدود الخيال، أقرب إلى الصناعة اللغوية منه إلى الفن، ذاتي تقصه
الصفة الإنسانية العامة. فلا يمكن أن يكون له الأثر المشهود في نفوس
الناشئة العربية عام ١٩٥٥ عندما أصبح الأدب العالمي مشاعاً، برأنا
عالمياً تشهده السيرة وبعده المسرح ونعت به الحقيقة إلى روابيا العالم
ناصره.

إن حجر الأدب العربي عن المقادير إلى نفوس الناشئة راجع إلى
عاملين مادة الأدب العربي وطريقة تدريسه. ولن نبحث العامل الثاني
لأننا عالجنا هذا الموضوع سابقاً في مقال نشرته بمجلة الأبحاث وعنوانه
«البيان والأدب من مشاكل التدريس»^١. حسناً الآن نقول أنها
دراسة تاريخية حافلة نعر من الأدب عوضاً عن أن توجه إلى النفوس،

(١) مجلة الأبحاث، السادسة، خريف، ثلاث أيلول ١٩٥٢، ص ٣٣١ - ٣٥٢.

وتنقد الحياض عوصا عن ان تعبه اما فيما يتعلق باثر هذا الادب ذاته
في نفوس الناس فاسسديل علي عجزه في تأدية الرسالة بذكر اطاعات
للامدني عند درسا

(١) المختارات السائرة

(٢) رساله العصران

(٣) شعر المتنبي

وقد احترنا هذه المواد لانها تمثل احسن ما في الادب العربي القديم،
وقد احترنا ذكر اطاعات الطلبة الجامعيين لانهم يمثلون النشئة العربية
الواعية حين تمثل وصلة الجامعة الاميركية يمثلون مختلف الانقطار
العربية ومختلف اليناث والرععات .

(١) المختارات السائرة

كان تدريس العربية في صف العرشمن (السنة الجامعية الاولى)
الى عهد قريب يتناول مراجعة درس الادب العربي دراسة جامعية شاملة
مع مقدمة وافية في الادب وتذوقه والقد واصوله وقد احتار الاستاد
ابيس المقدسي ، استاد الاداب العربية في الجامعة الاميركية سابقا ، لهذا

(١) وهي مجموعة شعر وشتر جمعها الاستاد ايس المقدسي لتكون مادة لمراجعة
عامة للادب العربي في السنة الجامعية الاولى . وقد قدم لها مقدمة بحث الادب وتذوقه .
الطبعة الاميركية في بيروت .

الدرس حملة صالحة مختارة تمثل الادب العربي القديم والحديث في
شعره ونثره . وقد يؤت هذه المحاربات حسب الفنون الادبية : المدح ،
المعجزة ، العناء ، الرثاء ، القصة ، الحج

و كنت اطلب الى التلاميذ ان يدوا رأيهم في القطعة المقرؤة .
و كنت اهتمهم انهم قد أصبحوا رجالا جامعين وليسوا احداثا يعطون
المعطيات دون نقاش او انشاء رأي لهم الا ان يناقشوا . ولهم ان يدوا
الرأي صريحا وانت اذا اكتسبت ثقة طلابك ، وان هم وثقوا من ان
مخالفتهم انك في الرأي لا تنصر بالعلامة البائية فانهم بشر حنون . ان
صدورهم وبكاشفوك بعمق بحاها

كنت اطلب اليهم ايضا ان يصارحوني بقول كتابه (كي لا
ترعجهم المشاهدة) في اثر هذا الدرس في نفوسهم ، واذا كان هذا الادب
العربي الذي اعطوا منه سنة صالحة ينطق على مفهوم الادب عامة
وعناصره كما اهموه في بدء السه ، من مقدمة الكتاب ، وكما عرفوه
بعد درسهم الادب الانكليزي او الافرسي . كنت اطلب اليهم هذا
لاني كنت اشعر منذ من بعد ان ليس لهذا الادب من اثر في نفوس
الطلاب ، ولكي لم اجزؤ على التصريح بهذا خوفا من ان اكون واحدا
او متحايلا او عاجزا عن القاء الى نفوس الناس . فدأت على المكاشفة
والملاحظة وجمع الانطباعات التي كنت اشعر انها صادقة صادرة عن

احلاص كنت اشعر ان اكثر الطلبة في صفوف الادب العربي يرددون
على اساتيدهم ما ظلوا اليهم يرددونه ، ولكن اذا احتوا الى دواتهم سحروا
من الاساتيد ، وسحروا بما سمعوا لهم ادا

وقد تكون معاجاه غير سارة اذا قلنا لك ان من كتاب صحم
ككتاب المختارات السارة لم يرق لآلة التلامذة سوى قطع شربة
وشعرية لا يتعدى عددها اصابع اليد الواحدة وقد اخصيت عدة مئات
من الاجوبة خلال سنوات ثلاث ووجدت ان القطع التي اعجبت
التلاميذ والتي كان صياها شبه اجماع على حوده الفن فيها هي :

التمثال : لمحمود طه

والطياره : عمري المفلوف

والحجرية : لقولا بياض (هي في الاصل اور سبة للامارين)

وقطعة ثرية لحران (السعاده) ووضعة ايات للمتي في قصيدته

« عيد ناية حل .. »

اما الاحبة فالبيداء دوسهم فليت دولك ييدا دوبا ييدا
ياسافبي ، احمر في كوؤسكما ام في كوؤسكما هم وتهد
اصخرة انا مالي لا تحركي هدي المدام ولا هدي الاعاريد

ولا عرو ان راققت لهم ايات المسي ، فان الشاب العوض في مثل

هذه السبيل الى مثل هذا الحرر والى مثل هذا التساؤل والناقي ؟
« يا استاذ لحكمك الدعري ما فيها شيء ، وليس المقصدي بسميها
بحارات سائرة ما عرف .

وهؤلاء شأن محصور لنوانهم ولا وظائفهم ، صادفون في وطنيتهم
واقعون كثيرين منهم درسوا الادب العربي او الانكليزي ، وبعضهم
قرأ بمادح صالحة من الادب العربي ، وها هو المسرح امامهم والسما
يرتادونها ككل اسوع مرتين ، ويستطيعون ان يقاربوا لانفسهم لا
يستطيع ان يجدعهم ولا ان يقول لهم الايصر اسود والاسود ابيض .
هؤلاء شأن عيوبهم تتطلع الى الامام الى الافق البعيد ، فان القدر لهم
والحياة امامهم . وادب المحتال السائر لم يصح لهم آفاقا ولم يرتفع
بهم ان احواء الحياة تضطرب بالمشاكل الفكرية العسمية الروحية
الدينية الغبية السيكلولوجية وبهمهم عيب وعطشهم شديد ولكن هذا
الادب لم يشبع بهمهم ولم يرو عطشهم . وان كنت في شك فيما اقول
لك فاحتر لفسك . سل الناس الذين قرأوا الادب العربي . حاول ان
تعلم الشأن الادبي العربي .

(٢) رسالة الفقراء

كما جميعا عشرة ، سعة واستاد وكان الطلبة من طلاب الستين
الاحيرتين من دراستهم الجامعية وكانوا يمثلون العراق وسوريا

والاردن ولسان وقد اعتمدنا في قراءة نص رسالة العفراء الطبعة
الجديدة التي حققها ت. الشاطي^١.

طلبت الى التلاميذ ، بعد انقضاء اسبوع كما مـدرس فيه المعري
وتعرف الى شخصته والى عصره والى حكم التاريخ عليه ، ان يبدأوا
معى بدراسة النص بكامله دراسة دفعة طلعت اليهم ان لا يتأثروا بما
قاله ريد ، وان لا يهتموا بالحكم الذي اصدره عمرو . بل كنت أقول
لهم انما في هذا الصنف جماعة من العرب نجد قراء العربية كمايجبها
الضاد ، ولنا من المعرفة باصول النقد ما لغربا من معرفة ، وبفهم الادب
وعناصره كما يفهمه عربا . ولنا من السوق 'لادبي' ما يعيننا على تدقيق
النص فيها اذن لندرس هذه القطعة غير متأثرين بعامل خارجي . بل
سنكون لانفسنا رأيا في قيمة الرسالة سواء على درسا لها

هل قرأت رسالة العفراء ؟ ان لم تكن من الذين قرأوها فـ... لك
ستجد شيئا من المعروفة في تصديق ما سقوله لك عن انطباعات التلاميذ
وما قالوه لنا في الصنف وبعد الانتهاء من هذا الدرس

شعر هؤلاء الطلبة اولا ان مفهوم الادب عندهم ، او الادب كما
حدد لهم من انه بحث الاختارات البشرية المصوغة بقالب جميل مؤثر .

(١) رسالة العفراء ، تحقيق وشرح ت. الشاطي ، ٥٥٠ ، المعروف مصر ١٩٥٠

ومن انه متعة وبهجة ، ومن انه اطلاق الى عالم آخر ، لا يطبق على الرسالة جعلها نعم ، هاك اقسام من الرسالة قليلة الصفحات تمتعة طريقة . دحون ابن القارح الحجة ، بعض المواقف مع الشعراء ، وصف الحجة الحسي ، انهارها وحمائها وحارها وولداها وشهى طعاما واطاب حمرها الذي لا يسكر عدما كما نقرأ هذه الاحراء كما شعر اباي اجواء لطيفة هي الاحواء التي يحجب الادب ولكن رغم هذه الطرافة فان الرسالة لم تثر حبيهم ولم تهب شعورهم ولم تمس حياتهم شعروا ان هذا النوع من الادب صيق الافاق فهو يمثل شعور جيل اعمى ساحط نام مشكك بيرا حرافات الناس ونصحك من بلاهتهم ويسحر من معتقداتهم الضيالة التي تصور لهم الحجة حالة حسنة (عوضا عن ان يكون حالة روحية) لا يحتف بها عبث اهل النعم عن عبث اهل افاية العاحلة وهم رانعون في قصورهم لم تثر ارسالة قضية أساسية عامة ، فانها تقصر في رسالتها عن الرسالة التي يجدها في الادب العالمي الذي يروق للناس في كل مكان وفي كل زمان

ثانيا ، لم يفهم الطلبة لغة الرسالة فان المعري صعدنا جميعا ، كما لا شك انه صعد اس القارح الذي كتبت له الرسالة ، غير ان ابن القارح شح اديب افرق عهدا الى لغة المعري ، واعرف بعريها منا بحر الدين تفصلا عنها مئات السنين ومع هذا فان ابن القارح قد صُفق وُصُفنا بحر معه !

بدأ المعري بمقدمة فيها دعاء بالخير لابن القارح وبذكر في حملة ما يذكره (ص ٢) : ان في مسكي حماسة ما كانت قط افاية . « ثم يسترسل في تفسير معنى الحماسة والافانية حتى اتنا حرجا جميعا ولا يهقه للمعنيين من معنى لان الحياة نديتهما وما كذا تنهي من هذا الاسترسال المرهق حتى فاحأنا بسين من الشعر ذكرهما عرصا عند كلامه عن نهر العسل في الجنة

واليتان لشاعر قديم المر بن تولى

الم بصحتي وهم هجوع	جبال طارق من ام حصص
لها ماتت هي عسلا مصقى	اذا شامت وحوارى سمن

ثم ان اما العلاء . وهو يحاول ان يصهر مصدرته اللعوية ليصق ابن القارح ، يعترض افتراضا فيقول لو ان المر بن تولى قال في البيت الاول « ام جرة » بدلا من « ام حصص » فمادا تكون القافية في البيت الثاني ؟ اي ما هي الكلمة التي تتلام مع « جرة » ؟ فيجيب ابو العلاء بان على الشاعر ان يقول في البيت الثاني « حواري كش » ثم يفسر كشاً ويستطرد ويستشهد بكلمات اعقد من « كش » ثم يتابع ابو العلاء فيقول : ويجوز ان يقال « حواري بوء » ويفسر وزاً بما هو اعقد من وزاً . ويقال « حواري نس » « وحواري بوء » ويفسر جميع هذه الالفاظ المماثلة بالاستشهاد بشعر قديم - وقد تكون الكلمة المفسرة

عن الحصة اذا رعى بان العرض من الرسالة هو النقد والتاريخ . فان
 اما العلاء بدخل ان افراح الحجة لتلغى بالشعراء والادباء لعرص معين :
 اثاره قصبة لعوية او قدسه او تاريخية او دينة - ولا صير في هذا
 الاسلوب لولا حفاف الموضوع ووعوره التاريخ . والنقد . والدين .
 وبحقوق بيت من الشعر اذا كان مستحلا او غير مستحل . جمع هذه
 بحوث لها مقامها ولكنها لا تقع في نطاق الادب . فضلا عن هذا فان
 اكثر الطلبة لا يستطيعون عبارة ابي العلاء في بحوثه الدعوية والقدية .
 ان كنت في شك فيما يقوله . او اذا كنت من يشك في حسن فهم
 الطلبة وفهم الاسناد حاول ان تقرأ الرسالة انت كما قرأناها نحن
 وامنحت اليها باطمانا

(٣) الشاعر المتني كما اثني عشر ، احد عشر طالبا والاستاد وقد
 عاشا المتني في شعره فضلا مدرسيا ولكن المتني يحتاج الى اكثر من
 فصل مدرسي . فانه شغل الناس قدما . ولا يزال يشغلهم الى يومنا هذا .
 والمتني ، بالنسبة الى مقاييس الشعر العربي . شاعر كبير ويمثل الشعر
 والشعراء . فحكما عليه وعلى شعره لا يبعد ان يكون حكما عاما على
 الشعر والشعراء .

بعد انقضاء ايام قصاياها في التعرف الى المتني والى حياته والى
 عصره المضطرب والى الحكم والسلاطين الذين عاش في كهفهم ، قررنا

ان تكون دراسته دراسة لرسالة العفوان أي اردنا ان نكون
لدواتنا أيا في المتني وشعره وفيه مباحي دراستا نحن له لا ساعلى ما
قاله ريد او عمرو . ولكالم بفعل عن وضع مكته صغيرة عن المتني في
متاول الطلبة . وكثيرون هم الذين درسوا المتني وكثيرون هم الذين
اجادوا الدرس والقدر

اعجب الطلبة بعض فصائد المتني ، فان لها بعضا موسيقيا وفيها
براعة . وفيها من ، وفي كثير من آياتها يحق المتني في احواء رفيعة .
ولكنهم في قراءتهم الديوان كانوا يشعرون ، كما عثروا عن شعورهم لي
في الرسالة القصيدة الى يطلب اليهم ان يكتبوها ، انهم كانوا ان جو
التاريخ اقرب مما كانوا الى احواء الادب فالمتني رحل مكش على
داته ، شعره صورة داته ، فصائده صورته صمعه وحرصه ، حياته كلها
صراع مع داته ، حله وبرحانه صورته صمعه الطائفة ، بقده في حياته
السياسية صورته رعبه في الحصول على القوة فدوانه من هذه الباحة
دراسة ممتعة لشخصه التي يمثلها المتني ، والمتني يمثل كثيرين في جميع
العصور . ولكن ديوان المتني لم يثر فصايب الحياة التي يود هؤلاء الطلبة
ان تثار . في مسأيرهم المتني فصلا مبرسيا كاملا لم يلقوه مرة بطلاق
من دائرة داته الصيقة الى الدات العظمى الرحة ، الدات الاساية ،
ليصورها لنا صورة رائعة او الى الطسعة الحميدة ليظمها لنا شعرا
خالدا . لم تلهب حياة المتني شعورهم ولم يعد حيا لهم . عظمت في لعتة ،

في صفحة الالفاظ ، وفي قعقه القواي . شاعره كبرياء رائعه وادعاءات
كاذبة . ثورته منفس عن حقد . وابن هذا من العظمة الحقيقية التي
تحسد ثورة على الظلم والطغيان وتكسيل الفكر بألي احدهم .
« هل حارب في سبيل مبدأ هل حارب الشعوبيه ، هل اتصر لضعيف ،
هل اعاث ملهوها ؟ وهل احدث ثورة فكرية أم اجتماعية أم سياسية ؟
هؤلاء الشان يريسون في الادب بهجه ومثقة وفكرة تلهب . لم
يجدوها في المتني

قد نقول . ولكن هؤلاء الطلبة لم يفهموا المتني ، او لا يعرف
استادهم كيف يفهم المتني . او قد تقول ان دوقا عريب ، وما شاكل
من اعداد قد تحظر يالك لدافع عن المتني ولكننا حينها ، طدة
واستادا ، ان نعصر الديوان ، ونسد عصرناه طوبلا ، وحاولنا ان نري
انفسا ما ليس هالك ، وان سمع اداينا ما لا نسمع ، ولنا لم نتمالك
عن الشعور بان المتني عجز عن ان يكون لنا بهجة ومثقة . شعر المتني
كشعر غيره من الشعراء ، مصدر من مصادر التاريخ ، ونتيجة حياة
صيقة محدودة مشحونة بالصراع والحرص على الدنيا . ولكن الشعر ليس
تاريخا . الشعر مثقة ، والشعر غناء .



ماذا سيحل بهذا الادب القديم ؟ قد يبقى القسم الاكبر منه سجلا

ماريخيا للاجيان التالية ، والجزء الفليل منه سيحلد على انه ادب . ففي رسالة العمران ، مثلا فصول قليلة ممكن جمعها في وريقات قليلة حرية بالخلود هذه ستقى ، واما تعليقه على شعر المر بن تولى ، حيث اراد ان يصق ابن القارح معرفه العريب في اللغة - وصعقا بحس الدين قرأ الرسالة - فوجب حتما ان يموت . وكلما قرب احل هذا النوع من الادب قرب زمن اعتناق العقل العربي وطيراه الى اجواء الادب الصحيح ، ادب الانسانية

خاتمة

كان العرب ذات يوم اقوياء ، وكانت لهم يد في ساء الحضارة العالمية في العصور المتوسطة كانوا اقوياء لانهم ابقوا في قرارة هوسهم ان عندهم رسالة ، وصاحب الرسالة ملهب الخيال ، ودقيق الشعور ، صادق العزم ، قوي الارادة . والوائق همه حار ياخذ ويعطي ، يقتس ويجهد ، يحور ويعير ، يؤمس ويشك ، يلجأ الى العقل كما يلجأ الى القلب . ولكن ذات يوم افاق العرب واداهم صعفاء . فقاموا السلطان فاقمهم الثقة بالهمس ، واصعب فيهم دوافع الحياة . وحاسر الرسالة وانكمشوا على دوائهم وارتضوا العيش على هامش الحياة وتلفوا فلم يجدوا في ايديهم من بقايا الماضي المجيد سوى اللغة والدين موضوعا

للشاطر العقلي فلا علم ولا فلسفة، ولا نحت، ولا تصوير، ولا موسيقى، ولا عاء، ولا رقص، ولا تمثيل، ولا نهج في الحياة، ولا طرافة في العيش فاموا وظال الست. وبولا دلائل الحياة عند فئة احصر شاطها العمي في علوم اللغة والدين لظن اساس ان الحياة العقلية قد اعدمت عند العرب وقد جهدت هذه الفئة في وضع طرقات في الاعمار والصرف والبحر والياب والسيح والعروض، وانصرفت فئة اخرى تكرر ما اشغل به السبب الصالح من علوم الدين ولكن عشا فتنش عن الجسد. فلا طرته حديده في الفقه، ولا طرية حديده في الفلسفة. ولا دراسة موسوعيه للدين، انما هو تكرار واكتفاء ذاتي

ولكن اية امة عظيمة لم يبد سماءها علوم قائمه عارضة؟ اية امة لم تعصف بها رعا ع؟ اية امة لم تعد لهب ارسالة؟ غير ان عظيمة الانسان الحقيقة تتجلى في الكمال الانسان انسان الاستطاعة ان يشق الحجب ويسقت الى الافق البعيد، الى معث الور.

انا، رغم هذه الانتكاسات في الحقل السياسي، ورغم هذه المصاعب في الحقل الاقتصادي، ورغم مظاهر الرجعية البعيصة التي ترفع رأسها حياء بعد حين في الحقل الاجتماعي والفكري، نقول، رغم هذه كلها نرى بوادر انتفاضة مباركة تراها في الشباب القلق المضطرب الذي يريد اللحاق بركب الحضارة السائر قهرا الى الامام -

وهذا الشاب يأبى أن يكون مهبط الحاسح ، ويأبى أن يقف في طريقه عائق .

أردواح النخلة عائق ، والأعراب عائق ، واللغة أساس الفكر وأساس الحضارة . ووضع لهجة عربية موحدة سلسلة لينة مكونة بالحروف اللاتينية يمكن في تحرير الفكر ، ويسهل نقل المصطلحات والتعابير التي لا عسى عنها ، ويفتح الباب على مصراعيه لعقل الدخائر الأدبية العربية والشرقية من شعر وروايات وقصص وعلم وفلسفة واجتماع ، دخائر يجب على العقل العربي أن يتلفح بها إذا أراد اللحاق بركب الحضارة العالمية . وأما إذا احتزنا السير وحدها متحلفين متكئين فليس لنا إلا أن نفي القديم على قدمه

ولكن الشاب يأبى الانعلاء على القدم ، واني أرى يواثر نقمة صامته على هذه الفلسفة السلبية الشاب يريد الاعتناق والطيران ، وأبؤلا كتب الكتاب ولهم اهديه .

و من اجتهد فأصاب فله اجران

و من اجتهد فأخطأ فله اجر واحد

فهرست

الجزء الاول

في اللغة

٨ - ٧

مقدمة

١٧ - ٩

نظرة في نشأة العربية الفصحى

١٣ - ١٢

(١) الدخيرة العربية

١١

(ب) النصب

١٥ - ١٤

(ج) الاشتقاق

١٥

(د) التوليد

١٦ - ١٥

(هـ) التعريب

١٧ - ١٦

(و) التباس

٣١ - ١٨

المشكلة اللغوية

٢٣ - ٢١

(١) وجود لغتين مختلفتين : عامية وفصحى

٢٥ - ١٣

(ب) تقييد الفصحى بأحكام شديدة

٢٧ - ٢٦

(ج) الخط العربي الحالي من الحروف المصونة

٣١ - ٢٧

(د) عمز العربية عن اللغات بالعلوم والفنون

ما هي اللغة ٣٩ - ٣٢

كيف نشأت اللغة ٥١ - ٤٠

(أ) نظرية البو - وو ٤٣ - ٤٢

(ب) نظرية الاصوات التمجيدية العاطفية ٤٤ - ٤٣

(ح) نظرية محاكاة الاصوات معانيها ٤٥ - ٤٤

(د) نظرية الاسماع الصوتية للحركات مصلية ٤٦ - ٤٥

(هـ) نظرية الاشارات الصوتية ٤٧ - ٤٦

(و) معرفة اصل اللغة عن طريق دراسة اللغات القديمة ٤٩ - ٤٧

(ز) دراسة لغة الاطفال ٥١ - ٥٠

اللغة والعرق العقلية ٥٧ - ٥٢

علم اللغة ٧١ - ٥٨

القرن الثامن عشر ٦١

القرن التاسع عشر ٦٢ - ٦١

القرن العشرون ٦٥ - ٦٢

الحقل الفيزيائي - البيولوجي ٦٧ - ٦٥

الحقل البسيكولوجي - الفلسفي ٦٩ - ٦٧

الحقل اللغوي الصرف ٧١ - ٦٩

اثر علم اللغة في تفكيرنا اللغوي ٨٨ - ٧٢

(١) ليس هناك لغة امض من لغة ٧٤ - ٧٢

- (ب) لغة بحري ٧٥ - ٧٤
 (ج) ليس هناك له رديئة + أخرى جيدة ٧٨ - ٧٥
 (د) لا اعتبر للكلماء وقد اعدوا في اللغة ، انما لا اعتبار للفظ ٨٠ - ٧٨
 (هـ) اربعة كثر من موجات ٨٣ ٨٠
 (و) توافق اللغة والمكر وهما ٨٥ - ٨٣
 (ز) الوحدة الكلامية هي التعبير التام + الجملة ٨٦ - ٨٥
 (ح) ليس لغة كيان بدون الاسان ٨٨ - ٨٦

الجزء الثاني

في شأن اللهجة الادبية والمحكية

- لغة ولهجة ٩٤ - ٩١
 السلطة العليا ١٠٠ - ٩٥
 (أ) عدل عسكري سياحي ٩٧ ٩٦
 (ب) عاون ديني ٩٧
 (ج) عامل أدبي ٩٨
 (د) عامل اجتماعي او طقفي ١٠٠ - ٩٨
 كيف تنشأ اللهجة ١٠٩ - ١٠١
 (أ) معايرة الفردية ١٠٥ - ١٠٣
 (ب) اتساع الرقعة الجغرافية ١٠٦ - ١٠٥
 (ج) احتكاك لغة بلغة أخرى ١٠٩ - ١٠٦

١٠٩ - ١١٥ الواميس اللغوية التي تحكم مصير اللغة

(١) تعبيرات في لعدد الحروف لصوت «الحركات» ١٠٩ - ١١٩

(ب) تعبيرات في نطق الحروف الصامتة ١١١ - ١١٢

(ج) تعبيرات في المفردات من جهة النسي والامسى ١١٣

(د) تعبيرات في التركيب ١١٣ - ١١٥

١١٦ - ١٣٣ اللغة العامية قائمة بذاتها، حية متطورة

١١٧ - ١٢٢ العامية لغة قائمة بذاتها

١٢٢ - ١٢٣ العامية لغة حية متطورة

١٢٣ - ١٢٧ ولا، فقد ن الاغراب

١٢٧ - ١٢٩ ثانياً: الاطوار الصري والبحري

١٢٩ - ١٣٠ ثالثاً: حصوع العامية واميس لغوية طبيعية

١٣٠ - ١٣٣ رابعاً: الاملال والاقتسام والتعديد في المعنى

خامساً، العصر الانساني في العامية يصمى عليها مسحة من الحياء ١٣٣

١٣٤ - ١٦٦ اثر اردواج اللغة في المجتمع

(١) اثر اردواج اللغة في الفكر ١٣٥ - ١٤٢

(ب) اثر اردواج اللغة في التربية ١٤٢ - ١٥٣

(ج) اثر اردواج اللغة في تكوين الشخصية ١٥٣ - ١٥٩

(د) اثر اردواج اللغة في الاخلاق ١٥٩ - ١٦٣

(هـ) اثر اردواج اللغة في العمون الجميلة ١٦٣ - ١٦٦

الجزء الثالث

حل المشكلة وما يترتب على الحل من مشاكل

١٦٦ - ١٧٦	حل المشكلة اللغوية
١٧١ - ١٧٤	(أ) حمل القصي له التحايط
١٧٠	(ب) ترك الحال على ما هي عليه
١٧٤ - ١٧٥	(ج) فرض لفظة قائمة
١٧٥ - ١٧٦	(د) وضع لفظة موحدة
١٧٧ - ١٨٢	هل يمكن وضع لغة ؟
١٨٣ - ١٨٧	خصائص النبعة العربية المحكية المشتركة
١٨٣ - ١٨٥	(أ) سقوط الاعراب
١٨٥ - ١٨٦	(ب) نودها المشترك
١٨٦ - ١٨٧	(ج) اعتادها القصي معنا

كيف تصح هذه اللهجة المشتركة لغة رسمه ١٨٨ - ١٩٦

(١) ان يكون له أدب ١٨٨ - ١٨٩

(ب) ان يكتب بالحرف اللاتيني ١٨٩ - ١٩٣

(ج) ان يصطب احكامها الصربية والعوية والصونية ١٩٣ - ١٩٥

(د) ان يقل بها عرب ١٩٥ - ١٩٦

ماذا سجل بالقديم ١٩٧ - ٢١٥

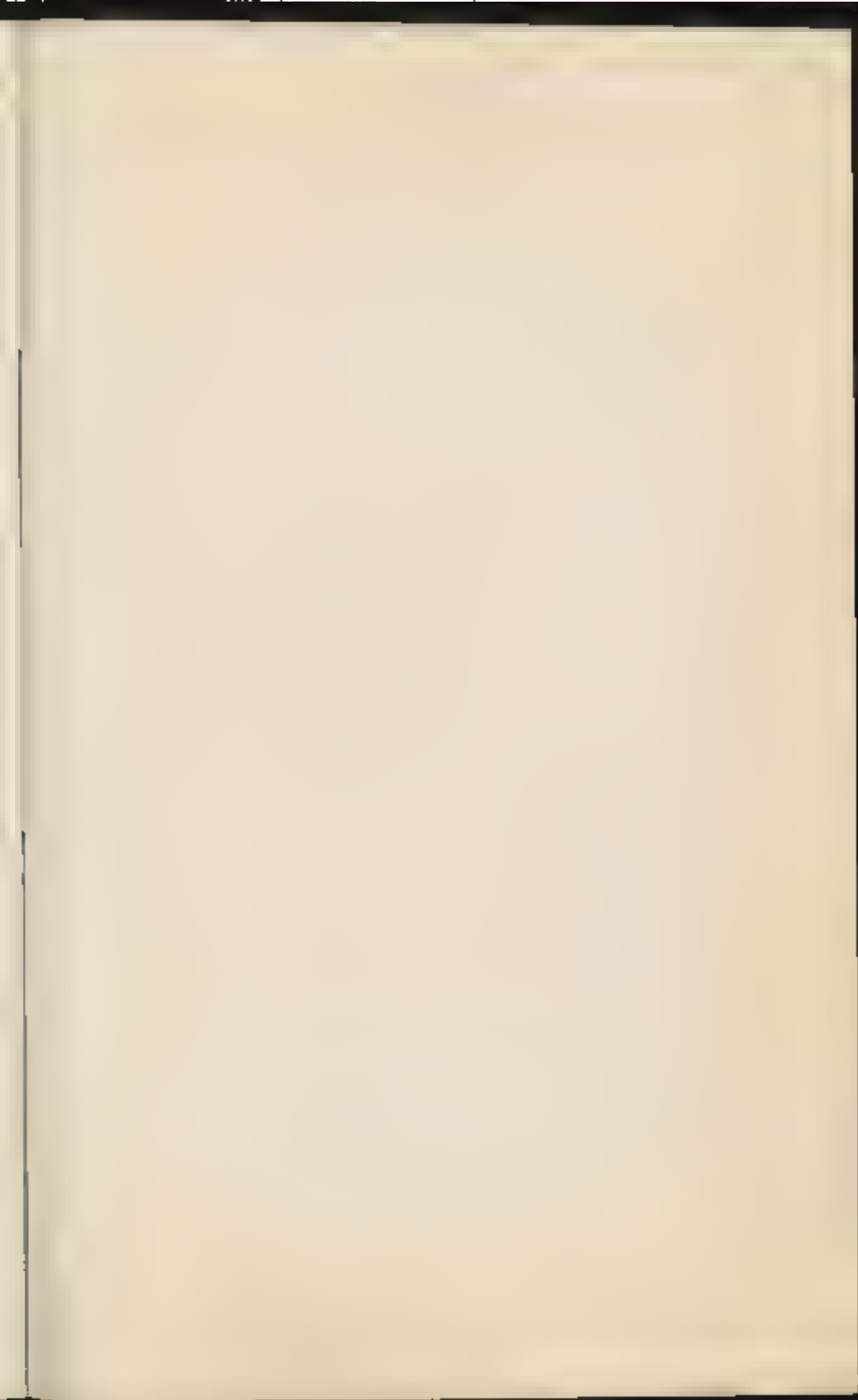
(١) المختارات السارة ٢٠١ - ٢٠٧

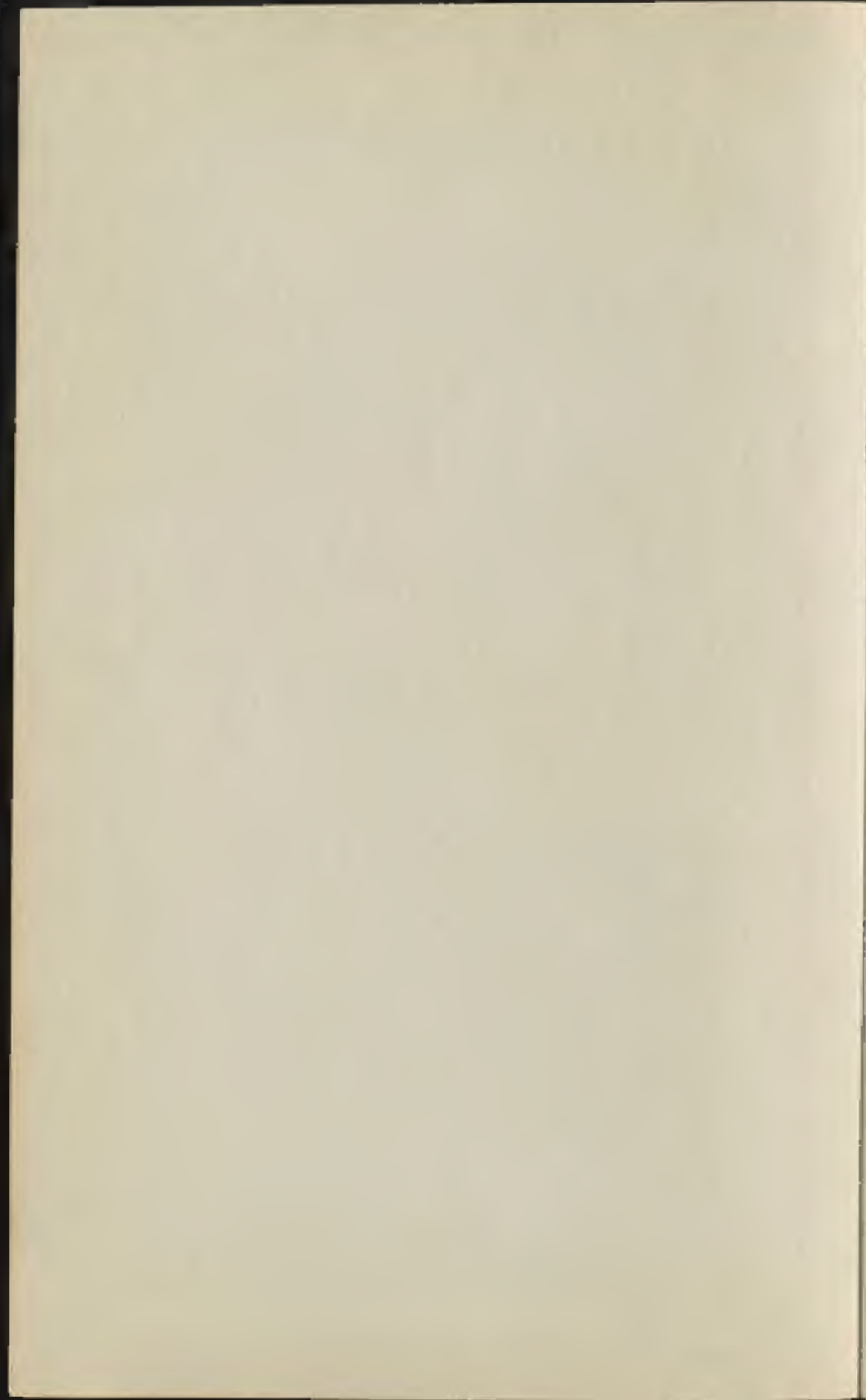
(٢) رسالة المفران ٢٠٧ - ٢١٢

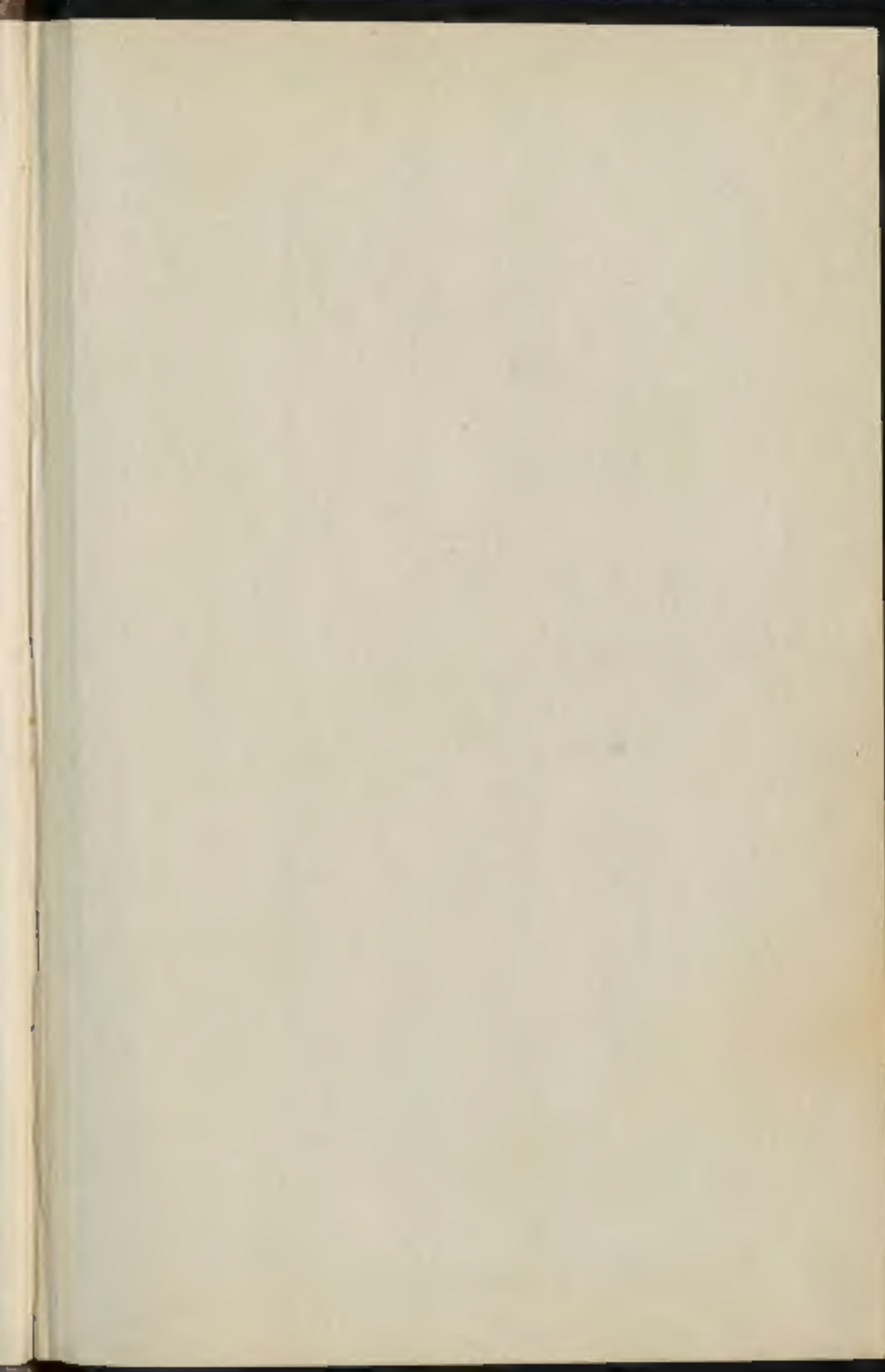
(٣) لمنسي ٢١٢ - ٢١٥

حائمة ٢١٥ - ٢١٧









893.72
F86

BOUND
SEP 4 1959

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58879390

893.72 F86

Madras, Andiyah angga